
اجاثاكريستي
رجل
بلا وجه



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

رجل بلا وجه

4.50 from Paddington

في أثْناء سَفر السَّيِّدة «جيليكودي» في القطار تصادف أن توازَى القطار الذي تركبُه مع قطار آخَر، وراحت السَّيدة «جيليكودي» تتطلَّع من النَّافذة المجاورة لها إلى نوافذ القطار الموازي لقطارِها، وفي هذه اللَّحْظة ارْتفعَ ستار إحْدى نوافِذ العربة المواجِهة لها فوقع بصرُها على رجل جاعل ظَهْره إلى النَّافذة، وكانتْ يداه تُطْبقان على عُنُق امْرأة تقِفُ في مواجهتِه وهو يحاوِل ببطء وبغير رحْمة أن يُزْهِقَ رُوْحَها، وكان وجهُها مُحْتقنًا وعيناها تكادان تَبْرُزان من مَحْجِرَيْهما، وبينما وقفت السَّيِّدة «جيليكودي» تُتَابع فَزِعةً المشْهَد المثير أبْصرتْ جسد الضحية يتخاذل ويتهاوَى بين يدي الرجل، تُرى ماذا ستفعل وما سرُّ هذه الجريمة؟!

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338170-4



رجل بلا وجه

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

رجل بلا وجه

(42)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Charistie

الاسم الأصلي للكتاب

4.50 from Paddington

(1957)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

أهم الشخصيات

- **"إليزابيث ماك جيليكودي"** : المرأة التي شاهدت جريمة القتل في القطار.
- **"جين ماربل"** : صديقة السيدة **"جيليكودي"** .
- **"لوسي إيلزبارو"** : امرأة ذكية. تعمل مدبرة منزل آل **"كراكنثورب"** .
- **"كراكنثورب"** : رجل ثري وقد وجدت الجثة بمخزن قديم يمتلكه.
- **"إيما كراكنثورب"** : ابنة **"كراكنثورب"** .
- **"إدموند"** ، **"سيدريك"** ، **"هارولد"** : أبناء **"كراكنثورب"** .
- **"حنة ستراقنسكا"** : راقصة بالية وزوجة الدكتور **"كيمبر"** .
- **"بريان إيستلاي"** : زوج **"إيديث"** ابنة **"كراكنثورب"** .
- **"درموت كرادوك"** : مفتش مباحث.
- **"بيكون"** : مفتش بالشرطة.
- **"ويمبورن"** : ممثل قضائي.
- الدكتور **"كيمبر"** : طبيب الأسرة.

- 1 -

كانت السيدة "**ماك جيليكودي**" تسرع لاهثة في أعقاب الحمّال الذي يتقدمها بحقيبة ملابسها إلى حيث تستقل القطار. وكانت السيدة "**ماك جيليكودي**" بدينًا قصيرة القامة بينما كان الحمّال رجلاً طويل القامة واسع الخطى. علاوة على أن السيدة "**ماك جيليكودي**" كانت تحمل الكثير من اللفافات بعد تلك الجولة التي قامت بها بالمتاجر لمناسبة عيد الميلاد؛ ومن هنا كان السباق غير متكافئ فباعد بين الحمَّال والسيدة التي كانت تجد في خطاها لتلحق به.

ولم يكن الرصيف رقم (1) حينئذ مزدحمًا بالمسافرين؛ لأن قطارًا كان قد غادره لتوه، ولكن الرصيف الأوسط كان يعج بمختلف الناس المسرعين في كل اتجاه غدوًا ورواحًا من مكاتب إيداع الأمتعة، ومن قاعات تناول الشاي، ومن مكاتب الاستعلامات ومن بابي الدخول والخروج، ومن منافذ أنفاق السكك الحديدية.

وقد شقت السيدة "**ماك جيليكودي**" طريقها بكل مشقة وعناء، إلى أن وجدت نفسها عند مدخل الرصيف رقم (3) فألقت بحملها وراحت تبحث في حقيبة يدها عن تذكرة السفر التي تجيز لها الدخول إلى الرصيف الذي تسعى إليه.

وفي تلك اللحظة سمعت صوتًا يعلن في المذياع (القطار الواقف بالرصيف رقم (3) هو قطار الساعة 4:54 إلى "**براكها مبتون**"، و"**ميلشيستر**"، و"**ويفرتون**"، وتقاطع "**كارفيل**" و"**روكستر**"، والمحطات إلى "**تشاد ماوث**"، وعلى المسافرين إلى "**براكها مبتون**" و"**ميلشيستر**" أن يستقلوا عربات المؤخرة، أما المسافرون إلى "**فانكاي**" فعليهم مغادرة القطار في محطة "**روكستر**" للتغيير).

وبعد فترة صمت وجيزة عاد الصوت ليعلن عن وصول القطار القادم من "**برمنجهام** و"**ولفر هامبتنو**" بالرصيف رقم (9) في تمام الساعة 4:35.

وعثرت السيدة "**ماك جيليكودي**" أخيرًا على تذكرة السفر وقدمتها لحارس الباب الذي قال لها بعد الاطلاع عليها (إلى اليمين– عربات المؤخرة).

وتقدمت السيدة "**ماك جيليكودي**" لتجد الحمّال في انتظارها ضجرًا أمام

إحدى عربات الدرجة الثالثة، وهو يبادرها قائلاً:

– هنا يا سيدتي. فقالت له السيدة "**جيليكودي**":

– إن تذكرتي بالدرجة الأولى. فزمجر الحمَّال وهو يغمرها بنظراته قائلاً:

– لم أسمعك تقولين ذلك.

وآثرت السيدة "**ماك جيليكودي**" التي كانت واثقة بأنها أحاطته علمًا بذلك ألاّ تجادله في الأمر؛ لأنها كانت جد متعبة.

ورفع الحمّال الحقيبة ولحق بالسيدة "**ماك جيليكودي**" التي وجد أنها استقرت ناعمة بمقعدها وبعزلتها، ولـم يكن قطار الساعة 4:54 من القطارات المزدحمة؛ لأن ركاب الدرجة الأولى كانوا يفضلون أن يستقلوا قطار الصباح السريع أو قطار الساعة 6:40 الملحق به عربة المطعم. ومدّت السيدة "**ماك جيليكودي**" يدها إلى الحمّال بأجره الذي تناوله منها غير راضٍ؛ لأنه كان يمني نفسه بأجر يتفق مع مسافرة بالدرجة الأولى.

غير أن السيدة "**ماك جيليكودي**" التي ما كانت لتبخل على نفسها بسفر مريح بعد رحلة الليل الطويلة من الشمال وبعد جولة النهار المحمومة بالمتاجر، لم تكن لتبسط يدها بالعطاء كل البسط.

واسترخت في مقعدها الوثير تتصفح إحدى المجلات. وبعد خمس دقائق تحرك القطار وبعد ثلاث دقائق أخرى سقطت المجلة من يدها، وراحت السيدة "**ماك جيليكودي**" تغط في نوم عميق، وواصلت نومها طوال خمس وثلاثين دقيقة استيقظت بعدها نشيطة وقد زال عنها ما كانت تشعر به من إجهاد. ثم اعتدلت في مجلسها تتطلع من النافذة إلى ما تستطيع أن تراه، فلقد كان الظلام حالكًا في هذه الليلة من ليالي شهر كانون الأول (ديسمبر)، ولم يبقَ سوى خمسة أيام يحل بعدها عيد الميلاد. ولم تكن السيدة "**ماك جيليكودي**" لترى سوى ومضات الضوء الخاطفة، التي تنبعث من المدن والمحطات التي لا يقف بها القطار.

وأقبل الساقي ليعلن (سيقدم الشاي الأخير الآن)، وواصل الرجل طريقه يردد

إعلانه بنبرات مملة رتيبة. وكانت السيدة "**ماك جيليكودي**" قد روت ظمأها من الشاي قبل قدومها إلى محطة السكة الحديد. ورفعت السيدة "**ماك جيليكودي**" عينيها تتأمل راضية اللفائف المختلفة فوق الرف. إن هذه المناشف هدية لها قيمتها وهي عين ما تريده "**مارجريت**"، وتلك البندقية هي خير ما يقدم لـ "**روبي**"، وذلك الأرنب هو أنسب ما يهدى إلى "**جان**"، وهذا المعطف هو أفضل ما وقع عليه اختيارها لنفسها. وأخيراً زفرت زفرة ارتياح ورضا عما قامت به شراءً واختياراً.

واستدارت بعينيها إلى النافذة التي كانت تهتز تحت تأثير ضغط الهواء المتخلف عن القطار المندفع في الاتجاه المضاد، غير عابئ بالمحطة التي كان من المفروض أن يهدئ من سرعته قليلاً عندها.

وفجأة بدأ هذا القطار يخفض من سرعته امتثالاً لإحدى الإشارات. وواصل سيره البطيء لبضع دقائق، قبل أن يتوقف أخيراً ليستأنف سيره من جديد ويستعيد سرعته ثانية. وفي نفس الاتجاه المضاد تلاه قطار آخر أقل سرعة واندفاعًا. وفي تلك اللحظة أقبل قطار آخر لينحرف في نفس اتجاه القطار الذي تستقله السيدة "**ماك جيليكودي**" ويواصل طريقه في خط حديدي موازٍ لذلك القطار، وراحت السيدة تتطلع من النافذة المجاورة لها عبر نوافذ القطار الموازي سيرًا لقطارها. ولم يكن هذا القطار مزدحمًا بركابه.

وفي لحظة تحاذى فيها القطاران سرعة، بحيث يُخيَّل إلى الرائي أنهما توقفا عن الحركة ارتفع ستار إحدى نوافذ العربة المواجهة بصوت مسموع فتأملت السيدة "**ماك جيليكودي**" ما كشف عنه الستر المرفوع، حيث لم يكن يفصلها عن النافذة المكشوفة سوى بضع أقدام، وما إن شاهدت ما أمامها حتى نهضت فزعة تلتقط أنفاسها.

لقد وقع بصرها على رجل جاعل ظهره إلى النافذة، وكانت يداه تطبقان على عنق امرأة تقف في مواجهته محاولاً في بطء وبغير رحمة أن يزهق روحها، وكان وجهها محتقنًا وعيناها تكادان تبرزان من محجريهما. وبينما وقفت السيدة

"**جيليكودي**" تتابع فزعة المشهد المثير أبصرت جسد الضحية يتخاذل ويتهاوى بين يدي الرجل.

وفي الوقت نفسه كان القطار الذي تستقله السيدة "**ماك جيليكودي**" قد بدأ يتهادى في سيره. بينما كان القطار الآخر قد بدأ يضاعف من سرعته وبعد دقيقة أو اثنتين كان القطار الآخر قد اختفى عن الأنظار.

وبحركة تلقائية رفعت السيدة "**ماك جيليكودي**" يدها إلى سماعة التليفون ولكنها توقفت مترددة حائرة. فماذا يجدي قيامها بذلك؟ ووجدت نفسها عاجزة عن الحركة والتفكير إثر ما استبد بها من فزع ورعب . إن ثمة ما يجب أن تسرع بعمله، ولكنها لم تكن لتدري ماذا هي فاعلة!

وفتح باب مقصورتها ووقف به المحصل يقول:

– تذاكر من فضلك. فاستدارت إليه السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة بحدة:

– لقد رأيت امرأة تقتل خنقًا في ذلك القطار الذي تجاوز قطارنا الآن. فتأملها المحصل في شدة قائلاً:

– معذرة يا سيدتي. وأومأت إلى النافذة وهي تقول:

– رأيت رجلاً يزهق روح امرأة خنقًا! في القطار الذي كان يسير بمحاذاتنا. لقد شاهدت هذا بعيني. وبدا المحصل وقد استبدت به عوامل الشك. ثم قال غير مصدق لما يسمع:

– خنقًا؟

– أجل خنقًا! لقد رأيت ذلك كما قلت لك. يجب أن تسرع بعمل شيء!

وعقَّب المحصل محرجًا:

– سيدتي لعلك غفوت قليلاً و... و...

– لقد غفوت فعلاً ولكنك إذا كنت تعتقد أن ما رأيته كان حلمًا فأنت مخطئ في اعتقادك هذا. لقد رأيت الحادث بعيني.

واستقرت عينا المحصل على المجلة التي كانت بجوارها فوق المقعد ورأى صورة

فتاة مقتولة يقف بجوارها رجل شاهر غدارته فقال لها محاولاً إقناعها:

– والآن يا سيدتي ألا تعتقدين أنك كنت تقرئين قصة مثيرة ثم غفوت في أثناء قراءتها فلما استيقظت... فقاطعته السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة:

– قلت لك غير مرة إنني شاهدت الحادث بعيني هاتين، وكنت لا أقل عنك يقظة وإدراكًا. شاهدت ذلك بينما كنت أتطلع من هذه النافذة عبر نافذة القطار الآخر وأبصرت رجلاً يزهق روح امرأة خنقًا. وكل ما أريد أن أعرفه الآن، هو ماذا أنت فاعل إزاء ما أخبرتك به؟

– حسن يا سيدتي.

– أعتقد أن من واجبك أن تفعل شيئًا؟

فزفر المحصل زفرة حارة وهو يلقي نظرة على ساعته، ثم قال:

– سنصل إلى محطة "**براكهامبتون**" بعد سبع دقائق وسوف أقوم بإبلاغ ذوي الشأن بما سمعته منك. في أي اتجاه كان يسير القطار الآخر؟

– في عكس اتجاه قطارنا هذا. بداهة ما أظنك تعتقد أنه كان بوسعي أن أرى ما رأيت في قطار كان يسير في عكس اتجاهنا؟

وبدا على المحصل أنه يرى في السيدة "**ماك جيليكودي**" أهلاً لكل شيء فقد تسلطت الفكرة على ذهنها، ولكنه آثر أن يلتزم بالصمت. فقال لها في آخر الأمر:

– سيدتي، يمكنك أن تثقي بي، سأحيط ذوي الشأن علمًا بكل ما سمعته منك. والآن إليّ باسمك وعنوانك فربما استدعى الأمر الاتصال بك.

وأسرعت السيدة "**ماك جيليكودي**" تزوده بعنوان إقامتها المؤقت في الأيام القليلة التالية وبعنوان إقامتها الدائم في "**اسكتلندا**"، ثم انسحب الرجل متخذاً مظهر من أدى واجبه ووفق في إرضاء هذه السيدة المعقدة.

وجلست السيدة "**ماك جيليكودي**" مقطبة الجبين غير مقتنعة بما وعدها به المحصل، فهل تراه سيرفع الأمر إلى ذوي الشأن؟ أم تراه قد وعدها بذلك ليهدئ من روعها؟ إن ثمة من النساء من يستسلمن لخيالهن، ولعله قد التقى بالكثيرات

منهن. فهل تراه قد اعتقد أنها واحدة منهن؟

وبدأ القطار يهدئ من سرعته توطئة لتوقفه عند المحطة التالية. وفتحت السيدة "**ماك جيليكودي**" حقيبة يدها، وأخرجت منها قصاصة ورق دونت بها مذكرة وضعتها في ظرف تصادف وجوده بالحقيبة، ثم أغلقت الظرف وسطرت عليه بضع كلمات.

وتهادى القطار في سيره بجوار رصيف المحطة، وسمعت صوت المذياع يعلن: (القطار الذي يتوقف الآن أمام الرصيف رقم (1) هو قطار الساعة 5:38 إلى "**ميلشيستر**" و"**ويفرتون** و"**روكستر**"، والمحطات إلى "**تشاد ماوث**". وعلى المسافرين إلى "**ماركت باسبنج**" أن يستقلوا القطار الواقف بالرصيف رقم (3) والرصيف الفرعي لوقوف القطار المتجه إلى "**كاربوري**".

ونهضت السيدة "**ماك جيليكودي**" تطل من النافذة في لهفة إلى أن وقع نظرها على أحد الحمّالين فسألته قائلة:

– أرجو أن تحمل هذا إلى ناظر المحطة فوراً.

ثم سلمته الظرف ونفحته شلناً، وبعد ذلك اضطجعت في مقعدها وقد سري عنها. لقد قامت بكل ما تستطيع القيام به، وشردت بذهنها إلى المشهد الذي قدر لها أن تراه... إنه لمشهد رهيب حقًّا!

وعلى الرغم مما تعرفه عن نفسها من قوة الأعصاب فإنها شعرت برعدة تسري في بدنها، يا لها من مصادفة! أن يقدر لها هي "**إليزابيث ماك جيليكودي**" مشاهدة ما حدث. ترى إذا لم يقدر لستارة النافذة أن ترتفع كاشفة عما يجري خلفها. .إن القدر أراد ذلك. لقد أراد القدر أن تشهد "**إليزابيث ماك جيليكودي**"وقوع هذه الجريمة وضمت شفتيها في حزم.

وبين ضجيج الأصوات، وصفق الأبواب تحرك القطار الساعة 5:38 مغادراً محطة "**براكها مبتون**". وبعد ساعة وخمس دقائق وصل هذا القطار إلى محطة "**ميلشيستر**" ونهضت السيدة "**ماك جيليكودي**" تجمع حاجاتها لتغادر القطار. ووقفت تجيل النظر

بحثًا عن أحد الحمالين، وأخيرًا وجدت ضالتها وسألها الحمال:

– سيارة أجرة؟

– ثمة من سيكون في انتظاري كما أتوقع. وفي خارج محطة "**ميلشيستر**" أقبل سائق أجرة عليها يسألها بلهجة محلية رقيقة:

– السيدة "**ماك جيليكودي**" فيما أعتقد ! في زيارة لـ "**سانت ماري ميد**"؟

وعرَّفته السيدة "**ماك جيليكودي**" بنفسها وبعد أن نقدت الحمَّال أجره استقلت السيارة الأجرة التي كانت في انتظارها. وجلست في السيارة متوترة الأعصاب، تسرح الطرف فيما يكتنفها من ظلام دامس. وأخيراً توقفت السيارة بها أمام منزل صديقتها، وفتحت الباب لها خادم عجوز، وخطت السيدة "**ماك جيليكودي**" إلى البهو حيث وجدت مضيفتها واقفة في انتظارها أمام باب غرفة الجلوس. وكانت سيدة رقيقة متقدمة في السن. صاحت فرحة

– "**إليزابيث**"!

– "**جين**"! وكان عناق بين الصديقتين، ودون مقدمات بادرت السيدة "**ماك جيليكودي**" مضيفتها قائلة:

– أواه، يا صديقتي! لقد شاهدت لتوي حادث قتل!

- 2 -

وإخلاصًا منها لما لقنتها إياه والدتها وجدتها– أن تكون فطنة متوقدة الذهن، وأن السيدة بحق لا يمكن أن تبدو مذعورة دهشة– حرصت الآنسة "**ماربل**" على ألاّ تفعل شيئًا أكثر من رفع حاجبيها وتحريك رأسها قائلة:

– لكم أشفق عليك. لقد تعرضت لأمر غير عادي! أعتقد أن من الخير لك أن تسرعي بسرد ما لديك.

وهذا ما كانت تصبو السيدة "**ماك جيليكودي**" إلى أن تفعله. فاتخذت لها مقعداً بجوار المدفأة، في مواجهة مضيفتها، ونزعت قفازها وراحت تسرد على

مسامع الآنسة "**ماربل**" قصتها المثيرة.

وأصغت إليها مضيفتها بكل حواسها. وما إن فرغت السيدة "**ماك جيليكودي**" من سرد ما لديها وتوقفت لتلتقط أنفاسها حتى انبرت الآنسة "**ماربل**" تقول لها:

- خير ما تفعلينه الآن، يا عزيزتي، هو أن تصعدي إلى غرفتك للاغتسال واستبدال ثيابك. ثم تهبطين لتناول طعام العشاء الذي لن يتخلله الحديث عن هذا الموضوع من جميع زواياه.

وصادف هذا الرأي القبول من السيدة "**ماك جيليكودي**".

وجلست السيدتان إلى مائدة العشاء تتجاذبان أطراف الحديث عن نواحي الحياة المختلفة في قرية "**سانت ماري ميد**" وعرجت الآنسة "**ماربل**" في حديثها إلى شتى ما يحكى في القرية الصغيرة عن بعض أعضاء مجتمعها. ثم دار الحديث بين السيدتين عن الزهور وفن تنسيق الحدائق.

وعادت السيدتان إلى مقعديهما بجوار المدفاة. وقبل أن تستقر الآنسة "**ماربل**" في مقعدها اتجهت إلى صوان وعادت تحمل كاسين وزجاجة شراب قائلة:

- إن القهوة لن تناسبك الليلة. وأرى أنك محتاجة إلى ما يهدئ أعصابك؛ لكي يتيسر لك نوم عميق. إليك هذه الكاس من مشروب جيد، ثم ساعد لك قدحًا من مشروب آخر قبل أن تأوي إلى الفراش. وتناولت السيدة "**ماك جيليكودي**" الكأس من صديقتها، وبعد أن ارتشفت منها قليلاً بادرتها قائلة:

- "**جين**"، عسى ألا يخيل إليك أنني رأيت ما رأيت فيما يراه النائم، أو أنه كان محض خيال.

- كلا، بكل تأكيد. وكان صوت الآنسة "**ماربل**" وهي تقول هذا، يفيض حرارة وثقة بما ارتاحت له السيدة "**ماك جيليكودي**" نفسًا ثم قالت:

- لقد خُيل إلى المحصل شيء من هذا القبيل. حقيقة أنه كان جم الأدب في مناقشته لي، غير أنه ...

– أعتقد أنه كان من الطبيعي، في مثل هذه الظروف، أن يتبادر إلى ذهنه هذا الخاطر. إن القصة تبدو لأول وهلة من الأمور المستبعدة... ولم يكن له بك سابق معرفة، أما عني، فلست أشك لحظة في صحة روايتك. صحيح أن ما شاهدته يعد من القصص النادرة، ولكنه ليس بالمستحيل وقوعه. وأذكر أنني كثيراً ما كنت أعمد إلى التطلع إلى القطار الذي يسير بمحاذاة القطار الذي أستقله لمتابعة ما يضطرب في بعض عرباته من حياة. وكنت أجد فيما أراه مصدر تسلية ومفارقات سارة. وأذكر ذات يوم، أنني رأيت فتاة صغيرة كانت تلهو بدمية دب بين يديها، وإذا بها ترمي بها رجلاً بديناً كان يغط في نومه. ونهض الرجل مذعوراً يتلفت فيما حوله، بينما راح المسافرون يتأملونه مبتسمين وظلت هذه الصورة منطبعة في ذهني لفترة طويلة.

– وهذا هو عين ما كان من أمري.

– تقولين إن الرجل كان معطيا ظهره لك. أفهم من ذلك أنك لم تتمكني من رؤية وجهه.

– كلا.

– وهل بوسعك أن تصفي المرأة؟ أفي مقتبل العمر؟ أم متقدمة في السن؟

– أعتقد أن سنها ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين.

– حسنة المظهر؟

– هذا ما لا أستطيع الجزم به. لقد كان وجهها محتقناً.

– أجل، أجل، هذا بديهي. ماذا كانت ترتدي؟

– كانت ترتدي معطفاً من الفراء، من اللون الأصفر. ولم تكن تضع قبعة فوق شعرها الأشقر.

– ألا تذكرين شيئا عن الرجل، ما يميزه عن غيره؟ علامة مميزة مثلاً؟ وتريثت السيدة "**ماك جيليكودي**" قليلاً قبل أن تجيب:

– كان طويل القامة، يميل إلى السمرة. وكان يرتدي معطفاً ثقيلاً مما لا أستطيع معه أن أحدد بنيانه. في الواقع، إن معلوماتي عنه قاصرة لا تشفي غليلاً. أليس

كذلك؟

– شيء خير من لا شيء.. هل أنت واثقة بأن الفتاة قد لفظت أنفاسها الأخيرة؟

– أجل. إنني جد واثقة بذلك. لقد رأيت لسانها يتدلى من...أرى أنه من الخير لي ألا أسترسل في وصف بشاعة ما رأيت..

– هذا بديهي. لا عليك من هذا. إننا سنعرف المزيد، كما أتوقع، في الصباح.

– أجل، في صحف الصباح.

– إن هذا الرجل بعد قتله لهذه الفتاة، سيجد بين يديه جثة لا يدري ماذا هو فاعل بها؟ ومن البديهي أن يسرع بمغادرة القطار في أول محطة يتوقف بها وبالمناسبة، هل تذكرين ما إذا كانت العربة من ذوات الدهليز أم لا؟

– كلا، لم تكن كذلك.

– هذا يعني أن القطار لم يكن من قطارات المسافات البعيدة، مما يستنتج توقفه بمحطة "**براكها مبتون**". لنفرض أن الرجل سيسرع بمغادرة القطار في "**براكها مبتون**" تاركًا جسم الجريمة... هذا ما أعتقد أنه فاعله. غير أننا يجب أن نفترض أيضًا أن الجثة سيكتشف أمرها وشيكًا، ومن هنا كان افتراضي أننا سنطلع على أنباء الحادث في صحف الصباح، إثر اكتشاف جثة المرأة القتيل في القطار. (إن غدًا لناظره قريب).

✽✽✽✽✽

غير أن صحف الصباح لم تنشر شيئًا عن الحادث.

وجلست كل من الآنسة "**ماربل**" والسيدة "**ماك جيليكودي**" إلى مائدة الإفطار، وقد ران الصمت عليهما. وكانت كل منهما شاردة الفكر، ساهمة النظرات. وبعد الفراغ من تناول طعام الفطور، قامتا بجولة في الحديقة. ولم تنعما بهوايتهما كما كان شأنهما من قبل؛ لأن ذهنهما كان يضطرب بالتفكير في هذا الحادث.

وبعد حديث لا غناء فيه عن فن تنسيق الحدائق والعناية بزهورها أعقبته فترة

صمت قصيرة، استدارت السيدة "**ماك جيليكودي**" إلى صديقتها قائلة:

– حسن؟ وعلى الرغم من أنها لم تضف إلى هذه الكلمة حرفًا، فإن نبرات صوتها كانت تعني الكثير مما أدركته الآنسة "**ماربل**" فوراً، قالت:

– أعرف ما يجول بخاطرك. ووقفت كل منهما تحدق النظر إلى الأخرى. ثم استطردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– أعتقد أنه يحسن بنا أن نتوجه إلى مركز الشرطة لمكاشفة الرقيب "**كورنيش**" بالأمر. إنه متوقد الذكاء حسن التقدير، ولي به معرفة سابقة. وأعتقد أنه سيستمع إلى قصتنا، ثم يقوم من ناحيته بإبلاغ الأمر إلى من يرى من المختصين.

وبناء على ذلك، كانت كل من الآنسة "**ماربل**" والسيدة "**ماك جيليكودي**" تتحدثان بعد ثلاثة أرباع الساعة إلى رجل رزين تتراوح سنه بين الثلاثين والأربعين، يصغي إليهما بانتباه ويقظة. وكان استقبال "**فرانك كورنيش**" للآنسة "**ماربل**" استقبال ود وحفاوة. وبعد أن قدم للسيدتين مقعدين قال:

– ماذا يمكنني أن أقوم به من أجلك، يا آنسة "**ماربل**"؟

– أرجو أن تسمع لما ستقصه عليك صديقتي السيدة "**ماك جيليكودي**"..

واستمع الرقيب "**كورنيش**" في هدوء للقصة، وبعد أن فرغت السيدة من سرد قصتها، ظل صامتاً بعض الوقت، ثم قال:

– إنها لقصة لها العجب.

وكان الرجل يصعد بعينيه إلى السيدة "**ماك جيليكودي**" ، دون أن يشعرها بذلك بينما كان جالسًا يصغي إليها. وبدا أنه أخذ يتفحصها، إنها امرأة متزنة، قادرة على استعادة سرد ما شاهدته بجلاء. وهي أبعد ما تكون عن الانسياق وراء خيالها أو أوهامها. ثم إن الآنسة "**ماربل**" –كما يبدو– تحمل قصة صديقتها محمل الجد وتؤمن بها. وإنه ليعرف جيداً، من هي الآنسة "**ماربل**" والجميع في "**سانت ماري ميد**" يعرفون حقيقة ما هي عليه من ذكاء وفطنة. وأخيراً استطرد الرجل قائلاً:

– ربما تكونين قد أخطأت.. مهلاً، لم أقل إنك أخطأت قلت ربما تكونين قد أخطأت في تقديرك لما وقع عليه نظرك. لِمَ لا يكون ما شاهدت بالغ الخطورة أو الجد كما خيل إليك؟

– إنني جد واثقة بما رأيت، صورة وتقديراً.

– مهما يكن من أمر فقد قمت بما يجب من إبلاغ الأمر لرجال السكك الحديدية، كما قمت بإبلاغي بما كان. وما قمت به هو الإجراء السليم الذي كان من الواجب أن يتخذ، وليس عليك الآن سوى أن تتركي الأمر بين يدي.

رأى الآنسة "**ماربل**" تومئ برأسها راضية عما سمعته منه. أما السيدة "**ماك جيليكودي**" فلم تكن راضية كل الرضا؛ وإن كانت قد رأت ألا تعقب بشيء. وكان الرقيب "**كورنيش**" حريصًا على الاتجاه بحديثه إلى الآنسة "**ماربل**"؛ ليسمع ما عساها أن تعقب به فانبرى قائلاً:

– مع التسليم بكل ما استمعنا إليه من وقائع، فماذا عن أمر الجثة؟ ودون أدنى تردد، سارعت الآنسة "**ماربل**" بقولها:

– إن ثمة احتمالين، فيما يبدو: أولهما، وهو الأكثر احتمالاً، أن يكون القاتل قد ترك الجثة في القطار، وإن كنت أستبعد ذلك الآن؛ لأنه كان من المفروض أن يتم العثور على الجثة في أثناء الليل بمعرفة أحد المسافرين، أو أحد رجال السكك الحديدية بعد وصول القطار إلى محطة النهاية. وأومأ "**فرانك كورنيش**" برأسه مبديًا موافقته على هذا الرأي واستطردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– والاحتمال الثاني، الذي لم يكن أمام القاتل غيره، هو أن يلقي بالجثة من القطار في أثناء سيره، وليس من شك في أنها لاتزال حيث ألقى بها، ما دام أمرها لم يكتشف بعد.. وإن كنت أستبعد ذلك أيضًا.. أستبعد عدم اكتشاف أمر الجثة إلى الآن. ومهما يكن من أمر فلست أرى سوى هذين الاحتمالين أسلوبًا لمعالجة المشكلة. وانبرت السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة:

– إننا نقرأ عن الجثث التي تودع الصناديق. غير أنه ما من أحد يسافر حاملاً

صندوقًا في أيامنا هذه. إن الناس لا تحمل معها سوى حقائب الملابس، التي لا يمكن أن تتسع للجثث. قال "**كورنيش**" :

– أجل. إنني متفق معكما في الرأي. إن الجثة إذا ما كانت هناك جثة، كان من المتعين اكتشاف أمرها، إن عاجلاً أو آجلاً. سأحيطكما علمًا بكل ما يستجد من تطورات، وإن كنت أفترض إطلاعكما على ما ينشر من ذلك في الصحف. وثمة احتمال آخر ألا وهو أن المرأة قد تكون مازالت على قيد الحياة. بمعنى أنها بعد أن أفاقت كانت قادرة على مغادرة القطار بمفردها. فعقبت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– دون معاونة أحد؟ قد يكون هذا بعيد الاحتمال، وإن حدث شيء من هذا القبيل، على أي من الوجهين فلا بد من أن يسترعي انتباه أحد. وأردف "**كورنيش**" موافقًا:

– أجل. لابد من أن يلفت الأنظار، إنه إذا ما وجدت امرأة فاقدة الوعي في عربة من قطار ونقلت إلى أحد المستشفيات، فإننا نعلم بذلك من السجلات الرسمية. أعتقد أننا سنسمع قريبًا عن هذا الأمر، بوسيلة أو بأخرى. وانقضى اليوم وما تلاه من يوم آخر. وفي مساء اليوم التالي تلقت الآنسة "**ماربل**" مذكرة من الرقيب "**كورنيش**" :

"بناء على ما تحدثت به إليّ، قمت بالتحريات اللازمة، غير أنني لم أتوصل إلى نتيجة ما. ولم يتم إلى هذه الساعة اكتشاف جثة لامرأة ما، ولم تودع إحدى النساء مستشفى ما، ولم يبلغ أحد عما يمت لهذا الحادث بصلة. وأرجو أن تثقي بأننا بذلنا أقصى جهد في تقصي حقيقة هذا الأمر. وفي رأيي أن صديقتك قد شاهدت ما عرضته علينا غير أن هذا المشهد ربما كان أقل جدية مما قدرته" .

- 3 -

قالت السيدة "**ماك جيليكودي**"، وهي تحدج الآنسة "**ماربل**"بنظراتها:

– أقل جدية؟ هراء وهذر! هيا، أفصحي عما يدور بخلدك. قولي إنني تخيلت

الأمر كله! أليس هذا هو ما تبادر إلى ذهنك الآن؟

– ما من أحد إلا ويخطئ. إننا جميعًا معرضون لهذا، وهذا ما يجب أن نضعه نصب أعيننا. غير أنني ما زلت أعتقد أنك لم تسردي على مسامعنا إلا حقًّا، لقد بلغ تأثرك بما شاهدت إلى حد أنني لمست ذلك منك حينما استقبلتك مرحبة.

– إن ما شاهدته من الأحداث لا ينسى. إن ما أضيق به الآن، هو أنني لست أدري ماذا يمكنني أن أفعل إزاء ما شاهدت!

– أعتقد أنك قمت بكل ما يجب أن يتخذ من إجراء في مثل هذه الأحوال: لقد قمت بإبلاغ ذوي الشأن بما شاهدت– أبلغت رجال السكك الحديدية ورجال الشرطة، ما أظن أن ثمة ما كان يمكن أن تقومي به أكثر مما قمت به.

وإذا ما كان قد قدر للسيدة "**ماك جيليكودي**" أن تتابع نبرات صوت صديقتها، لكانت قد لمست من ذلك ما عمدت إليه من ضغط مؤكد عند نطقها بكلمة «أنك» وكان تعقيب السيدة "**ماك جيليكودي**" على رأي صديقتها:

– لقد أزحت عبئًا ثقيلاً عن صدري؛ لأنني –كما تعرفين– راحلة إلى "**سيلان**" بعد عيد الميلاد مباشرة للإقامة لفترة ما مع "**رودريك**"، ولست أريد أن أؤجل هذه الزيارة التي كنت أتوق إليها كثيراً وأخشى أن تضطرني الظروف إلى تأجيلها.

– هذا إذا ما اقتضى واجبك منك ذلك. وأعود لمصارحتك بأنك قمت بكل ما يجب عليك إزاء ما شاهدت.

– إن مرجع الأمر أخيراً للشرطة . هذا ما لم . . .

– كلا، كلا، لا تخشي شيئًا. إن رجال الشرطة يتحرون الدقة في قيامهم بواجبهم، إن كل ما نريد أن نعرفه الآن هو حقيقة ما حدث فعلاً.

– إن ما حدث لم يكن سوى جريمة قتل دون ريب.

– أجل، ولكن، من عساه أن يكون القاتل، ولماذا، وماذا كان من أمر الجثة؟ وأين يا ترى توجد هذه الجثة الآن؟ إن الحادث يكتنفه الغموض.

– علي رجال الشرطة أن يقوموا بتقصي الحقيقة. فهذا هو واجبهم.

– تماماً! ولقد قاموا بذلك، ولكنهم لم يوفقوا إلى الآن. وهذا يعني أن القاتل كان متناهي البراعة في تخلصه من الجثة. إن ملابسات هذا الحادث تدل على أنها كانت جريمة عفوية غير مسبوقة بالإصرار عليها. فلا يمكن للقاتل الذي أعد العدة لارتكاب جرمه، أن يقوم بذلك في قطار على وشك الوصول إلى إحدى المحطات الكبرى. كلا، لقد بدأ الأمر شجاراً أثارته عوامل الغيرة أو شيء من هذا القبيل.

وكان أن أزهق الرجل روحها خنقًا في ثورته، ثم أفاق ليجد نفسه أمام جثة يجب أن يتخلص منها، أو أن يدعها حيث هي، لضيق الوقت ويسرع بمغادرة القطار في أول محطة. وهذا ما لم يحدث كما تبين لنا... واستغرقت الآنسة "**ماربل**" في تفكير عميق. ولم تنتبه لما كانت تحدثها به السيدة "**ماك جيليكودي**" التي قالت لها:

– "**جين**"، ترى هل أصبت بالصمم؟

– ربما! لقد سمعتك تتحدثين، ولكنني لم أتبين شيئًا مما كنت تتحدثين به؛ لأنني كنت مستغرقة في التفكير.

– كنت أستفسر منك عن مواعيد القطارات المسافرة إلى "**لندن**" غداً. إنني ذاهبة لزيارة "**مارجريت**" التي تنتظرني لتناول الشاي معها. أعتقد أن قطار بعد الظهر سيكون مناسباً؟

– يمكنك أن تسافري بقطار الساعة 12:15، وسآمر بإعداد طعام الغداء في ساعة مبكرة.

– فليكن.

– وإني لأتساءل عما إذا كانت "**مارجريت**" لا يضيرها أن تؤجل ساعة تناول الشاي إلى السابعة بدلاً من الخامسة؟ فتأملت السيدة "**ماك جيليكودي**" صديقتها في فضول:

– "**جين**" ماذا يدور بخاطرك؟

– أرى أن أصحبك في السفر إلى "**لندن**"، ثم نسافر إلى "**براكهامبتون**" بعد

أن نستقل القطار الذي سافرت به في ذلك اليوم، ثم تعودين أدراجك إلى "**لندن**"، وأعود بدوري إلى هنا. وسأقوم بدفع جميع النفقات.

– "**جين**"، بحق السماء ماذا تتوقعين من اقتراحك هذا؟! هل تتوقعين أن تشاهدي جريمة قتل أخرى؟

– كلا، بكل تأكيد. غير أنني أريد أن أرى بنفسي وبإرشادك موقع الجريمة.

وهكذا، كانت كل من الآنسة "**ماربل**" والسيدة "**ماك جيليكودي**" تستقلان في اليوم التالي قطار الساعة 4:54 من "**بادنجتون**" والقادم من "**لندن**" وكانت محطة "**بادنجتون**" أشد ازدحامًا مما كانت عليه في يوم الجمعة السابقة؛ لأنه لم يبق على حلول عيد الميلاد سوى يومين.

وجلست السيدة "**ماك جيليكودي**" تتابع سير القطارات على الخطوط الأخرى، وتلقي نظرة على ساعتها بين لحظة وأخرى. وكانت جميع القطارات تسير مسرعة في الاتجاه المضاد في طريقها إلى "**لندن**" أما القطارات المسافرة في نفس الاتجاه، فلم ترَ منها سوى قطارين مندفعين بسرعة لم تتح لقطارهما السير في محاذاتهما وأخيرًا انبرت السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة:

– من العسير أن أحدد متى سنصل إلى "**براكها مبتون**" ؟

– سنصل إلى "**براكها مبتون**" بعد خمس دقائق.

ووقف المحصل بباب مقصورتهما. ورفعت إليه الآنسة "**ماربل**" عينيها مستفسرة. وأومأت السيدة "**ماك جيليكودي**" برأسها نفيًا. فلم يكن صاحبنا بمحصل اليوم الأسبق. وبعد اطلاعه على تذكرتيهما، مضى في سبيله. وكان القطار قد أبطأ في سيره؛ لاجتياز أحد المنحنيات الطويلة. وقالت السيدة "**ماك جيليكودي**" :

– أظن أننا في طريقنا إلى "**براكها مبتون**".

– إننا على مشارف ضواحيها، فيما أظن. وبدت الأضواء والمباني والطرقات باقتراب القطار. الذي كان يهدئ من سرعته رويدًا رويدًا. وانبرت السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة:

– سنصل محطة "**براكها مبتون**" بعد دقيقة. إن هذه الرحلة لم تكن مجدية، أم هل ترين غير هذا الرأي؟

– كلا. لست أخالفك في ذلك.

– لقد كانت مضيعة للوقت والمال.

– لا عليك من هذا. إنني أحب دائمًا أن أعاين محل الحادث. إن هذا القطار قد وصل متأخرًا بضع دقائق. هل وصل قطار يوم الجمعة في موعده؟

– أعتقد هذا، وإن كنت لم أتحقق من ذلك.

وتوقف القطار أخيرًا بمحطة "**براكها مبتون**"، وارتفع صوت المذياع يرشد المسافرين. واختلط الصوت بأصوات الأبواب تفتح وتوصد، وبوقع خطوات المسافرين فوق الرصيف الذي كان مزدحمًا بهم.

وتبادر إلى ذهن الآنسة "**ماربل**"، أنه من اليسير على القاتل أن يتوارى بين صفوف هذا الحشد وأن يغادر المحطة دون أن يشعر به أحد إلى حيثما شاء. غير أنه ليس من اليسير أن تختفي جثة بمثل ما اختفى به رجل على قيد الحياة. إن هذه الجثة يجب أن تكون في مكان ما. وذهبت السيدة "**ماك جيليكودي**" إلى رصيف المحطة، حيث وجهت حديثها إلى صديقتها عبر النافذة المفتوحة.

– "**جين**" احذري أن تصابي بنزلة برد. للسن أحكامها. ولنترك هذا الموضوع ولا ندعه يقض مضجعنا، بعد أن بذلنا في سبيله أقصى ما نستطيع.

– "**إليزابيث**" لا تقفي هكذا فتعرضي نفسك للإصابة بما تنصحينني بتجنبه. هيا إلى (البوفيه) حيث تتناولين قدحًا من الشاي، فما زال لديك متسع من الوقت– حوالي 12 دقيقة– قبل قدوم قطارك الذي يعود بك إلى المدينة.

– هذا ما سأفعله، إلى اللقاء.

– إلى اللقاء، وعيد ميلاد سعيد. أرجو أن تجدي "**مارجريت**" في أحسن حال. كما أرجو لك مقامًا طيبًا في "**سيلان**". ولا تنسي أن تحملي تحياتي إلى "**رودريك**"، وإن كنت أشك في أنه ما زال يذكر شيئًا عني.

– وهل ثمة شك في أنه يحمل لك أجمل الذكريات؟ وهل ينسى معاونتك حينما كان يتلقى علومه بالمدرسة؟

– إنني لم أفعل شيئًا يستحق كل هذا؟

وخطت السيدة "**ماك جيليكودي**" بعيداً عن القطار الذي بدأ يتحرك. وراحت الآنسة "**ماربل**" تتأمل ظهر صديقتها التي كانت تخطو بثبات، بعد أن أزاحت عن عاتقها ما خلفه هذا الحادث في نفسها من هم وشعور بالمسؤولية.

ولم تسترح الآنسة "**ماربل**" في مقعدها، بل جلست تفكر مليًّا، وتستعرض الأمر بذهن متوقد منظم. لقد قالت صديقتها إنهما قد قامتا بما يجب عليهما وبكل ما في وسعهما. وإن صح هذا بالنسبة إلى السيدة "**ماك جيليكودي**" فإنه لا يصح بالنسبة إلى الآنسة "**ماربل**".

إن لديها مشكلة- مشكلة ماذا يتعين عليها أن تفعله إزاء هذه الجريمة الغامضة؟ إن واجبها لا يقف عند الحد الذي يتوقف عنده واجب غيرها. فعليها أن تستغل مواهبها وما حباها الله به فيما ينفع أم ترى أن للسن أحكامها كما قالت صديقتها؟ وراحت تقلب الأمر على كل وجه إلى أن انتهى بها تفكيرها إلى ما يلي:

أولاً- تجاربي الكثيرة في الحياة وخبرتي بطبيعة البشر.

ثانيًا- السير "**هنري كليثرنج**" وابن شقيقته (الذي يعمل الآن في "**اسكتلانديارد**"، فيما أعتقد) ومعاونته الصادقة في قضيته "**ليتل بادوكس**".

ثالثًا- ابن شقيقي "**رايموند دافيد**" الذي يعمل الآن بالسكك الحديدية.

رابعًا- ابن "**جرايزالد**"، "**ليونارد**"، الخبير بالخرائط.

ورجحت لديها كفة الاضطلاع بمسؤولية العمل على إماطة اللثام عن سر هذه الجريمة والكشف عن معمياتها. إن فيما استعرضته من إمكانات ما يعفيها من كثرة الحركة التي لم تعد تتفق مع تقدمها في السن، وهو وجه الاعتراض الوحيد في الكفة الأخرى. ولن يجد طبيبها الخاص منفذاً للحيلولة بينها وبين ما تبغي؛ لأنها ستتخذ سبيلاً لن يؤذي صحتها. إنها خير من يدرك كم هي محتاجة إلى

الراحة والدعة. إنها لتشعر الآن أنها في أمس الحاجة إلى العودة إلى منزلها والاسترخاء في مقعدها الوثير أمام المدفأة. إن كل ما تستطيع أن تفعله في سنها هذه، أن تفكر مليًّا وتوجه من تشاء إلى ما يهديها إليه تفكيرها.

وراحت تطل من النافذة، وتتأمل شاردة الذهن ما أمامها من جمال الطبيعة. وفجأة قفزت إلى ذهنها صورة المنحنى بعد أن قام المحصل بالاطلاع على تذاكر السفر.

المنحنى... إنه يوحي إليها بفكرة ما. مجرد فكرة... وشعرت الآنسة "**ماربل**" بأن كل ما كانت تشعر به من إرهاق قد زال عنها، وأن النشاط قد عاد يدب في أوصالها. وحدثت نفسها قائلة: «سأحرر رسالة إلى "**دافيد**" صباح باكر». ثم تبادر إلى ذهنها ما جعلها تردد: "وبديهي أن أتصل بـ "**فلورنس**" الوفية!".

❁❁❁❁❁

أعدت الآنسة "**ماربل**" خطتها بإحكام، وحسبت لأعياد الميلاد حسابها كعامل مرجئ للتنفيذ. وكتبت لابن شقيقها، "**دافيد وست**"، تقرن تحيتها له بعيد الميلاد بما تريده من معلومات عاجلة.

وشاءت محاسن المصادفات أن تدعى إلى عشاء عيد الميلاد في الأبرشية، كالسنوات السابقة حيث تيسر لها الاتصال بـ "**ليونارد**" الشاب، ومبادلته حديثًا طويلاً عن الخرائط التي كانت هوايته الوحيدة.

ولم يثر فضوله السبب الذي حدا بهذه السيدة المتقدمة في السن إلى الاهتمام بالاستفسار منه عن مواقع منطقة معينة بالذات حسبما هو موضح بالخرائط المحلية. لقد كان منطلقًا في حديث مستفيض عن الخرائط بصفة عامة، وكان يدون لها ما تشاء من أبعاد ومواقع.

وشاءت محاسن المصادفات أيضًا أن توجد خريطة الموقع بين مجموعته، وقد رأى أنه من الأفضل أن يعيرها إياها. ووعدته الآنسة "**ماربل**" أن تحافظ عليها وأن تعيدها إليه شاكرة.



قالت الأم "**جرايزالد**" التي كانت تبدو أصغر سنًّا من أن يكون لها ولد في سن "**ليونارد** " :

– خرائط؟ ترى ماذا تبغي منها؟ أعني، لماذا تهتم بها؟

– لست أدري. إنها لم تفصح عن شيء يبين عما تبغيه.

– إني لأتساءل الآن... يبدو أن في الأمر شيئًا. كان ينبغي لها –في مثل سنها– أن تقلع عن هوايتها التي عرفت بها. واستفسر "**ليونارد**" من والدته عما عساها أن تكون هذه الهواية التي عرفت بها، فأجابته "**جرايزالد**" :

– هواية الفضول وحب الاستطلاع، والتدخل فيما لا يعنيها. وإني لأتساءل، لماذا الخرائط بالذات؟ وتلقت الآنسة "**ماربل**" رسالة من ابن شقيقها، "**دافيد وست**"، في الوقت المناسب، وفيما يلي نصها الودي:

«عزيزتي العمة "**جين**" ترى ماذا ترمين إليه أخيرًا؟ لقد حصلت على ما تريدين من معلومات. ثمة قطاران فقط يتفقان والزمن الذي حددته– قطار الساعة 4:33 وقطار الساعة 5، والقطار الأول من قطارات الركاب التي تتوقف بمحطات "**هولنج برودواي**" و"**بارويل هيث**"، و"**براكهامبتون**"، ثم المحطات إلى "**ماركيت باسنج**". أما قطار الخامسة، فهو القطار السريع إلى "**كارديف**"، و"**نيوبورت**"، و"**سوانسي**"، وقد يلحق قطار الساعة 4:54 بالقطار الأول في الطريق، وإن كان من المفروض أن يصل إلى "**براكها مبتون**" قبله بخمس دقائق وأن يتجاوز القطار الآخر السريع قطار الساعة 4:54 قبيل محطة "**براكها مبتون**".

وأشتم من كل هذا رائحة تزكم الأنوف، أليس كذلك؟ ترى هل قدر لك في أثناء عودتك في يوم ما بقطار الساعة 4:54 أن تشاهدي زوجة العمدة بين أحضان مفتش الصحة؟! ولكن ماذا يعنيك من تحديد القطار؟ ربما كانا يقضيان عطلة الأسبوع في "**بورتكول**"؟ شكرًا على الصدار. لقد كنت محتاجًا إلى هذه الهدية.

وحديقتك؟ كيف حالها؟ ما أظنها يانعة في مثل هذا الفصل من السنة».

المخلص دائمًا

"**دافيد**"

وبعد أن انفرجت شفتا الآنسة "**ماربل**" عن ابتسامة رقيقة راحت تمعن في النظر إلى ما بين يديها من معلومات. لقد قالت السيدة "**ماك جيليكودي**" إن العربة لم تكن من ذوات الدهليز. ويترتب على ذلك استبعاد قطار "**سوانسي**" السريع، والتركيز على قطار الساعة 4:33.

وأن تعود الآنسة "**ماربل**" إلى تجربة السفر ثانية لتقصي الحقائق من الأمور الشاقة، ومع ذلك فإنها ترى أنه لزام عليها أن تعيد التجربة على أساس ما تجمع لديها من معلومات جديدة، وأعدت خطتها، وحزمت أمرها.

واستقلت قطار الساعة 12:15 إلى "**لندن**" كما فعلت من قبل، ولكنها لم تعد هذه المرة بقطار الساعة 4:54 ، بل عادت بقطار الساعة 4:33 كانت تسبق ساعة العودة المسائية. ولم يكن بعربات الدرجة الأولى سوى راكب واحد– سيد متقدم في السن يتصفح صحيفة "**نيوستيتسمان**"، وكانت الآنسة "**ماربل**" تجلس بمفردها في مقصورتها، وتطل من نافذتها عند توقف القطار بمحطتي "**هولنج برودواي**" و"**بارويل هيث**"، لتتأمل المسافرين في رواحهم وغدوهم وكانوا جميعًا من ركاب الدرجة الثالثة. ولم يصعد إلى عربات الدرجة الأولى أحد، وهبط منها السيد العجوز في محطة "**بارويل هيث**"، متأبطًا صحيفته.

وما إن صار القطار على مقربة من "**براكهامبتون**" مجتازًا المنحنى الذي في الطريق إليها حتى نهضت الآنسة "**ماربل**" من مقعدها ووقفت مديرة ظهرها إلى النافذة التي أسدلت سترها، في تجربة لما عساه أن يحدث.

حقًّا، إن المنحنى مع التهدئة من سرعة القطار قد يفقد الإنسان توازنه ويلقي به في اتجاه النافذة التي أدار ظهره إليها، وقد يستتبع ذلك ارتفاع سترها. وحدقت النظر في ظلام الليل ورأت أن تقوم برحلة في وضح النهار.

وفي اليوم التالي، استقلت قطار الصباح المبكر، وعادت بالقطار الذي يغادر "**بادنجتون**" في الساعة 12:15 ووجدت أنها تنفرد بمقصورتها في عربة الدرجة الأولى كالمرة السابقة. ودار بخلد الآنسة "**ماربل**": «هذه الضرائب، ذلك هو

السبب .لا قبل لكل من شاء بالسفر أن يسافر في الدرجة الأولى، وذلك باستثناء رجال الأعمال. وما أظن أنهم باستطاعتهم هذا، إلا لأنهم يضيفون ثمن التذكرة إلى بند المصروفات".

وقبل أن يصل القطار إلى "**براكها مبتون**" بحوالي ربع الساعة، أخرجت الآنسة "**ماربل**" الخريطة التي زودها بها "**ليونارد**" وراحت تمعن في النظر إليها وتدرس مواقعها، إلى أن تعرفت على الموقع الذي يجتازه القطار في تلك اللحظة، حين كان القطار يهدئ من سرعته مراعاة للمنحنى الذي يستلزم ذلك. ووقفت الآنسة "**ماربل**" تمعن في النظر من خلال النافذة وتدرس البقعة التي يطويها القطار، إلى أن توقف أخيراً بمحطة "**براكها مبتون**".

وفي تلك الليلة، قامت الآنسة "**ماربل**" بتحرير رسالة إلى الآنسة "**فلورنس هيل**"، المقيمة برقم 4 طريق "**ماديسون**"، "**براكها مبتون**" وتوجهت في صباح اليوم التالي إلى مكتبة البلدية وقامت بالاطلاع على دليل مدينة "**براكها مبتون**".

ولم تجد ما يتعارض مع ما استقر في ذهنها من وجهة نظر مبدئية. إن ما جال بخاطرها كان من الممكن وقوعه. وحسبها الآن ما توصلت إليه.

غير أن الخطوة التالية تتطلب العمل– العمل الدائب– هذا العمل الذي لا قبل لها به جسمانيًّا. إنها تحتاج بشدة إلى الاستعانة بغيرها. وواجهتها مشكلة– من عساه أن يكون هذا الشخص؟ وراحت تستعرض مختلف الأسماء والإمكانيات إلى أن استبعدتها جميعًا.

إن من تثق بذكائهم ويمكنها أن تعتمد عليهم ليس لديهم متسع من الوقت للتفرغ لهذه القضية، ووجدت الآنسة "**ماربل**" نفسها تدور في دائرة من الحيرة والارتباك تبدأ من حيث تنتهي.

وفجأة، تبادر إلى ذهنها خاطر أضاء ما يكتنفه من ظلمات. فرددت بصوت مرتفع وقد تهللت بشراً:

– إنها "**لوسي إيلزبارو**"! خير من يصلح لذلك!

- 4 -

كان اسم "**لوسي إيلزبارو**" قد فرض نفسه على دوائر معينة بالذات.

وكانت "**لوسي إيلزبارو**" في الثانية والثلاثين من عمرها. وكانت قد حصلت على درجة الشرف الأولى في علم الحساب بجامعة "**أكسفورد**" وعرفت بتوقد ذهنها، وكان الناس يتوقعون لها مستقبلاً أكاديميًّا براقًا.

غير أن "**لوسي إيلزبارو**" علاوة على تفوقها العلمي، كانت شديدة الألمعية، عميقة الوعي، متزنة التفكير، وكانت تدرك أن الحياة الأكاديمية الممتازة لا غناء فيها بمعزل عن غيرها من نواح أخرى. ولم تكن بها رغبة في الاشتغال بالتدريس. وكان يروق لها أن تتصل بمن هم أقل منها ذكاء وفطنة. وإيجازاً للقول، فقد عرفت بحبها للناس، لكل طراز منهم مع حبها للتغيير من حين إلى آخر. وكانت في الوقت نفسه، وبكل صراحة، تحب المال لذاته وترى أنه على المرء في سبيل الفوز به، أن يستغل مواطن العجز في المجتمع... مواطن الحاجة إلى اليد العاملة.

وكان أن انخرطت "**لوسي إيلزبارو**" – وسط فرط دهشة أصدقائها وزميلاتها– في سلك الخدمة المنزلية. ووفقت في عملها هذا أيما توفيق. وأصبحت، بمضي الأعوام، معروفة في جميع أنحاء الجزر البريطانية. وأصبح مألوفًا لدى الأزواج أن يسمعوا من زوجاتهم «سيكون كل شيء على ما يرام، ويمكن أن أصحبك إلى "**الولايات المتحدة**"، بفضل "**لوسي إيلزبارو**"!». وعرف عن "**لوسي إيلزبارو**" أنها بمجرد أن تحل بمنزل ما، تذهب عن هذا المنزل متاعبه ومصادر القلق به، فقد كانت تقوم بكل شيء وتعتني بكل شيء، وتدبر أمر كل شيء. وكانت كفئًا لكل مشكلة قادرة على مواجهتها. وكانت تعتني بالكبار وبالصغار على حد سواء وتقوم على خدمة المرضى منهم، كيِّسة تروض المنحرفين، وتواسي المحزونين ولم تكن لتجد غضاضة في أي عمل يوكل إليها مهما قل شأنه!

وكانت تلتزم بقاعدة عدم الارتباط بعمل طويل المدى. فقد كانت لا ترتبط لأكثر من أسبوعين في الظروف العادية، وشهر على الأكثر في الظروف الاستثنائية.

وعلى من يريد استخدامها ألا يضن عليها بما تحدده من أجر! غير أن من يوفق إلى ذلك، يجد أنه بذل القليل في مقابل خدماتها الملموسة- فيمكنه أن يسافر إلى الخارج، وأن يلقي عن كاهله بكل مسؤولياته المنزلية، وألا يشغل نفسه بشيء، وكان من البديهي أن يتضاعف الطلب لخدماتها، مما من شأنه أن يغطي فترة ثلاثة أعوام مقدمًا. وكانت تحرص على إتاحة الفرصة لنفسها لقضاء فترات من الراحة والاستجمام. وكانت ترفض من الخدمات ما لا يصادف هوى في نفسها مهما يكن من أمر الأجر المعروض عليها. وكانت راضية عن حياتها ناعمة بكل ما فيها.

وقرأت "**لوسي إيلزبارو**" رسالة الآنسة "**ماربل**" أكثر من مرة، وكانت قد تعرفت بالآنسة "**ماربل**" منذ عامين، حينما استدعاها الكاتب القصصي "**رايموند وست**"، للقيام على خدمة عمته التي كانت في طريق الشفاء من التهاب رئوي. وقبلت "**لوسي**" هذا العمل وسافرت إلى "**سانت ماري ميد**"، واحتلت الآنسة "**ماربل**" من نفسها مكانًا ممتازًا. أما عن الآنسة "**ماربل**"، فما إن وقع نظرها على "**لوسي إيلزبارو**"، حتى صادفت قبولاً من نفسها وشعرت بالارتياح إليها وأقبلت على تناول ما تقدمه إليها من طعام، مما كان له أكبر الأثر في قضاء فترة نقاهتها في مدى أقل مما قدره لها الطبيب المعالج.

وكانت رسالة الآنسة "**ماربل**" إلى الآنسة "**إيلزبارو**"، تتضمن الاستفسار منها عما إذا كانت توافق على الاضطلاع بعمل معين- عمل له طابعه الخاص. وسألتها أن تحدد كيفية الاجتماع بها للتباحث في هذا الشأن.

وقطبت "**لوسي إيلزبارو**" جبينها، بينما كانت تفكر مليًّا فيما عرض عليها. إن جدولها الزمني مستكمل التوقيت. غير أن كلمة "له طابعه الخاص" وما تعرفه عن الآنسة "**ماربل**" وعن شخصيتها حدا بها إلى الاتصال تليفونيًّا بالآنسة "**ماربل**"، والاعتذار لها عن عدم استطاعتها الذهاب إلى "**سانت ماري ميد**" لارتباطها بعملها، مع إيضاح أنها على استعداد للاجتماع بها فيما بين الساعة الثانية والرابعة من بعد ظهر اليوم التالي في أي مكان بـ "**لندن**" واقترحت أن يكون

اللقاء في ناديها الخاص، إذا ما وافقت الآنسة "**ماربل**"، حيث يمكنهما أن تجتمعا في هدوء.

وصادف الاقتراح من نفس الآنسة "**ماربل**" قبولاً، وتم اللقاء بين الآنستين في اليوم التالي.

وبعد تبادل التحيات، اقتادت "**لوسي إيلزبارو**" ضيفتها إلى غرفة هادئة وهي تقول:

– إن وقتي لا يتسع في الوقت الحاضر للارتباط بعمل جديد. غير أنه لا ضير من أن أحاط علماً بما تريدين أن تعهدي به إليّ؟

– إن الأمر في غاية البساطة. إنه عمل غير عادي، ولكنه غير معقد. أريد أن أعهد إليك بالبحث عن جثة.

وتبادر إلى ذهن "**لوسي**" أن الآنسة "**ماربل**" تعاني اختلال قواها العقلية، ولكنها سرعان ما استبعدت هذا الخاطر من ذهنها. إن الآنسة "**ماربل**" في كامل قواها العقلية. إنها تعني ما قالته مبنى ومعنى. وأخيراً، وجهت إليها "**لوسي**" هذا السؤال:

– جثة من ؟!

– جثة امرأة . جثة امرأة خنقت في قطار. وارتسمت على وجه "**لوسي**" معالم الدهشة قائلة:

– فعلاً، إنه لأمر غير عادي. حدثيني بكل ما تعرفينه عنه.

وحدثتها الآنسة "**ماربل**" بالقصة تفصيلاً. وجلست "**لوسي إيلزبارو**" تصغي إليها بانتباه دون مقاطعة، وما إن فرغت الآنسة "**ماربل**" من سرد ما لديها حتى بادرتها "**لوسي إيلزبارو**" بقولها:

– إن الأمر كله يتوقف على ما شاهدته صديقتك.. أو خيل إليها أنها شاهدته؟

ولم تتم ماكانت بسبيل قوله. فانبرت الآنسة "**ماربل**" تقول لها، بعد أن أدركت ما تعنيه "**لوسي**":

– إن "**إليزابيث ماك جيليكودي**" ليس من عادتها تخيل الأشياء. وهذا هو السبب في أنني واثقة بما سمعته منها، لو كانت "**دورتي كارترابت**" هي الراوية لكان الوضع مختلفًا. إن "**دورتي**" تتقن حبك القصة إلى حد تصديقها لها في نهاية الأمر. أما "**إليزابيث**" فهي من هذا الطراز الواقعي من النساء اللائي لا ينطقن بغير الحق. إنها أشبه بالصخر الصلد.

– فهمت. فلنسلم بصحة القصة وسلامة مبناها. ترى ما دوري فيها؟

– لقد حظيت بتقديري. ولعلك ترين أن حالتي الصحية لم تعد في هذه الأيام كما كانت عليه فيما سبق من قوة وجلد.

– هل تريدين مني أن أقوم ببعض التحريات؟ ألم يقم رجال الشرطة بذلك؟ أم ترين أنهم لم يبذلوا ما يجب من جهد؟

– كلا، إنهم لم يقصروا في شيء. كل ما في الأمر أن لي وجهة نظر بالنسبة إلى جسم الجريمة. إن جثة هذه المرأة لابد من أن تكون في مكان ما، وحيث إنه لم يعثر على هذه الجثة بالقطار... فسيتتبع هذا أنه قد ألقي بها منه... غير أنه لم يعثر عليها في أي مكان بجوار الخطوط الحديدية. ولذلك رأيت أن أستقل القطار؛ لأتبين ما إذا كان ثمة مكان يمكن إلقاء الجثة به، ومع ذلك لا يتم العثور عليها بجوار منحنى كبيرٍ قبل بلوغه "**براكهما مبتون**"، فوق حافة جسر مرتفع. فإذا ما ألقي بجثة ما عند هذا الموقع حينما ينحرف القطار تبعًا للمنحنى، ففي رأيي أن هذه الجثة تندفع هابطة مع قائم الجسر.

– ومع ذلك فإن هذا لا يفسر عدم اكتشاف أمرها؟

– هذا إذا ما تركت حيث هي. وسوف نعرض لهذا بالحديث حالاً. إليك الموقع مبينًا على هذه الخريطة. وتأملت "**لوسي**" بإمعان الخريطة التي كانت بين يدي الآنسة "**ماربل**" التي استطردت تقول:

– يقع هذا المكان على مشارف "**براكهما مبتون**" في الوقت الحاضر. ولقد كان من قبل بيتًا ريفيًا تحوطه حديقة شاسعة وأراض فضاء ولم يزل هذا البيت مكانه لم

ينله تغيير، وإن أحاطت به بعض البيوت والمباني الريفية. ويطلق على هذا البيت اسم "**روز فورد هول**" وقد شيده رجل يدعى "**كراكنشورب**"، وكان من أثرياء رجال الصناعة في عام 1884، ومازال "**كراكنشورب**" الابن -الذي أصبح شيخًا متقدمًا في السن- يقيم مع ابنته في هذا البيت، وجدير بالذكر أن الخط الحديدي يطوق نصف الضيعة.

- وما الذي تريدين مني أن أقوم به؟!

- أريد أن تلتحقي بالعمل هناك. وما أظنك ستجدين صعوبة في الحصول عليه.

- أعتقد هذا.

- يقولون عن السيد "**كراكنشورب**" إنه رجل بخيل. فإذا ما قبلت العمل بأجر زهيد فثقي بأنني سأستكمله إلى الحد الذي يرضيك بل وأكثر مما تقدرين.

- تذليلاً لكل عقبة؟

- كلا. بل بسبب ما في العمل من مخاطرة. وهذا ما يجب أن أبصرك به.

- إن احتمال المخاطرة لا يصدني عما أنا بسبيل القيام به.

- أعرف عنك هذا، وأكثر من هذا.

- اعتقادك أن ما يكتنف العمل من أخطار محتملة يشدني إليه! هل تعتقدين حقًّا أن في التحاقي بهذا العمل مخاطرة؟

- إن رجلاً ما قد ارتكب جريمة قتل في مهارة فائقة. ولولا ما كان من مصادفة مشاهدة السيدة "**ماك جيليكودي**" لهذه الجريمة عرضًا لما عرف أحد شيئًا عنها إلى الآن. وقد قام رجال الشرطة بتقصي حقيقة ما أبلغناهم به، ولكنهم لم يتوصلوا إلى شيء. وهكذا يجلس القاتل نائمًا مطمئنًا لا يخشى اكتشاف أمره. وليس علينا ليتحقق لنا ما نبغي سوى أن نحرص على عدم إثارة شكوكه.

- ما الذي أتحرى البحث عنه؟

- أي دليل نتشبث به. ولنبدأ من جانب الجسر، بحثًا عن قطعة من ثوب أو أثر

لعشب محدوب... إلى آخر ما هو من هذا القبيل.

– وبعد؟

– وسيكون من اليسير عليك الاتصال بي. توجد خادم عجوز لي تقيم في "**براكها مبتون**" – "**فلورنس**" الوفية. وكانت تتولى رعاية والديها لعدة أعوام. وبعد أن انتقلا إلى الدار الآخرة بدأت تؤجر غرف المنزل لبعض الراغبين من خيار القوم. وقد أعدت لي غرفة للإقامة معها، حيث ستقوم على خدمتي. وبذلك سأكون على مقربة منك. وأرى أن تذيعي أن لك عمة تقيم بالجوار، وأن هذا هو السبب في اختيارك لعمل في مكان قريب منها، بحيث تجدين فسحة من الوقت لزيارتها من حين إلى آخر.

– كنت راحلة إلى "**تاورمينا**" بعد الغد. يمكن تأجيل الإجازة. غير أن أقصى فترة يمكن أن أقضيها بهذا العمل هي ثلاثة أسابيع؛ لأنني مرتبطة بعمل آخر بعد ذلك.

– إن ثلاثة أسابيع فترة مديدة، إننا إن لم نوفق في أثناء هذه الفترة، فما أظن إلا أننا يجب أن نفقد الأمل في الاهتداء إلى أي دليل.

ونهضت الآنسة "**ماربل**" منصرفة. وبعد لحظة تفكير، اتصلت "**لوسي**" بمكتب تسجيل في "**براكها مبتون**" كانت لها معرفة وثيقة بالقائمة على إدارته. وأبدت لها رغبتها في الالتحاق بعمل يكون قريبًا من عمتها. وبعد أن عرضت عليها الصديقة عدة أسماء اختتمت باقتراح اسم "**روز فورد هول**" ، الذي صادف هوى من نفس "**لوسي**" .

واتصل مكتب التسجيل بالآنسة "**كراكنثورب**"، التي اتصلت بدورها بـ"**لوسي**" وبعد يومين كانت "**لوسي**" في طريقها من "**لندن**" إلى "**روزفورد هول**" .

*****

اجتازت "**لوسي إيلزبارو**" بسيارتها الصغيرة الباب الحديدي المهيب. وبعد قيادة السيارة عبر الممشى الطويل المتعرج بين صف من الأشجار الضخمة، توقفت

"**لوسي**" أمام البيت الذي كان صورة مصغرة لقلعة "**وندسور**"، وارتقت الدرج الحجري إلى باب المنزل الأمامي الذي اكتست جوانبه بالعشب الأخضر نتيجة للإهمال.

وجذبت حبل الجرس القديم، وسمعت صدى صوته يدوي في أرجاء المنزل وفتحت الباب امرأة زرية المظهر، تمسح على ثوبها بيديها، وتتأملها في ريبة من أمرها، وهي تقول:

– إنها في انتظارك أليس كذلك؟ أنت الآنسة... "**بارو**"أو شيء من هذا القبيل كما قالت لي.

– أجل أنا الفتاة الموصى بها.

وكان المنزل شديد البرودة في الداخل، وتقدمتها المرأة عبر بهو مظلم، ثم فتحت بابًا على يمين المدخل. ووجدت "**لوسي**" وسط دهشتها، أن الباب يؤدي إلى غرفة جلوس فاخرة الأثاث، تبعث البهجة في نفس الزائرين. وقالت المرأة لها:

– سأحيطها علمًا بوصولك. ثم غادرت الغرفة وأوصدت الباب بعد أن رمقت "**لوسي**" بنظرة غير ودية.

وبعد بضع دقائق، فتح الباب لتدخل منه "**إيما كراكنثورب**" وبمجرد أن وقع نظر "**لوسي**" عليها شعرت بارتياح لمرآها وبميل إليها. وكانت سيدة متوسطة العمر. بين الأناقة والبساطة، سوداء الشعر، عريضة الجبهة، ثابتة النظرات، جميلة الصوت... وبادرت "**لوسي**" قائلة، وهي تمد لها يدها:

– الآنسة "**إيلزبارو**"؟ ثم تأملتها فاحصة، وهي تستطرد قائلة:

– إني لأتساءل عما إذا كان هذا العمل يناسبك؟ لست محتاجة إلى مديرة منزل، تشرف على شؤونه. إنني أريد من تقوم بالعمل وتؤديه شخصيًّا. وأجابت "**لوسي**" بأن هذا هو ما أتت من أجله. فقالت لها "**إيما كراكنثورب**" معتذرة:

– تعتقد الكثيرات أن العمل لا يتجاوز إزالة بعض الغبار، وهو عمل بوسعي القيام به.

– إنني أدرك ما تعنين. إنك تريدين مني القيام بجميع ما تتطلبه الحياة المنزلية من أعباء. وهذا ما أضطلع به فعلاً. إنني لا أتحرج من القيام بأي عمل كان.

– إن المنزل كبير متسع. ونحن – والدي وأنا– لا نشغل منه سوى حيز صغير. ووالدي رجل مريض. وحياتنا هادئة ساكنة ولي أكثر من شقيق، وإن كانوا لا يقيمون معنا. وتحضر امرأتان للقيام ببعض الأعمال السيدة "**كيدر**" في الصباح والسيدة "**هارت**" ثلاثة أيام في الأسبوع. هل لديك سيارة؟

– أجل. ويمكن أن أدعها في الخلاء، إذا لم يكن ثمة مكان لها.

– كلا. لدينا متسع لها في الحظائر القديمة. لا عليك من هذا. "**إيلزبارو**"... إنه لقب غير مألوف. لقد سمعت من بعض الأصدقاء عمن تدعى "**لوسي إيلزبارو**". سمعت من "**آل كندي**"!

– أجل. لقد كنت في خدمتهم في "**نورث ديفون**" حينما رزقت السيدة "**كندي**" بمولود. وابتسمت "**إيما كراكنثورب**" قائلة:

– لقد سمعت منهم أنه كان لك الفضل فيما أتيح لهم من فترة هانئة وادعة، وأنك هيأت لهم عيشاً رغداً. ولقد انطبع في ذهني عنك أن أجرك باهظ ولن يكون في حدود إمكاناتي.

– لقد رضيت بالأجر المحدد؛ لأنني أريد أن أكون على مقربة من "**براكهامبتون**". إن لي عمة في حالة صحية متأخرة وأوثر أن أكون بالقرب منها. وهذا هو السبب في قبول العمل بما حدد لي من أجر. إن هذا لا يعنيني في كثير أو قليل ما دمت أستطيع أن أعودها من آن إلى آخر.

– بكل تأكيد. يمكنك أن تزوريها كل يوم بعد الظهر إلى ما قبل السادسة، لو شئت؟

– وهذا عين ما يناسبني. وترددت الآنسة "**كراكنثورب**" لحظة قبل أن تقول:

– إن والدي متقدم في السن، وهو شديد المراس أحياناً، ويحب الاقتصاد في كل شيء، ويعمد إلى التفوه بما يسيء إلى الناس أحياناً. ولست أحب أن... فانبرت "**لوسي**" قائلة:

– لقد ألفت هذا الطراز ممن تقدم بهم العمر. إنني أعرف كيف أسوس قيادهم. وسري عن "**إيما كراكنشورب**"، وحدثت "**لوسي**" نفسها قائلة: "لابد من أنها تعاني متاعب مع الوالد؟ لعله تتري قديم!".

وأفردت لها غرفة نوم شاسعة بمدفأة كهربائية. واصطحبتها الآنسة "**كراكنشورب**" في جولة بأرجاء المنزل. وعندما انتهتا أمام أحد الأبواب بالبهو، بلغ مسامعهما صوت يهدر قائلاً:

– "**إيما**"، أهذه أنت؟ وهل الفتاة الجديدة بصحبتك؟ أريد أن ألقي نظرة عليها.

وأرتج القول على "**إيما**" والتفتت إلى "**لوسي**" معتذرة، ودلفتا معاً إلى الغرفة. وكانت هي الأخرى فاخرة الأثاث، فيكتورية الطراز.

وكان السيد "**كراكنشورب**" العجوز جالساً فوق مقعد من المقاعد المخصصة للمرضى، وإلى جانبه عصا ذات مقبض.

وكان الرجل ضخماً، مديد القامة، مكتنز الوجه، عريض الفكين، وقد وخط الشيب شعره الأسود قال:

– دعينا نلق نظرة عليك. وتقدمت "**لوسي**"، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة رقيقة. وسمعت السيد يستطرد قائلاً:

– أحب أن أصارحك بشيء واحد. إن مجرد إقامتنا في هذا القصر لا يعني أننا قوم أثرياء؛ إننا أبعد ما نكون عن الثراء! ولست أحب الإسراف والتبذير. إنني أقيم في هذا القصر؛ لأنه من تراث الآباء ولأنني شديد التعلق به. ويمكن لمن يشاء– بعد موتي– أن يبيعه. وإنهم لفاعلون ذلك؛ لأنهم مجردون من كل شعور بالروابط العائلية. إن هذا البيت متين البنيان، صلد الجدران، وتحيط به ممتلكاتنا الشاسعة. إنه يحقق لي ما أبغيه من عزلة، ولن أوافق على بيع أي من هذه الأراضي ما دمت حيًّا. ولن أغادر هذا البيت إلا محمولاً على الأعناق.

وحملق إلى وجه "**لوسي**" التي قالت له:

– إن بيتك هو قلعتك.

– هل تضحكين مني؟

– كلا، بكل تأكيد. إني أرى أنه لأمر مثير أن يكون للمرء منزل كهذا، يحيط به كل ذلك الجمال الريفي.

– إن نظري لا يقع من هنا إلا على الحقول والمراعي. ثم استدار إلى ابنته قائلاً:

– اتصلي تليفونيًا بهذا الطبيب الأحمق. وقولي له إن الدواء الأخير كان عديم الجدوى. وغادرت كل من "**إيما**" و"**لوسي**" الغرفة وصاح الرجل في أثرهما:

– ولا تدعي هذه المرأة التي تقوم بتنظيف مكتبي تدخله ثانية. لقد قلبت كتبي رأسًا على عقب. وسألتها "**لوسي**":

– هل قضى السيد "**كراكنثورب**"فترة طويلة عليلاً؟

– أعوامًا طويلة... هنا المطبخ. كان المطبخ فسيحًا ولكنه مهمل. واستفسرت "**لوسي**" من "**إيما**"عن مواعيد الوجبات، ثم قالت لـ"**إيما**":

– لقد تم لي الإلمام بكل شيء ولتدعي كل شيء لي. وأوت "**إيما**" إلى فراشها في تلك الليلة قريرة العين، وهي تردد:

– لقد كان "**آل كندي**"على حق. إنها لفتاة مدهشة.

واستيقظت "**لوسي**" من نومها في السادسة من صباح اليوم التالي وقامت بعملها خير قيام، من تنظيف المنزل، إلى إعداد الطعام، إلى القيام على خدمتهم في أثناء وجبة الإفطار. وقد قامت بمعاونتها بعد ذلك السيدة "**كيدر**" التي جلست معها في المطبخ تتناولان قدحًا من الشاي، وانطلقت السيدة "**كيدر**"تثرثر من هنا وهناك. وقالت فيما قالت:

– إن العجوز أحمق كبير. أما هذه فليست بالمهضوم حقها. إن بوسعها أن تفعل ما تشاء إذا ما أرادت ذلك. وإنها لتحرص على أن يكون كل شيء على ما يرام حينما يحضر السادة.

– السادة؟

– أجل. إن أبناء الأسرة عديدون. أكبرهم: السيد "**إدموند**":

قتل في الحرب. ثم السيد "**سيدريك**" الذي يقيم في الخارج وهو غير متزوج. والسيد "**هارولد**"، يقيم في "**لندن**" وقد تزوج بابنة "**إيرل**". أما السيد "**ألفريد**"، فهو شاة الأسرة السوداء، وقد تعرض للمتاعب أكثر من مرة، وهناك زوج السيدة "**إيديث**" –السيد "**بريان**"– وهو لطيف المعشر. ولقد توفيت زوجته منذ عدة أعوام، غير أنه يعد نفسه فرداً من أفراد الأسرة. وثمة "**ألكسندر**"، ابن السيدة "**إيديث**" الصبي، وهو يحضر إلى هنا لقضاء بعض أيام من إجازته المدرسية. وكثيراً ما تحمل عليه الآنسة "**إيما**" حملات شعواء.

جلست "**لوسي**" تصغي بانتباه إلى هذه المعلومات التي جاءتها طواعية. وأخيراً نهضت السيدة "**كيدر**" قائلة:

– هل تحبين أن أساعدك في شيء؟

– شكراً. لقد أنجزت كل شيء تقريباً.

– حسنٌ، وإنك لأهل لذلك! يحسن بي أن أنصرف الآن، حيث لم يعد ثمة ما أقوم به.

انصرفت السيدة "**كيدر**". وقامت "**لوسي**" بتنظيف ما يتطلبه واجبها في المطبخ. وبعد أن فرغت من إعداد طعام الغداء وتقديمه، قامت بتنظيف الأواني، والإعداد لشاي الساعة الخامسة. كانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف مساء. ووجدت أن لديها متسعاً من الوقت لتقوم بالاستطلاع الذي ترى أنه عملها الأساسي الذي جاءت من أجله.

وبدأت ذلك بجولة في الحديقة. وكان بحديقة المطبخ بعض الخضراوات. أما بيوت النباتات فكانت خراباً. ووجدت أن ممرات الحديقة مكسوة بالعشب، هنا وهناك. وكان البستاني عجوزاً معمراً، يكاد يكون أصم، عاجزاً عن القيام بعمله خير قيام. ووقفت "**لوسي**" تتجاذب معه أطراف الحديث، وعلمت منه أنه يقيم في كوخ ملحق بالحظائر. وإلى الخلف من ساحة الحظائر كان يمتد طريق خلفي يؤدي إلى الحديقة الكبرى المسورة، ومنها يمر تحت قنطرة السكك الحديدية إلى

طريق خلفي ضيق.

ومن حين إلى آخر، كانت "**لوسي**" تسمع هدير القطارات التي تجري على الخط الرئيسي عبر القنطرة الصغيرة. ووقفت تتابع القطارات وهي تهدئ من سرعتها مجتازة المنحنى الحاد الذي يطوق ممتلكات "**كراكنثورب**". وواصلت "**لوسي**" خطواتها تحت القنطرة إلى الدرب الضيق. ورأت أن هذا الدرب غير مطروق. وكان على أحد جانبيه، جسر السكك الحديدية، وعلى الجانب الآخر، جدار مرتفع يخفي مباني أحد المصانع. وواصلت "**لوسي**" طريقها عبر الدرب إلى أن انتهت بها خطواتها إلى شارع يقوم على جانبيه بعض البيوت الصغيرة. وكان يطرق سمعها من مكانها هذا صوت حركة المرور بالطريق الرئيسي. وألقت نظرة على ساعتها. واستفسرت من إحدى النساء التي تصادف خروجها من أحد البيوت القريبة، عما إذا كان يوجد تليفون عمومي قريب منها وكانت الإجابة أن مكتب البريد عند ناصية الطريق، وشكرتها "**لوسي**"، وواصلت طريقها إلى مكتب البريد، حيث قامت بالاتصال تليفونيًا بمحل إقامة الآنسة "**ماربل**". وقد أجابها صوت نسائي حاد:

– إنها تقضي فترة راحتها. ولن أقوم بإزعاجها!! إنها سيدة متقدمة في السن! ترى من المتحدث؟

– الآنسة "**إيلزبارو**". ليس من مبرر لإزعاجها. أرجو أن تقولي لها إنني وصلت وإن كل شيء على ما يرام، وإنني سأتصل بها عندما يستجد ما يدعو إلى ذلك.

وبعد أن أعادت سماعة التليفون إلى مكانها، عادت أدراجها إلى "**روز فورد هول**".

- 5 -

تساءلت "**لوسي**":

– أعتقد أنه من الأوفق إذا ما أتيح لي ممارسة رياضة الجولف في الحديقة الكبرى؟

– بكل تأكيد . هل أنت من هواة الجولف؟

– لست بارعة فيه؛ ولكنني أحب عدم الانقطاع عن ممارسة هوايتي. إنها رياضة تغني عن رياضة المشي. فزمجر السيد "**كراكنثورب**"قائلاً:

– لا يوجد مكان يصلح للمشي خارج هذا المكان. لا يوجد سوى بعض الأرصفة والأكواخ الحقيرة الضيقة. إنهم يريدون أن يضعوا يدهم على ممتلكاتي ليشيدوا المزيد منها، ولكنهم لن يبلغوا ما يريدون قبل مماتي. ولن أموت مجاملة لأحد! وانبرت "**إيما كراكنثورب**" تقول بوداعة:

– أبتاه!

– إنني أعرف ما يدور بخلدهم... وماذا ينتظرون. جميعهم : "**سيدريك**" وهذا الثعلب الخبيث "**هارولد**" و"**ألفريد**" الذي لا أستبعد أن يفكر في الاعتداء على حياتي للتخلص مني، ولست واثقًا بأنه حاول شيئًا من هذا القبيل في عيد الميلاد. فقد كان "**كيمبر**" في حيرة من أمره ولقد لمست هذا مما وجهه من أسئلة.

– إننا جميعًا معرضون لنوبات عسر الهضم من آن إلى آخر.

– فليكن، فليكن، ولتفصحي عما تريدين قوله من أنني أسرفت في تناول الطعام! أليس كذلك؟ ولماذا أسرفت في تناول الطعام؟ لأن المائدة كانت زاخرة بكل لون منه. إسراف وتبذير. وهذا يذكرني بما كان من أمر هذه الفتاة التي حملت إليّ خمس قطع كبيرة من البطاطس في وجبة الغداء. إن قطعتين فيهما الكفاية. هذا ما يجب أن يراعى مستقبلاً.

وانصرفت "**لوسي إيلزبارو**" مشيعة بتعليقاته عنها لابنته. والتقطت عصا من مجموعة الجولف التي كانت قد رات أن تأتي بها معها، ثم خرجت إلى الحديقة الكبرى، بعد أن تسلقت سورها.

وبدأت تلهو بإصابة بعض الأهداف، وبعد خمس دقائق انحرفت كرة إلى جانب جسر السكك الحديدية. وتبعت "**لوسي**" مسارها تبحث عنها. وتطلعت بعينيها إلى المنزل الذي أصبحت على مرمى بعيد عنه. وواصلت "**لوسي**" بحثها عن

الكرة. وراحت تلهو بالكرة على منحدر الجسر تغطية لما تقوم به من بحث واستطلاع بين الأعشاب النامية فوقه. وتيسر لها أن تغطي بأبحاثها ثلث الجسر. ولم تهتدِ إلى شيء ثم عادت تقذف بكرة الجولف في طريق عودتها إلى المنزل.

وفي اليوم التالي، وضعت يدها على أول دليل، حيث اكتشفت أن دغل شوك كان ناميًا على جانب الجسر قد انتزع من مكانه، وإن كانت قطعًا منه متناثرة فوقه. وفحصت "**لوسي**" الشجرة فحصًا دقيقًا.

ووجدت أن قطعة من الفراء كانت عالقة بشوكه. وكانت القطعة قريبة اللون من خشب الفرع، ألا وهو اللون البني الفاتح. وتأملتها "**لوسي**" لحظة، ثم أخرجت مقصًا من جيبها، واحتفظت لنفسها بجزء منها أودعته ظرفا كان معها. وهبطت المنحدر بحثًا عما قد عساها أن تعثر به من دليل آخر. وراحت تتفرس بإمعان في الأعشاب النامية بالحقل. وتبينت آثار أقدام عبر هذه الأعشاب. غير أن هذه الآثار لم تكن في وضوح ما انطبع من آثار أقدامها. الأمر الذي يعني أن الآثار الأخرى قديمة العهد.

وبدأت تبحث بدقة بين الأعشاب النامية عند قاعدة الجسر، أسفل الدغل المحطم، وسرعان ما عثرت على ما يرضي فضولها، ويجزيها عما بذلته من جهد خير الجزاء. فقد وجدت علبة بُدرة، زهيدة الثمن، أودعتها جيبها بعد أن غلفتها بمنديلها. وبعد ذلك لم توفق إلى العثور على شيء آخر.

وبعد ظهر اليوم التالي، استقلت سيارتها وذهبت لزيارة عمتها المريضة، وقالت لها "**إيما كراكنثورب**" بصوت رقيق:

– لاحاجة بك إلى العجلة. يمكنك أن تعودي مع ساعة العشاء.

– شكرًا. ولكنني لن أتأخر في العودة لما بعد السادسة.

كان المنزل رقم (4) بطريق "**ماديسون**" سنجابي اللون نظيف الستائر، يوحي باب دخوله الأمامي، بغاية العناية بتنظيفه وتلميع مقابضه النحاسية. وفتحت الباب امرأة متجهمة الوجه، ترتدي السواد، طويلة القامة. وكانت تتأمل "**لوسي**"

بنظرات فاحصةوهي تصطحبها إلى حيث تقيم الآنسة "**ماربل**".

وكانت الآنسة "**ماربل**" تشغل الغرفة الخلفية التي تطل على الحديقة الصغيرة، وهي جالسة فوق مقعد كبير بجوار المدفأة، وبعد أن أغلقت "**لوسي**" الباب اتخذت لها مقعداً مواجهاً للآنسة "**ماربل**". وبعد أن استقر المقام بها قالت:

– يبدو أنك كنت على حق. وقدمت للآنسة "**ماربل**" ما عثرت عليه، ثم أحاطتها علماً بظروف وكيفية عثورها عليها. وطابت الآنسة "**ماربل**" نفساً بما تحقق من ظنها، ثم قالت:

– إنه لما يثلج صدر الإنسان أن تكون له وجهة نظر، يثبت له بعدها أنها كانت صحيحة، وأن رأيه كان صواباً! وأشارت إلى قطعة الفراء قائلة:

– قررت "**إليزابيث**" بأن المجني عليها كانت ترتدي معطف فراء بهذا اللون. وأعتقد أن علبة البدرة كانت في جيب معطفها، وأنها سقطت منه بتدحرج الجثة فوق المنحدر. هل انتزعت القطعة العالقة بفرع الشجرة بأسرها؟

– كلا. لقد تركت نصفها حيث وجدتها. وأومأت الآنسة "**ماربل**" برأسها تقر ما فعلته "**لوسي**".

– لقد أحسنت صنعاً. إنك متناهية الذكاء. ستقوم الشرطة بتقصي الحقائق، ومن هنا كان من المتعين ألا تلتقطيها بأكملها، حيث يجب أن يتحقق رجال الشرطة من الفرع الذي كانت قطعة الفراء عالقة به.

– وهل ستعرضين هذه الأشياء على رجال الشرطة؟

– لم يئن الأوان بعد... أعتقد أنه من الأفضل العثور على جسم الجريمة أولاً... ألا توافقين على ذلك؟

– بلى. ولكن ألن يستغرق العثور على الجثة فترة طويلة؟ فمع التسليم بوجهة نظرك، من أن القاتل دفع بالجثة من القطار، ثم غادره في "**براكها مبتون**" وبعدها عاد إلى حيث ألقى بالجثة ليتخلص منها. فماذا ترينه فعل بعد ذلك؟ أترينه نقلها إلى مكان ما؟

– ليس إلى مكان ما... لقد جانبك الصواب في هذا الاستنتاج، أي عزيزتي الآنسة "**إيلزبارو**".

– أرجو أن تناديني باسم "**لوسي**"، ترى فيم أخطأتُ؟

– لأنه، إذا صح ما تقولين، لكان من الأيسر للرجل أن يقتل الفتاة في بقعة مهجورة، ثم ينقل الجثة بعيداً عنها. لقد فاتك أن...

– هل أفهم من هذا أن الجريمة كانت مع سبق الإصرار؟

– لم يكن هذا هو رأيي في أول الأمر، لقد بدا لي الأمر على أنه شجار فقد فيه الرجل السيطرة على أعصابه فعمد إلى خنق الفتاة، فلما تحقق مما اقترفه ووجد نفسه وجهاً لوجه مع جثة ضحيته كان عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة في بضع دقائق. ثم إنه ليبدو أكثر من مصادفة أن يقتل الرجل الفتاة في ثورة غضب، ثم يطل من النافذة ليجد أن القطار يجتاز منحنى في مكان يستطيع أن يقذف بالجثة إليه، ويقدر أن بوسعه أن يعود أدراجه فيما بعد لنقل الجثة! هذا تحميل للوقائع بأكثر مما تحتمل! أن يلقي بالجثة في مكان ما بطريق المصادفة، ثم يعود إليها بعد تخلصه منها. فلئن كان قد فعل ذلك مصادفة– القتل والتخلص من الجثة– لما كان قد عاد لنقل الجثة وكلف نفسه هذا العناء، بعد أن خدمته الظروف الحسنة، ولبقيت الجثة في مكانها حيث يكتشف أمرها فيما بعد. وتوقفت الآنسة "**ماربل**" عن الكلام قليلاً. بينما راحت "**لوسي**" تحملق إليها. ثم استطردت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– هل تعرفين أن هذه الجريمة قد أحكم تدبيرها والإعداد لها بكل دقة؟ إن ارتكاب الجريمة في القطار، كان من شأنه أن يضيع الكثير من معالمها، ويسدل عليها ستراً من الظلام والغموض، فلو أن القاتل قد اقترف جريمته حيث تقيم ضحيته، لأثار هذا شكوك جيرانها، ورددوا اسم من كان يتصل بها. وعلى فرض أنه قام باصطحابها في سيارته إلى مكان ما، لأدلى البعض بمعلومات عن سيارته تؤدي إلى اكتشاف أمره. أما القطار فيختلف عن ذلك من جميع النواحي، وبالذات إذا ما كان القاتل قد أعد لكل خطوة خطتها. إن هذا القاتل يعرف كل شيء عن "روز

فورد هول" . موقعها الجغرافي، وعزلتها عما حولها. إنها بمثابة جزيرة تحيط بها الخطوط الحديدية من كل جهة.

– هذا صحيح. إنها قطعة من الماضي، تضطرب الحياة الحضرية من حولها، ولكنها لم تقربها.

– ولنفترض أن القاتل قدم إلى **"روز فورد هول"** في تلك الليلة. مع العلم بأن الظلام كان حالكًا حينما ألقى بالجثة من القطار، وكان من المستبعد أن يكتشف أمرها قبل اليوم التالي.

– هذا صحيح. ثم، ما الوسيلة التي سيحضر بها القاتل هل سيستقل سيارة وأي سبيل سيسلك؟

– ثمة طريق غير ممهد، يمتد بطول جدار المصنع. وأرجح أنه سلك هذا الطريق، ثم اجتاز قنطرة السكك الحديدية ليواصل سيره عبر الطريق الخلفي. ويمكنه بعد ذلك أن يتسلق السور ويتجه إلى قاعدة الجسر، حيث يجد الجثة التي يعود بها إلى السيارة.

– ثم يحملها إلى مكان وقع عليه اختياره من قبل. هذا ما قد يجول في الخاطر استتباعًا. غير أنني لا أرى أنه حمل الجثة بعيداً عن **"روز فورد هول"**إن التسلسل المنطقي يحدو بنا إلى أنه لجأ إلى دفن الجثة في مكان ما... أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك، وإن كنت أرى أن الافتراض ليس بالسهولة التي يبدو بها.

– لم يكن ليتيسر له هذا في الحديقة الكبرى. إن هذا كان يقتضي منه مجهوداً مضنيًا، علاوة على ما في ذلك من مخاطرة. أو يوجد مكان آخر أكثر صلاحية لذلك؟

– حديقة المطبخ مثلاً، وإن كانت على مقربة من كوخ البستاني. إنه عجوز أصم... وإن كنت أرى أن في ذلك مخاطرة لا يغفل القاتل عنها.

– هل توجد كلاب حراسة؟

– كلا.

– إذن. فيمكن أن يودع القاتل الجثة إحدى الصوامع، أو أحد مرافق الدار؟

– هذا أكثر يسراً وأسرع إجراء. إذ يوجد هناك الكثير من المباني القديمة المهجورة: كحظائر الخنازير، وغرف المهمات والسروج، مما لا يقربها أحد. أو لعله أخفاها في دغل من الأدغال. وطرقت الباب "**فلورنس**" التي أقبلت تحمل صينية الشاي قائلة:

– من الخير لك أن يزورك أحد. لقد أتيت لك ببعض فطائرك المفضلة.

– إن "**فلورنس**" تتقن إعداد بعض الفطائر. وانفرجت شفتا "**فلورنس**" عن ابتسامة الرضا عما أطرتها به الآنسة "**ماربل**"، ثم غادرت الغرفة. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– أظن يا عزيزتي، أن من الخير لنا ألا نتحدث عن القتل في أثناء تناول الشاي، إنه موضوع مقبض.

❁❁❁❁❁

وبعد أن فرغت "**لوسي**" من تناول الشاي نهضت قائلة:

– سأعود أدراجي. وكما قلت لك، لست أرى بين من يقيمون بـ "**روز فورد هول**"، الرجل الذي نبحث عنه. لا يوجد بالقصر سوى رجل متقدم في السن. وفتاة في منتصف العمر، وبستاني عجوز أصم.

– لم أقل إن القاتل من بين المقيمين هناك. كل ما صدر عني يعني أنه رجل يعرف "**روز فورد هول**" معرفة جيدة. غير أنني أرى أن نرجئ الحديث في ذلك إلى ما بعد العثور على جسم الجريمة.

– يبدو لي أنك واثقة كل الثقة بالعثور على الجثة. إنني أقل منك تفاؤلاً.

– إنني جد واثقة بأنك ستوفقين؛ وذلك لأن كلي ثقة بكفاءتك.

– قد يصح حكمك عليّ بالنسبة إلى أعمال أخرى. أما بالنسبة إلى البحث عن الجثث، فهذا ما ليس لي به خبرة سابقة.

– إن ذلك لا يختلف عن غيره فيما أعرف عنك من نفاذ بصيرة، وحسن إدراك للأمور.

وتطلعت إليها "**لوسي**" ضاحكة. وابتسمت الآنسة "**ماربل**" لها مشجعة.

واستأنفت "**لوسي**" أبحاثها بعد ظهر اليوم التالي. وراحت تجوس خلال غرف المهمات، وحظائر الخنازير المهجورة. وبينما كانت تحدق النظر خلال زجاج بيت النبات سمعت من يسعل، فاستدارت لتجد البستاني "**هيلمان**"، يحدجها بنظرات متسائلة، وهو يقول محذراً:

– حذار أن تزل قدمك، إن هذا الدرج لا أمان له. ولقد رأيتك فوق سقف المرجل، وهو الآخر لا يقل خطورة عن الدرج. وكانت "**لوسي**" واقفة أعلى الدرج المؤدي إلى غرفة الغلاية الموجودة أسفل بيت النباتات، ولما كانت حريصة على ألا تبدر منها بادرة تثير الشك في مسلكها، قالت مبتسمة:

– لعلك ترى فيَّ فتاة فضولية. لقد كنت أتساءل عما إذا كان يمكن استغلال هذا المكان فيما هو أجدى. إن كل شيء يبدو مهملاً.

– هذا راجع إلى سيد الدار. إنه لا يريد أن ينفق بنسًا واحداً. إن العمل في الحديقة يتطلب ثلاثة رجال على الأقل، لكي تبدو الحديقة بالمظهر اللائق بهذا القصر. لقد كان يريد مني أن أشذب الحشائش باليد حتى لا يبتاع الآلة الخاصة بذلك.

– ولقد كان بوسعه أن يستغل هذه المساحات الشاسعة فيما يعود عليه بالنفع، إذا ما ضحى قليلاً ببعض النفقات.

– إن هذا لا يعنيه في كثير أو قليل: المهم أنه لا يريد أن يدفع. إنه مولع بالادخار. وإنه ليدرك تمام الإدراك ماذا سيكون بعد وفاته. إن السادة من أبنائه سيسارعون ببيع العقار. إنهم يترقبون موته بفارغ الصبر، إنهم سيرثون الكثير بعد وفاته.

– أعتقد أنه رجل واسع الثراء؟

– إن آل "**كراكنثورب**" قوم خياليون، يعيشون في الأوهام. لقد كان "**كراكنثورب**" الأب رجلاً عصاميًّا جمع ثروته وقام بتشييد هذا القصر.

وكان رجلاً صعب المراس، قوي الشكيمة، غير أنه كان سخيًّا ينفق عن سعة، أبعد ما يكون عن البخل والتقتير. وقد خيب ولداه آماله فيهما، كما يحكى عنه. لقد أتاح لهما فرصة الالتحاق بجامعة "**أكسفورد**"، وحرص على تنشئتهما نشأة السادة المهذبين. ولكنهما لم يسلكا مسلك والدهما المجد، المكب على عمله. فتزوج الابن الأصغر بممثلة، ثم راح ضحية حادث اصطدام سيارته التي كان يقودها ثملاً، أما الابن الأكبر وهو سيد هذه الضيعة الآن، فإن والده لم يأمل فيه خيراً. وكان يقضي معظم أيامه في الخارج حيث ابتاع الكثير من التماثيل الوثنية التي كان يبعث بها إلى موطنه، ولم يرث إلا بعد أن بلغ منتصف العمر. ولم يكن الابن على وفاق مع الأب، كما يقولون.

ووقفت "**لوسي**" تستمع إلى هذه المعلومات، وهي تود لو فرغ الرجل من حديثه عن الماضي، ولكن الرجل كان يؤثر الثرثرة على القيام بعمل ما، واستطرد قائلاً:

– لقد توفي "**كراكنثورب**" الأب قبل الحرب. وكان حاد الطبع لا تلين له قناة.

– وبعد وفاته، هل قدم السيد الحالي للإقامة هنا؟

– أجل، هو وأسرته. ولم يكن أبناؤه قد شبوا عن الطوق بعد.

– هل تعني حرب عام 1914 ؟

– كلا. لقد توفي في عام 1928، هذا ما كنت أعنيه.

– حسنٌ. أعتقد أنك تريد أن تواصل عملك. لن أحول بينك وبين هذا.

– لقد أمسينا في ساعة متأخرة من النهار حين يضعف الضوء ولا يمكن للمرء أن يواصل القيام بعمله. وعادت "**لوسي**" أدراجها إلى المنزل، حيث وجدت "**إيما كراكنثورب**" واقفة بالبهو تقرأ رسالة وردت مع ساعي البريد وبادرتها قائلة:

– إن ابن شقيقتي قادم غداً وفي صحبته أحد زملائه. إن غرفة "**ألكسندر**" تقع أعلى الدهليز وستخصص الغرفة المجاورة لها لـ "**جيمس ستودارت وست**".

ويمكنهما استعمال غرفة الاستحمام المقابلة للغرفتين.

– سأتولى إعداد الغرفتين.

– المفروض أن يكون وصولهما في الصباح قبل ساعة الغداء. وأعتقد أنهما سيكونان مشتاقين إلى طعامهما.

– هذا هو المنتظر.

– إن "**ألكسندر**" ذواقة.

ووصل الفتيان في صباح اليوم التالي. وكانا أنيقين، يعنيان بتصفيف شعرهما، صبوحي الوجه، يحرصان على الالتزام بقواعد اللياقة وحسن السلوك. وكان "**ألكسندر إيستلاي**" أشقر، أزرق العينين، أما "**ستودارت وست**" فقد كان أسود الشعر، قصير النظر.

ولم ينقطعا عن الحديث عن عالم الرياضة في أثناء الجلوس إلى مائدة الغداء. وكان حديثهما عن عالم الفضاء حديث الأساتذة الكبار، مما أشعر "**لوسي**" بصغر شأنها في مجلسهما. ولم يبق الفتيان على شيء من الطعام، الأمر الذي حدا بالسيد "**كراكنثورب**" أن يزمجر قائلاً:

– لم يبق إلا أن تلتهماني. ورمقه "**ألكسندر**" بنظرة عتاب قائلاً:

– سنرضى بتناول الجبن مع الخبز إذا لم يكن لك قِبَل بثمن اللحوم، أيها الجد العزيز.

– ليس لي قِبَل بثمنها؟ إن باستطاعتي ذلك بكل تأكيد. كل ما في الأمر أنني لا أحب الإسراف.

– إننا لم نسرف في شيء. عقب "**ستودارت وست**" بهذا، بينما راح يتأمل صحفة الطعام التي تؤيد كلامه. ويقول الجد:

– إنكما تلتهمان من الطعام ضعف الكمية التي التهمها.

– إننا في سن المراهقة، ونحتاج بشدة إلى المزيد من البروتينات. وبعد أن نهض الفتيان عن مائدة الطعام، سمعت "**لوسي**" الحفيد "**ألكسندر**" يعتذر لصديقه قائلاً:

– لا عليك من جدي. إنه يلتزم في طعامه بنظام خاص. علاوة على أنه متناهي

في البخل. وأعتقد أن هذا نتيجة لعقدة نفسية من نوع ما.

– إن لي عمة كانت في فقر من خشية الفقر. ولقد كانت جمة الثراء. ثمة من الناس من يعيشون في شقاء ثرائهم. هل أتيت معك بكرة القدم؟

وبعد أن فرغت "**لوسي**" من رفع بقايا الطعام وتنظيف الصحاف غادرت المنزل. وسمعت صوت الفتيين يتناديان عن بعد عبر الخميلة. أما هي فخطت إلى الاتجاه المضاد عبر الطريق الأمامي، ومنه إلى مجموعات أشجار الصبار وبدأت بحثها الدقيق بين الأوراق والفروع وكانت تنتقل من دغل إلى آخر. وبينما كانت تعبث بعصاة الجولف بين الشجيرات، سمعت صوت "**ألكسندر إيستلاي**" يبادرها قائلاً:

– هل تبحثين عن شيء ما؟

– عن إحدى كرات الجولف. أو أكثر من واحدة، إذا شئت الحقيقة. فقد كنت أمارس هذه الرياضة بعد ظهر كل يوم تقريباً. ورأيت أن أبحث عما فقدته منها اليوم، بصورة جدية.

– سنقوم بمساعدتك في البحث عما تبغين.

– شكراً، لقد خيل إليّ أنكما كنتما تمارسان رياضة كرة القدم؟

– لا يمكن مواصلة اللعب، بعد أن يشعر اللاعب بالدفء الشديد. هل تمارسين رياضة الجولف كثيراً؟

– إنني أهوى هذه الرياضة. ولكنني لا أجد متسعاً من الوقت لممارستها كما أبغي.

– هذا صحيح. هل تقومين بطهو الطعام؟

– أجل.

– كان الغداء رائعاً، بكل لون من ألوانه.

– ليس عليك سوى أن تحيطني علماً بما تفضله من ألوان الطعام.

– إن اللون المفضل عندي هو عصيدة التفاح.

– فليكن.

– "**ستودارت**"، يوجد جهاز كامل للجولف أسفل الدرج. ما رأيك في الانتفاع به؟

- اقتراح مقبول..!

- إن "**ستودارت وست**"، ليس بالأسترالي كما كان يبدو من لهجة حديثه. إنه يعد نفسه لمباراة تجريبية.

وشجعتهما "**لوسي**" على أن يأتيا بمعدات الجولف من المنزل. وفي أثناء عودتها إلى المنزل فيما بعد وجدتهما يقومان بالإعداد للعبة فوق أرض الخميلة. وسمعتهما يتناقشان في أوضاعها العددية. وأشارت عليهما بما وضع حداً للمناقشة بينهما. ورأوا جـــمـــيـــعًـــا أن الأمـــر يتطلب إعـــادة طلاء القـــوائم باللون الأبيض. وقال "**ألكسندر**" معقباً وقد تهلل وجهه بشراً:

- فكرة رائعة. أعتقد أن ثمة أكثر من وعاء للطلاء في المخزن الكبير... تركها هناك بعض عمال الطلاء. هل نذهب للتحقق من ذلك؟

وسألته "**لوسي**" عما عساه أن يكون هذا المخزن الكبير؟ وأشار "**ألكسندر**" بيده إلى بناء حجري مستطيل بعيداً عن المنزل وعلى مقربة من الطريق الخلفي. وأردف قائلاً:

- إنه متناه في القدم. إن جدي يطلق عليه اسم "**المخزن العتيق**". إن به مجموعة كبيرة من مقتنيات جدي. إنها تضم الكثير مما بعث به جدي حينما كان مقيماً في الخارج هيا بنا لنتفقد ما به.

ورافقتهما "**لوسي**" مرحبة بالاقتراح. وكان باب المخزن ضخماً، مصنوعًا من خشب البلوط ومدّ "**ألكسندر**" يده لينتزع المفتاح الموجود على أوراق اللبلاب عن يمين الداخل. وفتح الباب الذي دلف ثلاثتهم منه إلى المخزن.

وشعرت "**لوسي**" لأول وهلة بأنها في متحف فريد في بابه. ووقع نظرها على تمثالين من الرخام لرأسين رومانيين يحملقان النظر إليها، وعلى تابوت ضخم من العصر الإغريقي- الروماني وعلى تمثال لـ "**فينوس**" مثبت فوق قاعدته. وعلاوة على هذه الأعمال الفنية، كانت توجد مجموعة من المقاعد والمناضد وغير ذلك من الأشياء القديمة المستهلكة مما يلقى بها في المخازن عادة، وسمعت "**لوسي**" وهي

تخطو بين هذا الركام "**ألكسندر**" يقول:

– أعتقد أنني رأيت وعاء الطلاء في مكان ما هنا.

وعثروا أخيراً على ضالتهما في أحد الأركان. غير أن الطلاء كان جافًّا لقدم عهده، وكان من رأي الفتيين الذهاب لشراء القليل من زيت التربنتينا. ورحبت "**لوسي**" بهذه الفكرة وحثتهما على تنفيذها فوراً.

وانصرف الفتيان وتركاها بمفردها في المخزن، بعد أن استفسرت من "**ألكسندر**" عن مكان وضع المفتاح بعد انصرافها.

ووقفت تتلفت فيما حولها. واستقرت عيناها على التابوت لا تحيدان عنه.

هذا التابوت.

واتجهت إليه... وكان غطاؤه ثقيلاً محكمًا، وتأملته "**لوسي**" مستغرقة في التفكير.

ثم غادرت المخزن واتجهت إلى المطبخ حيث التقطت قضيبًا حديديًّا عادت به ووجدت عناء في رفع غطاء التابوت. ولكنها بذلت جهداً مضنيًا إلى أن وفقت أخيراً وبدأت ترفع الغطاء، مستعينة بالقضيب الحديدي.

وكشف الغطاء بالقدر الكافي الذي يتيح لـ "**لوسي**" أن ترى ما بداخل التابوت.

- 6 -

وبعد بضع دقائق، غادرت "**لوسي**" التي كانت شاحبة الوجه المخزن، ثم أغلقت الباب وأعادت المفتاح إلى مكانه بين أوراق اللبلاب. وأسرعت إلى حيث تودع سيارتها التي استقلتها عبر الطريق الخلفي إلى مكتب البريد، لتتصل تليفونيًّا بالآنسة "**ماربل**".

– أريد التحدث إلى الآنسة "**ماربل**".

– هل ثمة ما يبرر إزعاجها؟ الآنسة "**إيلزبارو**"، أليس كذلك؟

– بلى. ويجب إزعاجها؟ إن الأمر عاجل.

– لن أقوم..

– أرجوك أن تفعلي ما أسألك إياه فوراً.

وكانت لهجة "**لوسي**" قاطعة بحيث لم تدع لـ "**فلورنس**" مجالاً لمناقشتها، وأسرعت "**فلورنس**" تصدع بالأمر. وسرعان ما سمعت "**لوسي**" صوت الآنسة "**ماربل**":

– "**لوسي**"؟

– أجل، لقد كنت على حق فيما رأيت. لقد وجدتها.

– الجثة؟ جثة امرأة؟

– أجل، جثة امرأة في معطف من الفراء. عثرت بها مودعة في تابوت صخري في مخزن أشبه بمتحف على مقربة من البيت. بماذا تشيرين أن أقوم به؟ هل أقوم بإبلاغ الشرطة؟

– أجل يجب أن نبلغ الشرطة فوراً.

– وماذا عدا ذلك؟ وماذا عن موقفك؟ إن أول سؤال سيوجه إليّ سيكون عن السبب الذي دعاني إلى ما قمت به. هل تبغين أن أتعلل بأي سبب؟

– كلا. أعتقد أنك خير من يدرك أن تقرير الحقيقة هو خير السبل.

– هذا فيما يتصل بك؟

– فيما يتصل بكل شيء.

– لقد أزحت عن عاتقي عبئًا ثقيلاً. غير أنني أحسب أنهم لن يصدقوني بسهولة! وأنهت المكالمة وانتظرت لحظة ثم عادت لتتصل بمركز الشرطة.

– لقد عثرت على جثة في تابوت بالمخزن الكبير الملحق بـ "**روز فورد هول**".

– ماذا تقولين؟ ورددت "**لوسي**" ما سبق أن قالته، وألحقت هذا بذكر اسمها، إذ كانت تعرف أنهم سيسألونها عنه.

وعادت من حيث أتت، وأودعت سيارتها مكانها، ثم دخلت المنزل. وتوقفت في البهو لحظة تمعن التفكير.

ثم استقر رأيها على قرار، اتجهت بعده إلى المكتبة حيث كانت تجلس الآنسة "**كراكنثورب**" تشترك مع والدها في حل لغز الكلمات المتقاطعة.

– الآنسة "**كراكنثورب**"! هل تسمحين بلحظة أتحدث فيها إليك؟

فرفعت الآنسة "**كراكنثورب**" عينيها إليها مستفسرة، وبدا من نظراتها أنها قدرت أن يكون الحديث عن بعض الشؤون المنزلية. وانبرى السيد "**كراكنثورب**" قائلاً في عصبية بادية:

– فلتتحدثي بما تشائين. واتجهت "**لوسي**" إلى "**إيما**" قائلة:

– بودي لو تحدثت إليك على انفراد. فعقب السيد "**كراكنثورب**" قائلاً:

– هراء. عليك أن تتحدثي فوراً. بما تشائين هنا. ونهضت "**إيما**" متجهة نحو الباب قائلة:

– لحظة يا أبي.

– هراء. يمكنها أن تؤجل حديثها إلى ما بعد. فقالت "**لوسي**":

– أخشى أن ما لديَّ لا يحتمل التأجيل.

– يا للوقاحة والجرأة! وخرجت "**إيما**" إلى البهو حيث تبعتها "**لوسي**". وبادرتها "**إيما**" قائلة بعد أن أوصدت الباب:

– ماذا جرى؟ إذا ما كان الأمر بسبب زيادة أعبائك تبعًا لوجود الفتيين، ففي وسعي أن ...

– كلا. إن الموضوع بعيد عما جال في خاطرك كل البعد. لم أشأ أن أتحدث في وجود والدك؛ لأنه عليل قد لا تحتمل صحته أية مفاجأة. لقد عثرت لتوي على جثة امرأة قتيل في هذا التابوت الكبير الموجود بالمخزن أو بالمتحف على الأصح. وحملقت "**إيما**" إلى وجه "**لوسي**" وهي تردد:

– في التابوت؟ امرأة مقتولة هذا مستحيل!

– يؤسفني أن أقرر لك بأن هذه هي الحقيقة. ولقد قمت بإبلاغ الشرطة. ولعلهم في طريقهم إلى هنا.

– كان من الواجب عليك أن تبلغيني أولاً قبل أن تقومي بإبلاغ الشرطة.

– أعتذر عن هذا الخطإ.

– ولكنني لم أسمعك تتصلين تليفونيًا.

– كان اتصالي من مكتب البريد.

– ولماذا لم تتصلي من هنا؟

– خشيت أن يسمعني الصبيان.

– فهمت.. نعم... فهمت. إنهم قادمون... أعني رجال الشرطة؟

– لقد وصلوا فعلاً.

وكانت "**لوسي**" قد سمعت صوت فرامل السيارة التي توقفت أمام باب المنزل، وأعقب قولها هذا رنين الجرس الذي دوى في أرجاء المنزل.

*****

– إنني لجد آسف– إذ سألتك عن هذا. قال المفتش "**بيكون**" ذلك، وهو يتأبط ذراع "**إيما كراكنشورب**" عند مغادرتها المخزن... وكان وجه "**إيما**" شاحبًا ممتقعًا وهي تقول:

– إني واثقة كل الثقة بأنه لم يسبق لي أن وقع نظري على هذه المرأة طوال حياتي.

– إني أقدر لك ما قمت به. وهذا هو كل ما أردت أن أعرفه منك. ربما كنت محتاجة إلى بعض الراحة؟

– يجب أن أرى والدي أولاً. لقد اتصلت تليفونيًا بالدكتور "**كيمبر**" بمجرد سماعي لهذا النبإ ولعله موجود معه الآن.

وخرج الدكتور "**كيمبر**" من المكتبة في أثناء عبورهم البهو، وكان رجلاً مديد القامة، بادي الذكاء، ارتجاليًا، عديم الاكتراث مما من شأنه أن يثير مرضاه في بعض الأحيان. وحيًا كل من الطبيب والمفتش الآخر بإيماءة من رأسه. وبادره "**بيكون**" قائلاً:

– لقد قامت الآنسة " **كراكنثورب**" بعمل مجيد وإن كان فيه الكثير من الإرهاق والإعنات لها. وعقب الطبيب قائلاً وهو يربت بيده كتفها:

– أحسنت صنعًا. كنت أعرف دائمًا أنك قادرة على مواجهة الأحداث. إن والدك بخير. بعد أن تدخلي للاطمئنان عليه يجب أن تتوجهي إلى قاعة الطعام لتناول ما يأمرك به الطبيب في هذه الحالات... كأس الشراب. فابتسمت "**إيما**" له شاكرة ودلفت إلى المكتبة، وتبعها الطبيب بنظراته قائلاً:

– إنها عصب الحياة في هذه الدار. إنها الفتاة الوحيدة في أسرة من الرجال بعد أن توفيت شقيقتها الأخرى التي سبق لها الزواج في سن السابعة عشرة. كان من المفروض أن تكون "**إيما**" خير زوجة وخير أم.

– أظن أنها شديدة التعلق بوالدها.

– علاوة على ما تتحلى به من صفات أخرى: ألا وهي مقدرتها الغريزية على إرضاء والدها، ومن هذا القبيل فإنها تدرك أن والدها يود أن يعامل دائمًا معاملة المرضى، فتحرص على معاملته كذلك. وهي لا تقل رعاية لأشقائها عن رعايتها لوالدها وتعمل على إرضاء نزوات كل منهم. فهذا "**سيدريك**" الذي يرى في نفسه رسامًا بارعًا، وذاك "**ألفريد** " الذي يصر على أن يسرد على مسامعها أعماله الباهرة، و"**هارولد**" الذي تلقي في روعه أنها تعول على رأيه السليم. إنها فتاة بارعة لماحة الذكاء. والآن هل تريد مني شيئًا؟ أتُريدني أن ألقي نظرة على الجثة التي تولى أمرها "**جونستون**" ("**جونستون**" هو طبيب الشرطة) لأرى ما إذا كانت ضحية لخطإ طبي؟

– بودي لو ألقيت نظرة عليها أريد التعرف على شخصيتها، أعتقد أن ذلك سيكون شاقًّا على السيد "**كراكنثورب**" العجوز؟ لعل في هذا أكثر من طاقته؟

– طاقته؟ كلا إنه لن يغفر لك أو لي تجاهله. إنه لا يتأثر بشيء إنه ثابت كالطود.

– إذن فليس ثمة به ما يقلق؟

– إنه في الثانية والسبعين. هذا هو كل ما في الأمر. وهو يعاني بعض آلام

روماتيزمية... ترى من سلم منها؟ أما هو فيصر على أنه مصاب بالنقرس. كما أنه يشعر بخفقان بعد كل وجبة ويرجعها إلى ضعف في القلب. إن لديَّ الكثير من هذا الطراز من المرضى. إن المرضى بحق لا يعترفون بأنهم مرضى ويصرون على أنهم أصحاء معافون. هيا بنا نلقي نظرة على هذه الجثة.

– أظن أنها في أسوإ حال؟

– يقدر "**جونستون**" أن الوفاة كانت منذ أسبوعين أو ثلاثة على الأكثر.

– بما يعني أن مرآها لا يسر الناظرين. ووقف الطبيب "**كيمبر**" أمام التابوت يتأمل الجثة في فضول قائلاً:

– لم يسبق أن وقع عليها نظري من قبل. وهي ليست بين مرضاي ولا أذكر أنه سبق لي الالتقاء بها في "**براكها مبتون**". أعتقد أنها كانت على قدر من الجمال.

وخرجا إلى الهواء الطلق. ووقف الدكتور "**كيمبر**" يتأمل المبنى قائلاً:

– ترى من الذي عثر عليها!

– الآنسة "**لوسي إيلزبارو**".

– آه! مديرة المنزل الجديدة؟ ماذا كانت تفعل في المخزن المهجور؟ وما الذي أتى بها إلى هذا التابوت؟

– هذا هو مما سأستفسر منها عنه، والآن بالنسبة إلى السيد "**كراكنثورب**" ترى هل؟

– سأتولى ذلك عنك. وأقبل السيد "**كراكنثورب**" متدثرًا بطيلسانه يخطو مسرعًا والطبيب إلى جانبه وقال وهو يدلف إلى المخزن في حدة:

– يا للعار! لقد أتيت بهذا التابوت من "**فلورنسا**".. في عام 1908-1909 على الأرجح. وحذره الطبيب قائلاً:

– تمالك نفسك، إن ما أنت مقبل عليه ليس بالشيء الهين إذ يجب أن أقوم بواجبي أليس كذلك؟

– لا عليك.

وكانت زيارة الرجل للمخزن الكبير قصيرة، خرج بعدها إلى الهواء الطلق وهو على وشك أن يعدو هربًا من جو المخزن الخانق وقال أخيرًا:

– لم يسبق لي أن رأيتها من قبل! يا للعار! لقد تذكرت الآن لم تكن المدينة "**فلورنسا**" لقد كانت "**نابلي**". إن التابوت قطعة فنية رائعة. وها هي تلك المرأة الحمقاء لا يحلو لها إلا أن تقتل بداخله! ثم وضع يده على قلبه مستطردًا:

– هذا أكثر من طاقتي.. قلبي.. أين "**إيما**"؟ وأخذ الدكتور "**كيمبر**" بذراعه قائلاً:

– ستكون بخير عليك بتناول كأس من الشراب. وعادا أدراجهما معًا إلى المنزل. وسمع المفتش "**بيكون**" من يناديه قائلاً:

– سيدي معذرة سيدي. واستدار ليرى صبيين مقبلين نحوه لاهثي الأنفاس وقد أمسك كل منهما بدراجته وقال أحدهما:

– سيدي هل يمكن أن نلقي نظرة على الجثة؟

– كلا غير مصرح بذلك.

– نرجوك يا سيدي فقد نتعرف على الجثة. ما الذي يحول دون ذلك؟ هذا حادث قتل في المخزن الملحق بدارنا. قد تستفيد يا سيدي من معلوماتنا.

– من عساكما أن تكونا؟

– أدعى "**ألكسندر إيستلاي**" وهذا صديقي "**جيمس ستودارت وست**".

– هل سبق لكما أن التقيتما بسيدة شقراء ترتدي معطفًا من الفراء في هذه الأرجاء؟

– لست أذكر على وجه التحديد. ربما إذا القيت...

– خذهما إلى الداخل يا "**ساندرز**". ألقى بذلك الأمر إلى الكونستابل القائم على حراسة المخزن، سمح المفتش للصبيين بالدخول وردد الفتيان شكرهما للمفتش قائلين:

– شكرًا يا سيدي شكرًا. واستدار "**بيكون**" في طريقه إلى المنزل وهو يردد فيما

بينه وبين نفسه: « والآن إلى الآنسة "**لوسي إيلزبارو**" ! ».

❁❁❁❁❁

بعد أن اقتادت "**لوسي**" رجال الشرطة إلى المخزن الكبير وزودتهم بموجز عما قامت به انسحبت عائدة لتزاول عملها بالمطبخ وإن لم يدر بخلدها أن الشرطة قد انتهت من أمرها.

وكانت "**لوسي**" تعد بعض البطاطس لوجبة المساء حينما أخطرت بأن المفتش "**بيكون**" يستدعيها، وبعد أن نحت جانبًا ما كان في يدها تبعت الشرطي إلى حيث كان المفتش في انتظارها، وجلست هادئة في انتظار ما يوجه إليها من أسئلة.

وأدلت إليه باسمها وبعنوانها في "**لندن**"، وتطوعت بقولها:

– وسأزودك ببعض الأسماء والعناوين إذا ما رغبت في معرفة الكثير عني.

وكانت الأسماء خير مرجع لمن يشاء التحري عنها، ووجد المفتش "**بيكون**" فيها صورة خليقة لا غبار عليها. وبدأ المفتش استجوابها بقوله:

– آنسة "**إيلزبارو**"! قلت إنك توجهت إلى المخزن للبحث عن وعاء للطلاء، هل هذه هي الحقيقة؟ وقلت إنك بعد أن عثرت على ضالتك أتيت بقضيب حديدي لفتح غطاء هذا التابوت حيث وجدت الجثة. فما الذي حدا بك إلى محاولة فتح التابوت وعم كنت تبحثين؟!

– كنت أبحث عن جثة.

– كنت تبحثين عن جثة! ووجدت جثة! ألا ترين في قصتك هذه أنها قصة غير عادية؟

– أجل. وإنها لكذلك هل لي في أن أزيدك إيضاحًا؟

– وهذا هو ما استدعيتك من أجله. وإنه لمن الخير لك أن توضحي... وأدلت إليه بتفصيل جميع خطواتها التي أدت بها إلى اكتشاف أمر الجثة. وراح المفتش يعيد على سمعها موجزًا لما أدلت به إليه:

– لقد عهدت إليك سيدة عجوز بتقصي الحقائق في هذه القضية وذلك عن طريق الالتحاق بعمل في هذا المنزل ييسر لك سبيل البحث عن الجثة؟ هل هذه هي الحقيقة؟

– أجل.

– من عساها أن تكون هذه السيدة؟

– الآنسة "**جين ماربل**" التي تقيم في الوقت الحاضر برقم (4) طريق "**ماديسون**".

ودوَّن المفتش العنوان والاسم وبادرها بقوله:

– هل تتوقعين مني أن أصدق قصتك هذه؟

– ليس قبل أن تتحقق منها إثر لقائك بالآنسة "**ماربل**" وإقرارها لما سمعته مني.

– سأقوم بذلك فوراً.

– ترى ماذا تعتزم أن تصارح به الآنسة "**كراكنثورب**" عني؟

– وفيم سؤالك هذا؟

– أحب أن أوضح أنني قد قمت بما عهدت به إليَّ الآنسة "**ماربل**". ولقد عثرت على الجثة التي كانت تصبو إلى العثور عليها. غير أنني ما زلت مرتبطة بالعمل مع السيدة "**كراكنثورب**" لمعاونتها بشؤون هذا المنزل. فإذا ما ذهبت وأفضيت لها بأنني لم ألتحق بهذا العمل رغبة فيه بل لمجرد البحث عن جثة فقد تفصلني من عملي. وإذا لم تفعل ذلك فيمكن أن أستمر في عملي وأفيدها بمعاونتي التي هي محتاجة إليها في هذه الظروف التي ستضاعف من أعبائها. فحدجها المفتش بنظراته قائلاً:

– إنني لن أفضي بشيء لأحد ما في الوقت الحاضر؛ لأنني لم أتحقق بعد من أقوالك. فنهضت "**لوسي**" قائلة:

– شكراً، يمكنني الآن أن أذهب إلى المطبخ لمواصلة ما كنت بسبيل إنجازه.

- 7 -

– يحسن بنا أن نشرك "**اسكتلانديارد**" في هذه القضية. أليس هذا ما تراه، أي "**بيكون**"؟ وتأمل الرئيس متسائلاً المفتش "**بيكون**" وكان المفتش رجلاً قوي البنية، جاد الملامح، لا تلين له قناة، وأجاب "**بيكون**" قائلاً:

– إن المرأة ليست من السكان المحليين وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قد تكون أجنبية وذلك من ملابسها الداخلية. وليس من شك في أنني لن أتحدث بشيء من ذلك في الوقت الحاضر. إنني أحتفظ بمعلوماتي هذه إلى ما بعد التحقيق. وأومأ رئيس الشرطة برأسه موافقًا وهو يقول:

– أعتقد أن التحقيق سيكون رسميًّا؟

– أجل لقد اجتمعت بقاضي التحقيق.

– ومتى سيكون ذلك؟

– غداً وفهمت أن سائر أعضاء أسرة "**كراكنثورب**" سيحضرون هذا التحقيق وثمة فرصة أن يعرف المجني عليها أحد منهم. لقد استدعوا جميعًا. وراجع القائمة التي كانت بيده ثم استطرد:

– "**هارولد كراكنثورب**" من الشخصيات البارزة في العاصمة، و"**ألفريد**" الذي لا أعرف شيئًا عن طبيعة عمله، و"**سيدريك**" الذي يقيم في الخارج رسام كما يقولون! ونطق المفتش بالجملة الأخيرة بلهجة ابتسم لها رئيسه الذي استفسر منه:

– هل ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن لأسرة "**كراكنثورب**" يداً في هذه الجريمة أو لها صلة بها؟

– ليس بأكثر من أن الجثة عثر عليها في ممتلكاتهم، ويحتمل أن يستطيع عضو الأسرة الفنان التعرف عليها، إن الذي يضاعف من حيرتي هذه القصة المضطربة عن القطار.

– أجل يا سيدي وهي جد واثقة بالقصة بحذافيرها مصرة على كل حرف فيها. ومع ذلك تراني أستمع إلى الأحداث على أنها من رواية سيدة متقدمة في

السن. غير أن ما يبدو واضحًا لا شك فيه أنها عهدت إلى هذه الفتاة بالبحث عن جثة ما... وهذا ما قامت به الفتاة.

– وعثرت على جثة فعلاً... في الواقع، إن القصة برمتها لها طابعها المثير. إن اسم "**جين ماربل**" لا يبدو غريبًا عليّ... ومهما يكن من أمر فإنني متصل بـ"**اسكتلانديارد**"، وأعتقد أنك على حق فيما ترى من أنها ليست من القضايا المحلية، وإن كنا لن نعلن عن ذلك بعد ويجب أن نقتصد فيما ندلي به إلى الصحف.

كان التحقيق رسميًّا ملتزمًا بالإجراءات المعروفة ولم يتقدم أحد للتعرف على الجثة. واستدعيت "**لوسي**" للإدلاء بشهادتها عن كيفية عثورها على الجثة، كما قرر الطبيب الشرعي أن سبب الوفاة هو أساسًا الخنق. ثم قرر القاضي تأجيل الجلسة إلى أن يستجد من الأدلة ما يستوجب إعادة التحقيق.

وكان يوم التحقيق يومًا شديد البرودة، مكفهر الطقس، وغادرت أسرة "**كراكنثورب**" قاعة جلسة التحقيق الواحد تلو الآخر، "**إيما**" و"**سيدريك**"، و"**هارولد**" و"**بريان إيستلاي**" زوج الشقيقة "**إيديث**" المتوفاة وكان هناك السيد "**ويمبورن**" الممثل للشركة التي تتولى شؤون الأسرة القضائية وقد قدم من "**لندن**" لحضور هذا التحقيق، ووقفوا جميعًا على المنحدر يرتعدون واجتمع الناس من حولهم وكانت الصحف قد نشرت قصة العثور على "جثة في تابوت أثري".

وسرى الهمس بين المحتشدين:

– هؤلاء هم. وقالت "**إيما**" محتدة:

– هيا بنا نبتعد..

وأقبلت السيارة "**الديملر**" المؤجرة... وصعدت إليها "**إيما**" ثم أومأت إلى "**لوسي**" وتبعهما كل من السيد "**ويمبورن**" و"**سيدريك**" و"**هارولد**" وقال "**بريان إيستلاي**":

– سأصحب "**ألفريد**" في الأوتوبيس الصغير. وتأهب السائق للتحرك بالسيارة

فصاحت "**إيما**" :

– قف! ها هما الصبيان!

وكانوا قد قرروا عدم اصطحاب الصبيين على الرغم من احتجاجهما إلى جلسة التحقيق وها هما يفاجئان الأسرة وقد اكتسى وجهاهما بشراً، وانفرجت شفاههما عن ابتسامة عريضة وانبرى "**ستودارت وست**" قائلاً:

– لقد حضرنا بوساطة الدراجات وقد سمح لنا بدخول قاعة التحقيق أرجو ألا يزعجك منا هذا المسلك. وكان يوجه كلامه إلى الآنسة "**كراكنشورب**" غير أن "**سيدريك**" رأى أن يتولى الإجابة عن شقيقته قائلاً:

– إن الصغار عادة لا يسمح لهم بحضور التحقيق. فتطوع "**ألكسندر**" بالتعقيب قائلاً:

– لقد تطورت الأحداث بصورة مذهلة مثيرة. وهنا تدخل "**هارولد**" بقوله محتداً:

– أما لهذا الحديث من نهاية؟ ألا ترون هذا الحشد وآلات التصوير الموجهة نحونا؟ وصدع السائق بأمره، وتحركت السيارة، ووقف الصبيان يلوحان بيديهما مبتسمين. وراح "**سيدريك**" يتندر بما سمعه من "**ألكسندر**" مردداً:

– تطورت الأحداث بصورة مذهلة! يا للصبية الأغرار! إننا ما زلنا في البداية. وأردف "**هارولد**" قائلاً:

– هذا هو سوء الحظ بأجلى معانيه. أعتقد... وتطلع إلى السيد "**ويمبورن**" الذي زم شفتيه وهز رأسه في أسى مقاطعاً:

– أرجو أن ينقشع ما اكتنف الحادث من غموض وينتهي إلى ما يثلج صدورنا. إن رجال الشرطة على قدر كبير من الكفاية والفراسة، ومهما يكن من أمر فالموضوع بأسره من سوء الحظ العاثر على حد قول "**هارولد**".

وكان يتطلع إلى "**لوسي**"، وهو يتحدث بذلك، وكأنه لا يقر مسلكها. وكان لسان حاله يقول: «لو لم تكن هذه الفتاة قد عمدت إلى التدخل فيما لا يعنيها، لما

حدث شيء من ذلك». وكان "**هارولد كراكنثورب**" هو لسانه الناطق:

– بهذه المناسبة – الآنسة "**إيلزبارو**" – ترى ما الذي حدا بك إلى البحث في هذا التابوت بالذات؟!

وكان هذا التساؤل بديهيًّا. وكانت "**لوسي**" تتوقعه من الأسرة ومن الشرطة على حد سواء. غير أنها كانت في عجب من أن أحداً لم يوجه إليها هذا السؤال. ورأت كل من "**سيدريك**" و"**إيما**" و "**هارولد**" والسيد "**ويمبورن**" يتطلعون إليها. وكان تعقيبها صدى لما كان يتردد في وجدانها:

– في الواقع إنني... لست أدري... لقد شعرت بأن المكان يحتاج بشدة إلى التنظيف والتطهير. ثم كانت هناك هذه الرائحة النفاذة.

وكانت تعلق أملاً كبيرًا على ما يحدثه تصريحها الأخير من رد فعل في نفس كل مستمع لها وسمعت "**ويمبورن**" يتمتم قائلاً:

– أجل، أجل. بكل تأكيد... لقد كانت الجثة في حالة تعفن إذ انقضى على الحادث حوالي ثلاثة أسابيع، كما قال طبيب الشرطة. أرى أنه من الخير لنا أن نبعد هذا الحادث عن خواطرنا. ولنضع نصب أعيننا أن أحداً منا لم يكن له أية علاقة بهذه المرأة البائسة. وهنا انبرى "**سيدريك**" قائلاً:

– وهل أنت واثق بذلك؟

وتأملته "**لوسي إيلزبارو**" في اهتمام باد. وكانت في حيرة من أمرها بسبب هذا الاختلاف البين الملموس بين الإخوة الثلاثة. فقد كان "**سيدريك**" رجلاً طويل القامة، عريض المنكبين، لفحت الشمس بشرته، كَثَّ الشعر، مرحًا طروبًا. وكان قد قدم من المطار بثياب السفر. وكان يرتدي منها ما بدا به بوهيمي الطلعة.

أما شقيقه "**هارولد**"فكان على العكس منه، فكان الصورة الحقيقية لسيد العاصمة المهذب، والمدير المحترم لأكثر من شركة. وكان مديد القامة، مهيب الطلعة، حسن الهندام، ينم مظهره عن أنه رجل الأعمال الناجح الفطن.

ودارالحديث حول المخزن، ومفتاحه المودع بين أوراق اللبلاب، والظروف

المحتملة- حسبما يرى كل منهم- التي أدت إلى إيداع الجثة في التابوت الأثري. وبدا مما اشتركت به "**إيما**" من حديث أنها قلقة، شاردة الفكر، ساهمة النظرات، ورمقها "**سيدريك**" بنظرة خاطفة متسائلاً:

- إنك قلقة ماذا دهاك؟! وانبرى "**هارولد**" يعترض محنقًا:

- وفيم سؤالك؟ إن ما حدث...

- إن ما حدث من العثور على جثة قتيلة في المخزن الكبير بـ "**روز فورد هول**"، حادث غير هين... هذا ما كنت بسبيل قوله، وإني لأجزم بأنه كان لهذا الحادث وقعه الشديد على "**إيما**" ولكننا نعرف عن "**إيما**" أنها فتاة عاقلة، ولست أرى سببًا يدعو إلى هذا القلق وشرود الذهن من جانبها، ولم يعد في الأمر مفاجأة. فأردف "**هارولد**" قائلاً بلهجة قاطعة:

- إن القتل ليس بالأمر الهين. وأن تفاجأ بجسم الجريمة من الأمور غير المألوفة. دعنا من آرائك التي تأثرت بإقامتك في الخارج. إننا هنا في "**إنجلترا**" حيث نأخذ الأمور بعمق وجد. ثم إنني لا أقرّ حضورك التحقيق بمثل هذه الثياب التي لا تتفق و...

- لا تتفق وماذا؟ إنها ثياب مريحة.

- إنها غير لائقة.

- مهما يكن من أمر فإنني لم أحمل معي سواها، إذ لم يكن هناك متسع من الوقت لإعداد حقيبة ملابسي، إنني فنان والفنانون يؤثرون مثل هذه الثياب المريحة.

- أمازلت تحاول الرسم؟

- "**هارولد**" ! ماذا تعني بقولك أحاول؟! وعندئذ، انبرى السيد "**ويمبرون**" قائلاً ليضع حدًا لهذه المناقشة:

- هذه المناقشة غير مجدية. عزيزتي "**إيما**"، أرجو أن تصارحيني بما تريدينه مني قبل سفري.

– شكراً. وإني لمقدرة لك إسراعك بالحضور.

– لا داعي لشكري. لقد كان من الضروري حضوري لمتابعة التحقيق وما يسفر عنه. ولقد دبرت لقاء بيني وبين المفتش بالمنزل وليس لدي أي شك في أن الموقف سينجلي قريباً. على الرغم مما يكتنفه من غموض. ثم إنني أعتقد أن المشكلة ليست مستعصية الحل فلماذا لا يكون هذا المخزن مكاناً للقاء بين العاشقين المحبين. ممن يعرفون أن المفتاح موجود بين أوراق اللبلاب؟ ويرجح أنه وقع شجار بين الطرفين تطور إلى هذه النتيجة المؤسفة. فلما وجد الجاني نفسه أمام نتيجة تهوره، ووقعت عيناه على التابوت في أثناء ما استبد به من حيرة، خطر له أنه خير مكان يخفي فيه نتيجة فعلته. وانبرى "**سيدريك**" معقباً:

– قلت إنهما عاشقان محبان. ولكن أنسيت أن أحداً ما لم يستطع التعرف على الجثة؟

– صبراً. قد يستجد ما ليس في الحسبان. ولِمَ لا تقول إن الرجل من هذه الناحية وإن المجني عليها من غير أهالي هذه الناحية؟

– إذا ما كانت فتاة قدمت للاجتماع بفتاها لما رضيت بهذا المخزن القذر مكاناً للقاء. أليس كذلك يا آنسة "**إيلزبارو**"؟ فتذمر "**هارولد**" قائلاً:

– أهناك ضرورة لمثل هذا الحديث، ولمثل هذه التكهنات؟ وكانت السيارة قد توقفت في هذه اللحظة أمام الباب الرئيسي لـ "**روز فورد هول**" فغادرها جميع من كانوا بها.

- 8 -

ووجد السيد "**ويمبرون**"، عند دخوله غرفة المكتب، أن المفتش "**بيكون**" لم يكن بمفرده بل كان بصحبته رجل ممشوق القد، حسن الطلعة، قدمه إليه قائلاً:

– مفتش المباحث "**كرادوك**" من "**نيواسكتلانديارد**".

– "**نيواسكتلانديارد**"... هيه.

وبما عرف عن "**درموت كرادوك**"من دماثة خلق انبرى قائلاً ليجلو ما اضطرب به ذهن "**ويمبرون**" :

– لقد عهد إلينا بأمر هذه القضية. وبما أنك تمثل أسرة "**كراكنثورب**" ، أرى أنه من حقك أن تحاط علمًا ببعض المعلومات التي لها أهميتها وأن نكشف لك عنها على الرغم من سريتها.

وكان المفتش "**كرادوك**"موفقًا في عرض ما لديه من معلومات عرضًا يوحي إلى المستمع بأنها الحقيقة كاملة. وبعد أن فرغ من سرد ما لديه، تطلع إلى زميله قائلاً :

– وإنني واثق بأن المفتش "**بيكون**"موافق على هذا. وكانت موافقة المفتش "**بيكون**" موافقة شاملة لا ريب فيها. ثم استطرد "**كرادوك**" قائلاً :

– إذن، فتلك هي حقيقة الموضوع. فبناء على ما اجتمع لدينا من الأدلة انتهينا إلى الرأي بأن المجني عليها ليست من بين الأهالي المحليين، ولا من المواطنين الإنجليز، وأنها كانت في طريقها إلى هذه الأنحاء من "**لندن**" عقب قدومها من الخارج حديثًا. ويحتمل أنها كانت قادمة من "**فرنسا**" ، وإن كنا غير واثقين بهذا كل الثقة. فقطب السيد "**ويمبرون**" جبينه متسائلاً :

– حقًّا؟ أجنبية على الأرجح. وقال المفتش "**بيكون**" معقبًا :

– هذا هو مربط الفرس من القضية، إن "**اسكتلانديارد**" لديها من الإمكانيات ما ييسر لها سبيل التحري وتقصي الحقيقة وهذا ما دعانا إلى الاستعانة بها.

– إن كل ما نرجوه وترجوه الأسرة التي أمثلها أن تحل هذه القضية سريعًا. إن هذه القضية بوضعها الراهن مصدر إزعاج للأسرة... وإن لم يكن لهم بها...

وأردف المفتش"**كرادوك**" يستكمل ما كان السيد "**ويمبرون**" بسبيل الانطلاق فيه من حديث :

– وإن لم يكن لهم بها صلة شخصية. إنهم على حق فحسبهم من هذه القضية أن جثة المجني عليها قد عُثر عليها في ممتلكاتهم. والآن أريد أن التقي بأعضاء الأسرة.

ولكنني لا أرى..

– الا ترى أنني سأتوصل إلى جديد من لقائي بهم؟ قد تكون مصيبًا، ولكن من يدري؟ أما عما أبغيه من معلومات عن هذا البيت وعن هذه الأسرة، فيمكن أن أستقبلها منك.

– وما علاقة كل هذا بامرأة مجهولة قدمت من الخارج لتقتل في هذا المكان؟

– من هنا تبدو أهمية ما أسعى إليه. ما الذي أتى بها إلى هنا؟ هل كانت لها علاقة سابقة بهذا المنزل؟ ألم يتصادف أنها قامت بعمل ما في هذا البيت وصيفة شرف مثلاً؟ أم تراها قد قدمت إلى هذا المكان للقاء ساكن سابق لـ "**روز فورد هول**"؟ وعقَّب السيد "**ويمبرون**" قائلاً:

– إن "**روز فورد هول**" لم تشغل بغير أفراد أسرة "**كراكنشورب**" منذ قام رب الأسرة الأول ببناء هذا القصر في عام 1884. وسأله "**كرادوك**" أن يوافيه بنبذة عن تاريخ الأسرة.

– ليس ثمة الكثير مما يقال. لقد كان مؤسس الأسرة صاحب مصنع للحلوى والبسكويت، وما إلى ذلك. وقد جمع من عمله هذا ثروة طائلة. وهو الذي قام بتشييد هذا القصر، الذي يقيم الآن به ابنه الأكبر "**لوثر كراكنشورب**" ...

– الا يوجد للرجل أبناء سواه؟

– كان له ولد آخر يدعى "**هنري**"، قتل في حادث سيارة عام 1911.

– ألم يفكر السيد "**كراكنشورب**" الابن في بيع هذا البيت؟

– إنه لا يملك ذلك، بناء على نص وصية والده.

– هل لي أن ألم بنصوص الوصية؟!

– وما الداعي؟

– إن بوسعي الاطلاع على نص الوصية في "**سومرست هاوس**". وانفرجت شفتا "**ويمبرون**" عن ابتسامة مغتصبة قائلاً:

– فليكن. ومع ذلك فإنني أرى أن هذه المعلومات لا علاقة لها بقضيتنا. إن وصية الأب لا تتضمن أسرارًا. لقد خلف ثروة طائلة، أوصى بدخلها لابنه "**لوثر**"

مدى الحياة، على أن توزع الثروة بعد وفاته بين أبنائه بالتساوي: "**إدموند**" و"**سيدريك**" و"**هارولد**"، و"**ألفريد**" و"**إيما**" و"**إيديث**"، وقد قتل "**إدموند**" إبان الحرب، وتوفيت "**إيديث**" منذ أربع سنوات؛ ولذلك ستوزع الثروة بعد وفاة "**لوثر كراكنثورب**" بين "**سيدريك**" و"**هارولد**"، و"**ألفريد**"، و"**إيما**" و"**ألكسندر إيستلاي**" ابن "**إيديث**".

– والقصر؟

– يؤول إلى أكبر أبناء "**لوثر كراكنثورب**" المتبقين على قيد الحياة أو ذريته.

– هل كان "**إدموند كراكنثورب**" متزوجًا؟

– كلا.

– وهكذا يؤول القصر إلى...؟

– إلى الابن الثاني "**سيدريك**".

– ألا يستطيع السيد "**لوثر كراكنثورب**" التخلي عن القصر؟

– كلا...

– أو ليس له حق السيطرة على رأس المال؟

– كلا...

– ألست ترى معي ما في هذه الوصية من شذوذ؟! يبدو لي أن "**كراكنثورب**" الأب لم يكن يحب ولده.

– نعم. هذه هي الحقيقة. لقد خيب الابن أمل الأب في عزوفه عن العمل. فقد دأب "**لوثر**" على السفر إلى الخارج وجمع ما حلا له من عاديات وقطع فنية. ولم يرق هذا للأب الذي أوصى بثروته للجيل الثاني، كما سبق أن بينت لك، ولكنني لا أرى مع ذلك علاقة بتلك القضية... بمقتل امرأة مجهولة من أصل أجنبي، لم يتعرف عليها أحد!

– هذا ما يبدو فعلاً، إن كل ما أردته أن ألم بجميع الحقائق والتفصيلات.

وبعد أن حدجه السيد "**ويمبرون**" بنظرة فاحصة، وكأنه غير مقتنع بما سمع،

نهض قائلاً:

– أزمع السفر إلى "**لندن**" فوراً، ما لم يكن ثمة ما تريدان معرفته علاوة على ما سبق. وراح يتنقل بعينيه من رجل إلى آخر.

– كلا... شكراً يا سيدي.

وفي البهو، قال المفتش "**كرادوك**" متحريًا أن يرفع عقيرته لكي يسمع الجميع:

– سندع الأسرة تتناول طعام الغداء في هدوء. وسنعود بعد ذلك... وليكن في الساعة 2:15 لنجتمع بأفراد الأسرة.

– هل ترى ضرورة لهذا؟

– إنه إجراء تكميلي. فقد يصدر عن أحدهم ما ينير لنا سبيل الاهتداء إلى شخصية المجني عليها.

– أشك في احتمال ذلك وأستبعده. وإن كنت أرجو لك التوفيق وكما سبق أن قلت لك، إن في الإسراع بإماطة اللثام عن سر هذه القضية الخير للجميع.

كانت "**لوسي**" قد عادت رأسًا إلى المطبخ، لتقوم بإعداد طعام الغداء. وبعد قليل أقبل "**بريان إيستلاي**" يسألها:

– هل يمكن أن أقوم بمعاونتك في شيء؟

ورنت إليه "**لوسي**" بعينين شاكرتين له عرضه. وكان "**بريان**" قد ذهب إلى جلسة التحقيق رأسًا بسيارته الصغيرة، مما لم يدع لها متسعًا من الوقت للتعرف إليه. ورأت فيه رجلاً قد تجاوز الثلاثين بقليل. حسن المظهر، محبب الطلعة، كستنائي الشعر، أزرق العينين، كث الشاربين، ودلف إلى المطبخ قائلاً، وهو يتخذ له مجلسًا فوق طرف المائدة:

– لم يعد الصبيان بعد. لن تستغرق عودتهما أقل من عشرين دقيقة.

– يبدو أنهما كانا قد عقدا العزم على حضور جلسة التحقيق.

– إنه التحقيق الأول في حياتهما... وفي الأسرة.

– هل تسمح بترك المائدة؛ لأنني أريد أن أضع فوقها بعض المواد؟

– سمعًا وطاعة. هل سننعم بقائمة حافلة؟

– أجل. إذن ما كنت تعتزم المعاونة حقًّا، فإليك هذه البطاطس لإعدادها فوراً.

وصدع "**بريان**" بما أمرته به. وكانت لا تفتأ تتابع ما يفعله وتوجه إليه إرشاداتها. وراحا يتجاذبان أطراف الحديث عن ألوان الطعام المختلفة وكيفية إعدادها، إلى أن سألته:

– هل تقيم في "**لندن**"؟

– أجل، بوسيلة أو بأخرى.

غير أن "**لوسي**" تبينت من نبرات صوته ما أثار فضولها.

وراحت تتأمله لتدرك أنه أكبر سنًّا مما بدا لها لأول وهلة، إنه يقارب الأربعين. وإنه ليعيد إليها ذكرى العديد من الطيارين الذين عرفتهم إبان الحرب حينما كانت في سن الرابعة عشرة. لقد نشأت وشبت عن الطوق في عالم ما بعد الحرب، أما "**بريان**" فقد اعترضت هذه الفترة منتصف عمره، وقد ثبت لديها هذا الخاطر بما تحدث به إليها بعد أن اتخذ له مجلسًا متكئًا على المائدة بمرفقه وهو يقول:

– إنه لعالم قاسٍ، يواجه المرء أحيانًا بحياة كلها مشقة وعناء. واستعادت "**لوسي**" في ذهنها ما سمعته عنه من "**إيما**" من قبل في مناسبة ما فقالت له:

– لقد كنت قائداً لإحدى الطائرات المقاتلة، ولقد حصلت على أحد الأوسمة الرفيعة!

– ومن هنا مصدر متاعبي. إن الحصول على وسام يحمل الناس على تقدير حامله ومحاولة تيسير الأمور له. هذه الأعمال أعمال مكتبية بحتة مما لا تروق لي أو أتقن منها شيئًا. إنني لم أخلق للجلوس إلى خوان وأكب على تدوين الأرقام وحسابها. إن لي آرائي الخاصة ونظرياتي العلمية التي تتطلب المال والمساندة وهما ما أفتقدهما. آه لو تحقق لي بعض رأس المال! آه وبعد أن توقف قليلاً شارد الذهن استطرد قائلاً:

– لم يسبق لك التعرف إلى "**إيدي**"؟ زوجتي. كلا. بكل تأكيد لقد كانت

تختلف عنهم جميعًا، وكانت أصغرهم سنًّا. وكانت تعمل في القوات الجوية. وكانت تقول عن والدها إنه شحيح بخيل مع العلم بأن ثروته كانت ستوزع بين أبنائه بعد وفاته، وكان من حقه أن ينفق الدخل جميعه في الأعوام المتبقية له من حياته، فيسعد به ويسعد من حوله، وسينتقل نصيب "**إيدي**" إلى ولدها "**ألكسندر**" الذي لن يملك التصرف فيه قبل أن يبلغ العام الواحد والعشرين من عمره.

وحينئذ أقبل كل من "**ألكسندر**" و"**ستودارت وست**" لاهثي الأنفاس، منهوكي القوى. وأقبل "**ألكسندر**" على والده يحييه في شوق. ثم راح يستفسر من "**لوسي**" عن ألوان الطعام. وبعد أن استمع راضيًا عما أعدته لوجبة الغداء، سألت ثلاثتهم أن يحملوا معها صحاف الطعام إلى المائدة. فانبرى "**ألكسندر**" قائلاً:

– يوجد هنا مفتش من "**اسكتلانديارد**". ترى هل سيتناول الغداء معنا؟

– المرجع في هذا إلى خالتك.

– أعتقد أن الخالة "**إيما**" سترحب بذلك. إنها كريمة مضيافة وإن كنت أعتقد أن الخال "**هارولد**"لن يرحب بهذا. إن هذه الجريمة تقلق خالي وتقض مضجعه كان السيد "**ويمبرون**"مجتمعًا برجال الشرطة، وإن كان لن يتخلف عن تناول طعام الغداء، إذ سمعته يقول إنه عائد إلى "**لندن**" فورًا.

وكان السيد "**ويمبرون**" واقفًا بالبهو يرتدي معطفه ويثبت قفازيه، حينما هبطت "**إيما**" الدرج مسرعة وهي تقول:

– ألن تبقى معنا لتناول طعام الغداء؟ لقد أعدت المائدة فعلاً.

– كلا؛ لأنني مرتبط بموعد مهم في "**لندن**" وملحق بالقطار عربة أكل.

– شكرًا لمجيئك وحضورك التحقيق معنا. وعندئذ خرج من غرفة المكتب مفتشا الشرطة. وتناول السيد "**ويمبرون**" يد "**إيما**" بين يديه قائلاً:

– لا يوجد ما يستدعي قلقك. أقدم إليك مفتش المباحث "**كرادوك**"القادم من

"**نيو اسكتلانديارد**" التي اضطلعت بأمر هذه القضية وعهدت إليه بها. وسيعود أدراجه في الساعة 2:15 لاستجوابكم وكما قلت لك، ليس ثمة ما يستوجب القلق. ثم التفت إلى "**كرادوك**" مستطرداً:

– هل لي أن أعيد على سمع "**إيما كراكنثورب**" ما تحدثت به إليّ؟

– بكل تأكيد يا سيدي.

– علمت من المفتش "**كرادوك**" بأنه واثق بأن هذه الجريمة ليست من الجرائم المحلية. فهو يرى أن المجني عليها كانت قادمة من "**لندن**" وأنها على الأرجح أجنبية عن البلاد. وبعد أن أطرقت "**إيما كراكنثورب**" قالت:

– أجنبية. هل هي فرنسية؟

وأُخذ السيد "**ويمبرون**" بسؤال "**إيما**" وبما بدا على وجهها من ملامح الانفعال. وراح "**درموت كرادوك**" بدوره يجيل عينيه بين وجهي السيد "**ويمبرون**" والآنسة "**إيما**".

وتساءل الرجل عن السبب الذي حملها على استنتاج أن المرأة القتيل كانت فرنسية وعن السر فيما بدا عليها من خلجات الانزعاج.

- 9 -

لم يطرِ أحد من الجالسين إلى مائدة الغداء طعام "**لوسي**" الجيد سوى الصبيين و"**سيدريك كراكنثورب**"، الذي كان يبدو غير متأثر بهذه الظروف التي استوجبت عودته إلى "**إنجلترا**" وكان يبدو مستخفًّا بكل ما جرى، وما يجري من حوله، وكأنه قد دعي لمشاهدة مسرحية ضاحكة.

وعلى العكس من هذا، كان موقف أخيه "**هارولد**"، الذي رأى في هذه القضية إهانة شخصية لأسرة "**كراكنثورب**"، مما أفقده شهيته وأثار حنقه. وبدت "**إيما**" قلقة، تعيسة، صرفتها خواطرها عن أن تنعم بغدائها. أما "**ألفريد**" فكان في متاهة من أفكاره الخاصة عازفًا عن الكلام وعن الطعام.

وعاد مفتشا الشرطة بعد ساعة الغداء، وتقدما إلى السيد " **سيدريك كراكنثورب** " في أدب، يسألانه الانفراد به قليلاً، وكان المفتش "**كرادوك**" -كما عرف عنه دائمًا- بشًا ودودًا.

- تفضل بالجلوس. سيد "**كراكنثورب**"، أنت عائد من الخارج فيما أعلم؟

- عائد من "**أفيزا**" حيث كنت أقيم ستة أعوام. إن الجو هناك يلائمني.

- هناك الشمس الساطعة والطقس الدافئ. لقد عدت إلى "**إنجلترا**" للاشتراك في عيد الميلاد، أليس كذلك، ما الذي استوجب عودتك ولما تنقض سوى فترة قصيرة؟

- كان حضوري في هذه المرة بناء على برقية من "**إيما**" شقيقتي. إن هذا الحادث يعد الأول من نوعه في تاريخ أسرتنا. ولما كنت أريد أن أتابع كل التطورات فقد رأيت أن أسرع بالحضور.

- هل لك هواية بكل ما هو جنائي الطابع؟

- يمكن أن يكون الوضع قريبًا من ذلك، على أنها هواية بعيدة عن كل تعمق وفراسة، أقرب إلى السطحية منها إلى أي شيء آخر. علاوة على أنني أردت أن أكون إلى جانب "**إيما**" التي أعرف مدى ما تضطلع به من أعباء وتبعات.

- بمعنى أنك استجبت إلى غريزتك وإلى مشاعرك العائلية في آن واحد. وليس من شك في أن شقيقتك سوف تقدر لك شعورك... وإن كان الشقيقان الآخران قد أسرعا إلى جانبها بدورهما.

- ولكنهما لن يكونا مصدر راحة ومسرة لها. إن "**هارولد**" في حالة لا تسر. إن كبار رجال الأعمال في المدن لا يحبون أن يقترن اسمهم بمقتل سيدة يكتنف الغموض شخصيتها.

- وهل هذا صحيح؟

- لعلك أكثر دراية مني بذلك. هذا ما يبدو من تتبعي للوقائع.

- كنت أعتقد أنه قد يكون بوسعك أن تكشف لنا عن بعض ما غمض

واستغلق علينا فهمه؟

– ألم تعلم من زملائك بأنني لم أستطع التعرف عليها؟

– لم أسألك عن هذا على وجه التحديد. إن ما كنت أرجو أن تعيننا على الاقتراب من حل هذا اللغز بترجيحك من عساها أن تكون تعميمًا وليس تخصيصاً.

– ليست لديَّ أية فكرة عن شخصيتها. لعلك تفترض أنها كانت على موعد مع أحد منّا في المخزن الكبير؟ غير أن أحداً لا يقيم هنا– فيما عدا الرجل العجوز وشقيقتي . وما أظنك بمعتقد أنها قدمت إلى هنا بناء على موعد مع الوالد المحترم؟

– إن وجهة نظرنا تقضي– وفي هذا يتفق المفتش "**بيكون**" معي– بأن لتلك المرأة علاقة ما بهذا القصر، بوسيلة أو بأخرى، وقد يكون هذا منذ عدة أعوام. أرجو أن تعود بذهنك إلى الماضي. وبعد أن استغرق "**سيدريك**" في التفكير مليًّا، هز رأسه نفيًا وهو يقول:

– لا أذكر شيئًا من هذا القبيل. لعله من الأجدى أن تستفسر من الآخرين عن ذلك، ربما عرف أحد منهم أكثر مما أعرف.

– هذا هو عين ما سأقوم به، بكل تأكيد. وبعد أن اعتدل "**كرادوك**" في مقعده، استطرد:

– بناء على ما سمعته في التحقيق، لم يستطع الطبيب الشرعي أن يحدد زمن الوفاة بصفة قاطعة، فقد قرر أنها تقع ما بين أسبوعين وأربعة أسابيع.. الأمر الذي يرجع بالوفاة إلى أيام عيد الميلاد تقريبًا. وسبق أن علمت منك بأنك كنت هنا في عيد الميلاد. فمتى وصلت إلى "**إنجلترا**"، ومتى رحلت عنها؟

– متى كان وصولي... لقد جئت عن طريق الجو. ووصلت يوم السبت السابق لعيد الميلاد يوم 21 كانون الأول (ديسمبر).

– هل وصلت رأسًا من "**ماجوركا**"؟

– أجل. تركتها في الخامسة صباحًا ووصلت أرض الوطن في منتصف النهار.

– وعدت؟

– وعدت في يوم الجمعة التالي، أي أنني غادرت البلاد في السابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر).

– شكراً. وابتسم "**سيدريك**" قائلاً:

– وهذا يجعلني في دائرة الشك، لسوء الحظ. غير أنني أحب أن أؤكد لك، يا سيدي المفتش، أن قتل النساء خنقًا ليس بهوايتي المحببة في أعياد الميلاد.

– أرجو أن يتحقق هذا، لقد انتهينا من استجوابك. وسأل "**كرادوك**" زميله "**بيكون**"، بعد أن غادر "**سيدريك**" الغرفة، وأوصد الباب:

– ما رأيك فيه ؟

– إنه لا يتورع عن فعل أي شيء. إن هذا الطراز من الفنانين لا يستبعد منه أن يتصل بهؤلاء النسوة من سيئات السمعة. إنني لا أثق بهم، ولعلك تشاركني حكمي من أسلوب هندامه... إن الرجل الذي يحترم نفسه لا يحضر جلسة تحقيق بمثل هذه الثياب. إذا ما سألتني رأيي بصراحة لقلت لك إنه من هذا الطراز الذي يقوم بقتل امرأة، ثم يمضي لا يلوي على شيء.

– ولكنه لم يرتكب هذه الجريمة– إذا ما تحقق ما يدعيه من أنه لم يغادر "**ماجوركا**" قبل 21 كانون الأول (ديسمبر) وهذا أمر يمكن التحقق منه بسهولة. فرمقه بنظرة حادة قائلاً:

– ألاحظ أنك لم تضع يدك بعد على تاريخ ارتكاب الجريمة بصفة قاطعة.

– كلا. ولندع هذا مؤقتًا. وأحب دائمًا أن أحتفظ ببعض البيانات للحظة المناسبة، ولنر الآن ماذا هو قائل السيد المهذب القادم من العاصمة؟

ولم يكن لدى "**هارولد كراكنشورب**" الكثير مما يدلي به من أقوال. وكان شديد الامتعاض مما حدث ويرى فيه عرضًا سيئًا وظاهرة للحظ السيئ. وقد نشطت الصحف اليومية فبعثت بمندوبيها يتحرون ويستقون الأنباء. وكل هذا وغيره مما يؤسف له حقًّا.

وبعد أن عرض "**هارولد**" وجهة نظره، اضطجع في مقعده وقد بدت على وجهه معالم ما تختلج به نفسه من انفعال واشمئزاز.

ولم تسفر محاولات مفتش "**اسكتلانديارد**" معه عن شيء، فلم تكن لديه أية فكرة عمن عساها أن تكون المجني عليها. نعم لقد حضر عيد الميلاد في "**روز فورد هول**" ولم يتيسر له الحضور قبل ليلة عيد الميلاد، وإن كان قد تخلف إلى نهاية الأسبوع.

وبعد أن أيقن المفتش "**كرادوك**" بأنه لا جدوى من مواصلة مناقشة "**هارولد**" تحوَّل عنه إلى "**ألفريد**"، الذي اقبل مستهيناً غير مبالٍ.

وتأمله "**كرادوك**"، وكأنه يريد أن يستعيد في ذهنه أين التقى به من قبل. إن هذا الوجه مألوف لديه. واستفسر من "**ألفريد**" عما يزاوله من عمل، غير أن إجابته كانت غامضة:

- إنني أعمل بالتأمين في الوقت الحاضر. وكنت أعمل من قبل كمندوب توزيع لجهاز ناطق جديد. وهو جهاز حديث مبتكر، وفقت في توزيعه أيما توفيق.

وأطرق المفتش "**كرادوك**" قليلاً، محاولاً أن يوفق بين هذا النجاح وبين الحلة الزهيدة الثمن التي يرتديها الماثل أمامه. وبعد برهة قصيرة، استأنف "**كرادوك**" توجيه أسئلته المعهودة. وبدا له مما أفاض به "**ألفريد**" في إجابته أنه يجد في الأمر مصدر تسلية:

- إنها نظرية لا بأس بها... احتمال قيام المرأة بعمل ما هنا. لا كوصيفة شرف؛ لأن شقيقتي لم تعد لهذا. وما أظن أن هذه الوظيفة من مألوف أيامنا هذه وقد تكون ممن ألحقن بالخدمة المنزلية، لقد التحقت بالعمل هنا بولنديات وألمانيات. وحيث إن "**إيما**" لم تعرف المرأة، فمن المتعين استبعاد هذا الاحتمال إن لـ"**إيما**" ذاكرة حادة، كلا فإذا ما كانت المرأة قادمة من "**لندن**"... بالمناسبة ترى من أين لك هذه النظرية؟ فابتسم "**كرادوك**" ولم يعقب بشيء. وتأمله "**ألفريد**" مستطرداً:

- لا تريد أن تصارحني؟ لعلك عثرت على تذكرة عودة بجيب معطفها؟

– ربما.

– حسنٌ. فلنسلم بانها كانت قادمة من "**لندن**" ربما رأى من قدمت للقائه في المخزن الكبير أنه أصلح مكان لارتكاب جريمة قتل. وليس من شك في أن هذا الرجل يعرف هذه الأنحاء خير معرفة. هذا ما يجب أن يقوم عليه بحثك عنه، يا سيدي المفتش.

– وهذا هو أساس بحثنا فعلاً.

وقد حرص المفتش "**كرادوك**" على النطق بهذه الجملة نطق الواثق بما يجب عليه عمله. وشكر لـ "**ألفريد**" معاونته، وأعلنه بانتهاء الاستجواب. وقال "**كرادوك**" لزميله "**بيكون**" بعد انصراف "**ألفريد**":

– لقد رأيت هذا الشاب في مكان ما من قبل.

– لعله عميل قديم... هذا ما يبدو من رباطة جأشه ومن إجابته.

*****

– أظن أنك لا تريد مني شيئًا؛ لأنني لست من أعضاء الأسرة. وبهذا اعتذر "**بريان إيستلاي**" لرجال الشرطة وهو يقف متردداً بباب الغرفة. فأجابه المفتش "**كرادوك**":

– السيد "**بريان إيستلاي**"، فيما أعتقد؟ زوج السيدة "**أديث كراكنثورب**"، التي توفيت منذ أربعة أعوام؟

– أجل، يا سيدي المفتش.

– حسن. ترى هل لديك ما يفيد التحقيق؟

– كلا. ليتني أستطيع شيئًا من هذا القبيل. إن القضية بأسرها تبدو شاذة غير عادية. إن قدوم امرأة من مكان بعيد لتلتقي برجل في هذا المخزن المهجور الرطب في فصل الشتاء مما يحار الفكر فيه.

– أجل، إنه لأمر يدعو إلى الحيرة فعلاً.

– هل صحيح أنها أجنبية؟ لقد سمعتهم يرددون هذا القول.

– ألا توحي لك هذه الحقيقة بشيء؟

– كلا. كلا. إنها في الواقع لا توحي إليّ بشيء.

– يقال إنها ربما كانت فرنسية؟

وكان لهذا السؤال الإيحائي وقعه في نفس "**بريان**"، الذي ومضت عيناه بما ينم عن خلجات نفسه، قبل أن يقول:

– حقًّا؟ فرنسية من عاصمة المرح والسرور، لا تجد خيرًا من مخزن التوابيت مكانًا للقاء؟ لعل هذا هو الحادث الأول من نوعه؟

– ألا تعرف أن لأحد من أعضاء الأسرة اتصالات فرنسية أو... أو... كانت له علاقة. وبادر "**بريان**" يجيب بأن آل "**كراكنشورب**" قوم أبعد ما يكونون عن علاقات المرح والحبور. ثم أردف قائلاً:

– إن "**هارولد**" متزوج بسيدة من أسرة محترمة. ولا أعتقد أن "**ألفريد**" يعنى بالنساء كثيراً... إنه يقضي حياته في عقد الصفقات الغامضة التي تنتهي عادة نهاية سيئة. أما "**سيدريك**" فقانع بهؤلاء الإسبانيات اللاتي يحطن به من "**أفيزا**". وهذا هو كل ما لديَّ من معلومات. وابتسم مستطرداً:

– أنصح بأن تعهد إلى "**ألكسندر**" بما ترى ليتقصى الحقائق. إنه يحاول بالاشتراك مع "**جيمس ستودارت وست**" أن يوفقا إلى دليل ما. وأعتقد أنهما سيوفقان إلى شيء ما.

وعقب المفتش "**كرادوك**" بقوله إنه يرجو لهما التوفيق. ثم شكر لـ "**بريان إيستلاي**" معاونته، وقال إنه يود– لو أتيحت له الفرصة– استجواب الآنسة "**إيما كراكنشورب**".

*****

تطلع المفتش "**كرادوك**" إلى "**إيما كراكنشورب**" مليًّا. فلم يزل يذكر ما كان

منها وما بدا على ملامح وجهها حين التقى بها قبل الغداء.

لقد كانت فتاة هادئة. ولم تكن بالخارقة الذكاء ولا بالبالغة الغباء. إنها كانت من هؤلاء النساء اللاتي يجد الرجل فيهن خير زوجة يرتاح لها، وتجعل من بيته جنة يسكن إليها، ويجد في منزله عش الأسرة السعيد.

إن هذا الطراز من النساء غالبًا ما يغمط قدرهن، ولا ينلن في الحياة ما هن جديرات به من تقدير. وكان "**كرادوك**" يأمل أن تزوده هذه الفتاة بالدليل الذي يجلو به ما غمض من سر قتيلة التابوت. وبينما كان يدور هذا بخلده كان "**كرادوك**" يوجه إليها القليل من الأسئلة غير المهمة:

– أعتقد أن ثمة القليل مما يمكن أن تدلي به من معلومات علاوة على ما سبق أن أدليت به للمفتش "**بيكون**"، ولذلك لن أوجه إليك الكثير من الأسئلة.

– لك أن توجه إليَّ ما شئت من أسئلة.

– كما علمت من السيد "**ويمبرون**"، لقد انتهينا إلى الرأي بأن المجني عليها لم تكن من المواطنين. وقد يكون في هذه النتيجة ما يسري عنك قليلاً، وإن ضاعفت من تعقيد القضية بالنسبة إلينا؛ لأن التعرف عليها سيكون أبعد منالاً.

– ألم تجدوا مع المجني عليها ما ييسر لكم سبيل هذا؟ حقيبة يد؟ أوراق؟

– كلا لم نعثر على شيء مطلقًا.

– أليست لديكم أية فكرة عن اسمها، وعن موطنها، وعن أي شيء من هذا القبيل؟

وجال في خاطر "**كرادوك**": "إنها تريد أن تعرف... إنها جد مشتاقة إلى معرفة– من عساها أن تكون هذه المرأة. وإني لأتساءل عما إذا كان هذا هو شعورها منذ البداية؟ إن "**بيكون**" لم يحدثني عن شعورها هذا... وهو الرجل الذكي..".

– إننا لا نعرف شيئًا عنها. ولقد كنا نرجو أن يدلنا أحد منكم عما يميط اللثام عن هذا السر. هل أنت واثقة بأنك لا تستطيعين ذلك؟ وعلى فرض أنك لم تتعرفي عليها؛ ألا يمكن أن ترجحي شيئًا يعيننا على الإمساك بطرف الخيط؟ وترددت قليلاً قبل أن تجيب:

– ليست لديَّ أية فكرة.

– حينما أخبرك السيد "**ويمبرون**" بأن المجني عليها كانت أجنبية فما السبب الذي دعاك إلى افتراض أنها فرنسية؟

– أو صدر هذا عني حقًّا؟ أجل، أعتقد أنني فعلت هذا، والحق أنني لست أدري السبب الذي دعاني إلى ذلك، اللهم إلا أننا نتجه دائمًا إلى افتراض أن الأجانب فرنسيون إلى أن يثبت العكس. إن معظم الأجانب في بلادنا من الفرنسيين، أليس كذلك؟

– ليس في أيامنا هذه. إن البلاد تعج بالأجانب من مختلف الجنسيات.

– أجل،أعتقد أنك مصيب في هذا الرأي.

– ألم يكن ثمة ما يحدو بك إلى الظن بأن هذه المرأة فرنسية؟ ولم تسرع بنفي هذا، وأطرقت تستعرض الأمر قبل أن تجيب آسفة:

– كلا، لم يكن ثمة ما يبرر هذا حقًّا. وتطلع "**كرادوك**" إلى المفتش "**بيكون**"، الذي تقدم منها عارضًا عليها علبة البدرة السابق العثور عليها بين الأعشاب:

– آنسة "**كراكنثورب**"، هل تعرفين شيئًا عن هذه العلبة؟ فتناولتها منه وتفرست فيها مليًّا، ثم قالت:

– كلا. وكل ما أنا واثقة به أنها ليست لي.

– ألا تعرفين لمن عساها أن تكون؟

– كلا.

– إذن، فليس ثمة داعٍ لمضايقتك بعد ذلك، على الأقل في الوقت الحاضر.

– شكرًا. ونهضت مبتسمة، ثم غادرت الغرفة. وتبين "**كرادوك**" أنها كانت تسرع في خطواتها، وكأنها تتجنب بهذا توجيه أسئلة أخرى إليها. وسأله "**بيكون**":

– ترى، هل تعرف شيئًا؟

– إننا نميل دائماً في إحدى مراحل التحقيق إلى الاعتقاد بأن الناس يعرفون أكثر مما يدلون به من معلومات.

– هذا هو مسلكهم عادة. وإن كنت أرى أنه لا ينطبق في حالتنا هذه. إننا أمام أسرة تخشى أن يقحم باسم عضو من أعضائها في هذه القضية أو في هذه الفضيحة.

– أجل، أعرف هذا. على الأقل... ولكن المفتش "**كرادوك**" لم يتم جملته. إذ إن الباب قد فتح فجأة ودخل منه السيد "**كراكنثورب**" الشيخ غاضباً وهو يقول:

– يا لها من مأساة! أن يبلغ الأمر حد تدخل "**اسكتلانديارد**". وأن يتجاهل رجالها رب الأسرة وما تقتضيه قواعد السلوك من الاتصال به أولاً! من سيد هذا القصر؟

– أنت يا سيدي، دون أدنى شك. ولكننا أردنا أن نجنبك إعادة سؤالك، تقديراً منا لحالتك الصحية. لقد سبق أن أدليت إلى المفتش "**بيكون**" بأقوالك، وقد رأينا فيها الكفاية. علاوة على أن الدكتور "**كيمبر**" قال...

– حقيقة أنني شيخ هرم. أما عما قاله دكتور "**كيمبر**"، فما أظن أنه الطبيب البارع القادر على تشخيص مرضي. إنه يرجع كل ما أشعر به من وعكة إلى ما تناولته من طعام. وهذا ما فعله في عيد الميلاد حينما شعرت ببعض الآلام المعوية. ماذا أكلت؟ متى تناولت وجبتي؟ من الذي قدمها لي؟ باطل في باطل، وهراء في هراء! ومهما يكن من أمر صحتي فإنني أستطيع أن أقدم لكم من المعونة كل ما بوسعي. إن جسم الجريمة وجد في ممتلكاتي ووقعت الجريمة في مخزن ملحق ببيتي! ماذا تريدون أن تعرفوا؟ وما وجهة نظركم؟

– لم يئن الأوان بعد لتكون لنا نظرية محددة. إننا معنيون أولاً بالكشف عن شخصية المجني عليها.

– إنها أجنبية، على حد قولكم؟

– هذا ما نعتقده.

– وهل هي عميلة أجنبية؟

– كلا. إنني أستبعد هذا.

–ولماذا؟ إنهم منتشرون في كل مكان! لماذا تصرح لهم وزارة الداخلية بدخول البلاد؟ هذا ما لا أجد له مبرراً. إنهم يحاولون التجسس على أسرارنا الصناعية. ولعل هذا ما كانت تفعله المجني عليها.

– في "**براكها مبتون**"؟

– إن المصانع في كل مكان منها. يوجد أحدها بجوار السور الخلفي لممتلكاتي.

وتطلع "**كرادوك**" إلى "**بيكون**" الذي انبرى قائلاً:

– مصنع للصناديق المعدنية. وأردف الرجل العجوز قائلاً:

– وكيف تثق بأن هذه هي صناعتهم؟ لا تصدق كل ما يقولونه لك. فليكن. ولنسلم بانها لم تكن من الجواسيس. فمن عساها أن تكون؟ هل تعتقد أنه كانت لها علاقة بأحد أبنائي؟ إذا ما كان الأمر كذلك فلابد أنه "**ألفريد**"، أما "**هارولد**" فلا، إنه يعرف خطواته جيداً. وبالنسبة إلى "**سيدريك**" فالإقامة في هذه البلاد لا تطيب له. وهذا يعود بنا إلى "**ألفريد**". ولعل أحداً تعقبها إلى هنا، اعتقاداً منه أنها قادمة لموافاة "**ألفريد**"، فقتلها انتقاماً. ماذا ترى في نظريتي هذه؟

وحرص المفتش "**كرادوك**" بلباقته على أن يقول للعجوز إنها مجرد نظرية، حيث يتسع المجال لكثير غيرها، وإنها لا بأس بها، في هذا الظلام المدلهم الذي يكتنف الحادث وأردف قائلاً:

– إن السيد "**ألفريد كراكنثورب**" لم يتعرف على الجثة على الرغم من ذلك.

فقال العجوز:

– إنه يخشى مغبة تعرفه عليها! إن "**ألفريد**" جبان رعديد! وهو كاذب منافق! إن جميع أبنائي ليسوا سوى حفنة من الفساد تترقب موتي. إن هذا هو هدفهم الأسمى من الحياة. دعهم ينتظرون فسيطول بهم الانتظار. حسنٌ إذا كان هذا هو كل ما يمكنني القيام به... فمن حقي أن أنال قسطاً من الراحة؛ لأنني جد متعب.

وغادر الرجل الغرفة كما دخلها منذ قليل. وراح "**بيكون**" يردد متسائلاً ما قاله الوالد عن ولده "**ألفريد**"، ويعود لينكر عليه هذا القول:

– أعتقد شخصيًّا أن "**ألفريد**" بعيد عن ذلك كل البعد إنه ليس رجلنا، على الرغم مما يعرف عنه من سلوك سيئ، وبالمناسبة، ما رأيك في رجل الطيران؟

– "**بريان إيستلاي**"؟

– أجل. لقد التقيت بواحد أو اثنين من طرازه. إنهم ممن يقال عنهم، إنهم رجال لا يتحرجون عن الإقدام على شيء في الحياة، لقد واجهوا الموت والمخاطر وكل ما هو مثير في مطلع حياتهم. إنهم خامة صالحة. إنهم الماضي دون مستقبل. وهم من ينتهزون الفرصة إذا ما سنحت لهم. إنهم من يستسلمون لغرائزهم دون مراعاة للناموس الأدبي. إنهم لا يعرفون الخوف، ولا يعرف قاموسهم الحذر فإذا ما حدث أن لـ "**إيستلاي**" علاقة بامرأة ما وأراد أن يقتلها، وإذا ما كان ثمة داع لذلك، فلماذا يودع جثتها في تابوت والد زوجته؟ يخيل إليّ أن ما من عضو من أعضاء هذه الأسرة له علاقة بهذه الجريمة. فإذا ما كان أحدهم هو الذي اقترف هذه الجريمة، فما كان ليودع الجثة في مخزن على بعد خطوات من باب منزل الأسرة.

وأقر "**كرادوك**" وجهة نظر زميله الذي سأله:

– هل يوجد ما يدعو إلى بقائنا؟

– كلا.. واقترح عليه "**بيكون**" أن يقفلا راجعين إلى "**براكهما مبتون**" لتناول قدح من الشاي، غير أن "**كرادوك**" اعتذر بأنه ذاهب لزيارة صديق قديم.

- 10 -

استقبلت الآنسة "**ماربل**"، وهي جالسة في مقعدها الوثير، المفتش "**درموت كرادوك**" مرحبة بقولها:

– إني جد سعيدة بأنهم عهدوا إليك بهذه القضية. ولقد كنت أرجو ذلك فعلاً.

– عندما تسلمت رسالتك حملتها رأسًا إلى المدير المساعد. وكان قد علم بأحداث هذه الجريمة من شرطة "**براكها مبتون**" حينما اتصلوا به يدعون الإدارة للتدخل. وبدا من أقوالهم أنهم يعتقدون أن الجريمة ليست محلية. وقد أثارت رسالتك اهتمام المدير المساعد. وأعتقد أنه كان قد سمع عنك من خالي.

– العزيز السيد "**هنري**".

– وقد سألني أن أحيطه علمًا بكل ما في قضية آل "**بادوك**" من تفصيلات. هل ترغبين في سماع ما قاله تعقيبًا على ما سردته على مسامعه؟

– أرجو أن أعرف منك كل ما عقب به على ما سمعه منك، إذا لم يكن في ذلك إفشاء للسر.

– لقد قال: «حسن، بناء على ما يبدو من أن هذه القضية بدأت بما أبلغت به السيدتان ثم اتضحت صحته، وحيث إن لك معرفة بإحداهما فإنني موفدك لاستكمال التحريات في هذه القضية». وهأنا الآن بين يديك! والآن، يا سيدتي، من أين نبدأ؟ إن زيارتي هذه ليست بالرسمية. لقد جئت بمفردي. فلقد رأيت أن نتبادل الرأي على انفراد. وابتسمت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– إنني لواثقة بأن أحدًا ما كان ليصلح للاضطلاع بهذه القضية خيرًا منك. والآن. إليّ بكل ما لديك.

– لقد اجتمعت لديّ كل التفصيلات، فيما أعتقد. أقوال صديقتك السيدة "**ماك جيليكودي**" أمام شرطة "**سانت ماري ميد**"، وما أيد به المحصل أقوالها هذه، ومذكرة ناظر محطة "**براكها مبتون**". ويتوج هذا كله ما قمت به من مجهود لكشف غموض هذه القضية.

– الأمر وما فيه أنني أعرف "**إليزابيث ماك جيليكودي**" خير المعرفة. وأعرف أنها لا تقول إلا حقًّا. غير أن الأمر كان يستوجب تأييد روايتها، إثر ما اتضح من اختفاء جسم الجريمة، وإلا خُيِّل إلى البعض أن قصتها كانت من نسج خيالها، كما هو دأب من تقدم بهن العمر. وهذا وإن صح مع غيرها فهو لا يصح مع "**إليزابيث**

ماك جيليكودي" .

– إنني أتوق إلى اليوم الذي يجمع بيني وبينها. ليتها لم تسافر إلى " **سيلان**" . لقد اتخذنا اللازم لأخذ أقوالها هناك تفصيلاً. إن ذهنك المتوقد كان له أكبر الأثر.

– هذا توفيق من الله.إن استقراء الأحداث ومتابعتها لابد من أن يؤدي بالمرء إلى النتيجة المرجوة.

– هل يمكن باسلوبك هذا أن تتبعي القاتل إلى حيث يوجد الآن؟

– ليتني أستطيع هذا. لم تختمر لديَّ الفكرة بعد. وإن كنت واثقة بأن القاتل ممن أقاموا في "**روز فورد هول**" ، أو يعرفون كل شيء عنه.

– إنني موافق على وجهة نظرك هذه، غير أن نظريتك هذه تفتح أمامنا آفاقًا واسعة. لقد عمل بهذا البيت كثيرات وكلهن يعرفن كل شيء عن القصر وملحقاته.

– أجل. ومن هنا يزداد الأمر صعوبة.

– إننا لن نتقدم خطوة ما لم نكشف عن شخصية المجني عليها.

– وقد يكون هذا هوالآخر صعب المنال.

– إننا سنبلغ هدفنا، إن عاجلاً أو آجلاً. ونحن نواصل تحرياتنا دائبين لإماطة اللثام عن هذه العقبة الكؤود في سبيلنا. ولم نجد إلى الآن من بلغ عن اختفائها ومن تنطبق أوصافها على المجني عليها. إن الطبيب الشرعي يقدر لها أنها في الخامسة والثلاثين من عمرها، صحيحة البدن، متزوجة على الأرجح. رزقت بمولود واحد على الأقل كما اتضح أن معطفها الزهيد الثمن مشترى من أحد متاجر "**لندن**" ، وقد بيع من هذه المعاطف المئات في الأشهر الثلاثة الأخيرة، ستون في المائة منها لنساء شقراوات. ولم تتعرف أي من البائعات على صورة المجني عليها الفوتوغرافية. أما سائر ملابسها، فهي من صناعة أجنبية، تم شراؤها من "**باريس**"وقد اتصلنا بشرطة "**باريس**" للقيام بما يقتضيه الأمر من تحريات. إن المسألة مسألة وقت فعاجلاً أو آجلاً سيتقدم من يبلغ عن اختفاء قريب أو ساكن.

– ماذا عن علبة البدرة، ألم تؤد إلى شيء؟

– كلا، بكل أسف. إنها من السلع العامة التي تباع بالمئات. وبالمناسبة، لقد كان من الواجب تقديم هذا الدليل إلى الشرطة فوراً.

– إن جسم الجريمة لم يعثر عليه إلا في آخر لحظة، وقبل اكتشاف أمره لم تكن ثمة جريمة. إن مجرد العثور على علبة بدرة في أثناء ممارسة أحد ما لرياضة الجولف لا يعني شيئا. لقد رأيت أن العثور على الجثة يجب أن نبدأ به.

– يبدو أنك كنت واثقة بالعثور عليها؟

– أجل. إن "**لوسي إيلزبارو**" فتاة بالغة الذكاء والكفاية.

– هذا تبينته مما كان منها! إنها قوية الملاحظة، مثابرة.

– ما موقف آل "**كراكنثورب**" منها؟ فلم تعد تتصل بي بعد أن قامت بما عهدت إليها به.

– إنهم لا يعرفون شيئًا عن علاقتها بك. إنها تواصل عملها عندهم. وكان بوسعها أن تترك خدمتهم متى شاءت. ولكنها بقيت تؤدي عملها المنزلي. فما السبب؟

– لست أدري. لعل المقام قد طاب لها.

– من زاوية المشكلة؟ أم بالنسبة إلى الأسرة؟

– قد يكون الاثنان معًا. إذ لا يمكن الفصل بين الحافزين؟

– هل لديك فكرة؟

– كلا... كلا.

– أعتقد أن ثمة خاطراً يجول في ذهنك.

– لم يتبلور شيء معين في ذهني بعد.

– إذن، فليس عليّ في الوقت الحاضر سوى أن أترقب وأنتظر.

– إنني واثقة بأنك ستصل إلى ما تبغي من نتائجك.

– ألا يمكن أن تزوديني بما أسير على هداه؟

– لقد تبادر إلى ذهني خاطر عن تلك الفرق المسرحية التي تجوب البلاد متنقلة من مكان إلى مكان كالقوم الرحل، ولا أستبعد أن تكون إحدى فتيات هذه الفرق متخلفة عن فرقتها.

– أجل. هذه بداية طيبة، وخاطر له قدره. وسوف أولي هذه القضية عناية كبرى. لماذا تبتسمين؟

– لقد دار بخلدي، ماذا سيكون من أمر "**إليزابيث ماك جيليكودي**" حينما تعلم بعثورنا على الجثة؟

*****

قالت السيدة "**ماك جيليكودي**":

– حسن! هكذا!.

ولم تسعفها كلماتها. وكانت تنتقل بعينيها بين الشاب المهذب الذي قام بزيارتها وعرفت فيه أحد رجال الشرطة، وبين الصور الفوتوغرافية التي بين يديها. وأخيراً قالت:

– هذه هي. إنها دون أدنى شك. يا للمسكينة! إنني سعيدة لعلمي بأنكم عثرتم على جثتها! إن أحداً لم يصدق حرفًا من قصتي! وإن المرء يضيق صدره بعدم تصديق الناس له، ومهما يكن من أمر فلا يمكن لأحد أن يزعم بأني لم أبذل كل ما بوسعي. أين وجدت الجثة؟

– في مخزن ملحق بمنزل يطلق عليه اسم "**روز فورد هول**" بالقرب من "**براكهامبتون**".

– لم أسمع باسم هذا البيت من قبل. وإني لأتساءل كيف تم العثور على الجثة هناك؟ ولم يعقب رجل الشرطة بشيء. فاستطردت قائلة:

– لابد من أنها "**جين ماربل**"، إن "**جين**" موضع ثقة في مثل هذه الأمور.

– لقد اكتشفت أمر الجثة فتاة تدعى "**لوسي إيلزبارو**" بناء على ما بين يدي من أوراق.

– وهي الأخرى لم يسبق أن سمعت باسمها من قبل. غير أنني ما زلت أعتقد أن للآنسة "**ماربل**" علاقة بهذه النتيجة الموفقة.

– لندع هذا إلى ما جئت من أجله. أفهم مما سبق أن قررت به أن هذه الصورة هي لسيدة القطار؟

– هي بعينها التي شاهدت رجلاً يقتلها خنقًا بيديه.

– وهل يمكن أن تصفي لنا هذا الرجل؟

– كان رجلاً مديد القامة، أسود الشعر.

– نعم؟

– هذا كل ما أستطيع الإدلاء به من أوصاف. لقد كان يوليني ظهره فلم أستطع أن أرى وجهه.

– هل يمكنك معرفته إذا ما عرض عليك؟

– كلا، بداهة؟ كيف يتأتى لي هذا ولم تتيسر لي رؤية وجهه، إن ما شاهدته به من وضع لم يتح لي هذه الفرصة.

– ألا يمكنك تقدير سنه؟

– كلا– ليس على وجه التحديد– كما أعني. وإن كنت واثقة بأنه لم يكن في مقتبل العمر. لقد كان عريض المنكبين تجاوز الثلاثين بكثير. هذا كل ما بوسعي أن أتحدث به عن أوصافه؛ لأنني لم أكن معنية بالتحديق إليه، كما ترى. إنها هي من كنت أتأملها وقد أطبق بيديه على حنجرتها، وقد بدا وجهها محتقنًا بشعًا... لطالما عاودني هذا المشهد في أحلامي.

– لقد اجتزت تجربة شاقة، متى ستعودين إلى "**إنجلترا**"؟

– ليس قبل ثلاثة أسابيع هل ثمة ما يستدعي...؟

– كلا. لا يوجد ما يستدعي التعجيل بالعودة في الوقت الحاضر على الأقل. هذا ما لم يتم القبض... وترك لها استكمال ماكان بسبيل قوله.

وحمل البريد رسالة من الآنسة "**ماربل**" إلى صديقتها، وكانت الرسالة مدونة

بخط رديء قد ازدحمت بالخطوط والعلامات المؤكدة، غير أنه كان من اليسير على السيدة "**ماك جيليكودي**" أن تقرأ هذه الطلاسم التي ألفتها من صديقتها، وكانت الرسالة تتضمن سرداً مفصلاً من الآنسة "**ماربل**" لكل ما كان في أثناء غياب السيدة "**ماك جيليكودي**" . وقد طابت السيدة "**جيليكودي**" خاطراً بما اطلعت عليه من تفصيلات.

- 11 -

بادر "**سيدريك كراكنثورب**"الآنسة "**لوسي إيلزبارو**" قائلاً وهو يحدق النظر إليها:

– في الواقع، إنني لفي حيرة من أمرك.

– ولماذا؟

– ما عملك هنا على وجه التحديد؟

– إنني أعمل في سبيل معاشي. ألست ترى ما أقوم به من خدمات منزلية؟

– إنك تقومين بجميع الأعمال: من المطبخ إلى النظافة إلى آخر الأعمال المنزلية.

– إنني أجد متعة في عملي، وأهوى أعمال الطهي والنظافة وإصلاح ما فسد.

– إنني أعيش في فوضى تطيب لي.

– هذا ما أعتقده.

– إن كوخي في "**أفيزا**" خير شاهد على ذلك. إنني أهوى الرسم والنحت. ولا أحب أن يمس حاجاتي أحد سواي. ولا أسمح بزيارة النساء لي.

– من المفروض أن رجلاً له مثل ذوقك الفني لا تخلو حياته من الحب.

– إن حياة الحب لا يجب أن تغير من حياتي الخاصة وتعدل من أسلوبها.

– لكم أود أن أقوم بزيارة لمسكنك!

– لن تتاح لك هذه الفرصة.

– هذا ما أعتقده. وتطرق بهما الحديث إلى الإهمال البادي في الكثير من أنحاء هذا القصر وملحقاته وتمنت لو تيسر لها القيام بما يعيد له بهاءه... وعندئذ انبرى "**سيدريك**" قائلاً:

– يالك من فتاة تجنح إلى التدخل في كل شيء ! إنني لأتبين الآن لماذا قدر لك بالذات أن تعثري على هذه الجثة! وأنت بالذات من أوتيت الجراة على الاقتراب من تابوت أثري قديم. ولنعد الآن إلى ما كنا نتجاذبه من أطراف الحديث. إن هذا الإهمال البادي مرجعه إلى والدي الذي يمسك يده عن إنفاق ما يتطلبه القصر ليبدو في مظهر لائق. وبالمناسبة ماذا ترين في والدي؟

– لم تتح لي فرصة الاقتراب منه بما فيه الكفاية.

– لا تحاولي تجنب الإجابة الصريحة. إنه رجل شحيح، بخيل، غير متزن العقل إلى حد ما ، وهو يبغضنا جميعًا، باستثناء "**إيما**" ، والسبب في ذلك يرجع إلى ما نصَّت عليه وصية جدي. وتطلعت إليه "**لوسي**" مستفسرة. فاستطرد يقول:

– كان جدي عصاميًّا جمع ثروة طائلة بكده واجتهاده، أما والدي فلم يكن على شاكلة جدي. وكان كثير الأسفار والتنقل بين "**إيطاليا**" ، و"**البلقان**" ، و"**اليونان**" يهوى اقتناء العاديات وآيات الفن، ونعى جدي عليه هذا. ورأى فيه رجلاً لا يصلح للعمل ،ولا يفهم شيئًا في الفن. وأعتقد أنه كان مصيبًا في رأيه هذا. وبناء على ذلك قرر أن يوصي بثروته لأحفاده وبحق الدخل لابنه مدى الحياة. فما كان من والدي إلا أن توقف عن السفر والترحال والإنفاق وعاد إلى الوطن ليبدأ في ادخار النقود، الأمر الذي لم يعد له هم سواه. ولقد استطاع أن يجمع ثروة تكاد أن تبلغ قدر ما تركه جدي، وكان هذا بفضل تقتيره وعيش الحرمان الذي اختاره لنفسه ولأبنائه. إن جمع المال هواية لا أكثر ولا أقل، وفيم هذا التقتير، وقد بلغ من العمر عتيًّا؟ ولمن يجمع هذا المال؟ إلا لأبنائه الذين يبغضهم والذين ستؤول إليهم ثروة جدي؟ إنه لا يريد أن يبسط يده لأحد منا، فهأنذا أعيش عيش الكفاف في جزيرة نائية، أما "**هارولد**" فقد وفق في أن يشق طريقه ويصبح من رجال الأعمال الناجحين، وإن كنت قد سمعت أخيراً أنه يجتاز ضائقة مالية. أما "**ألفريد**" فهو شاة الأسرة السوداء.

– ولماذا؟

– إنك تريدين أن تعرفي الكثير! إن "**ألفريد**" لم يقدر له بعد أن يحكم عليه بالسجن وإن كان قد اقترب منه غير مرة. لقد كان موظفًا في وزارة التموين إبان الحرب ولكنه أقصي عن منصبه في ظروف غامضة، ثم كان أن اشترك في صفقات حامت حولها الريب والشكوك.

– أليس من الخطإ أن تفشي هذه الأسرار لمن لا يمت للأسرة بصلة قرابة؟

– لماذا؟ هل أنت من مرشدي الشرطة؟

– ربما.

– لا أعتقد هذا. لقد التحقت بالعمل هنا قبل أن تبدأ الشرطة نشاطها معنا.

ولم يستطرد فيما كان بسبيل التحدث به بناء على ظهور "**إيما**" فجأة قادمة من باب المطبخ الخلفي فبادرها بقوله:

– أهلاً "**إيما**" يبدو عليك الانزعاج؟

– أجل. أريد أن أتحدث إليك. فانبرت "**لوسي**" تقول عامدة:

– لديَّ ما يستدعي عودتي إلى المنزل. فاعترض "**سيدريك**" قائلاً:

– لا تنصرفي، لقد أصبحت فردًا من أفراد الأسرة، بعد اطلاعك على كل صغيرة وكبيرة نتيجة لما أثاره هذا الحادث.

– لديَّ الكثير من الأعمال التي تنتظرني. وأسرعت تغادر المطبخ إلى حديقته و"**سيدريك**" يتبعها بنظراته قائلاً:

– إنها فتاة جميلة ترى ما حقيقة أمرها؟ فأجابته "**إيما**" قائلة:

– إنها معروفة للجميع. دعنا الآن من "**لوسي إيلزبارو**" إنني جد قلقة. إن رجال الشرطة يعتقدون أن المجني عليها أجنبية. وربما كانت فرنسية. "**سيدريك**" ألا يمكن أن تكون هذه الفتاة هي "**مارتين**".

*****

وحملق "**سيدريك**" إلى وجهها وكأنه لا يعي شيئًا مما سُمع:

– "**مارتين**" ؟ من عساها أن تكون... آه تعنين "**مارتين**" !

– أجل. هل تعتقد؟

– وما الذي دعاك إلى هذا الاعتقاد؟

– تلك البرقية التي بعثت بها هي التي أثارت ريبتي. إن تاريخ هذه البرقية يكاد يكون معاصراً... الا يمكن أن تكون قد قررت زيارة "**إنجلترا**" أخيراً و...

– هراء. ما الذي يدعو "**مارتين**" إلى القدوم وتلمس طريقها إلى المخزن الكبير؟ ولماذا؟ إنني أستبعد هذا.

– الا ترى أنه من الأفضل إبلاغ المفتش "**بيكون**" بذلك أو زميله الآخر؟

– وبماذا تريدين إبلاغه؟

– بموضوع "**مارتين**" وبرسالتها.

– لا تقومي بما من شأنه أن يزيد الأمور تعقيداً. إنك ستثيرين موضوعًا لا علاقة له بهذا الحادث إطلاقًا ولن تساعد إثارته على جلاء الموقف، بل ستزيده تعقيداً، ثم إنني لم أكن مقتنعًا بتلك الرسالة الواردة من "**مارتين**".

– ولكنني كنت مقتنعة بها.

– إنك تصدقين كل شيء أيتها الشقيقة الطيبة القلب. إن نصيحتي لك بأن تسيطري على أعصابك، وتغلقي فمك. إن على رجال الشرطة أن يميطوا اللثام عن شخصية جسم الجريمة. وأعتقد أن هذا هو رأي "**هارولد**" أيضًا.

– أعرف ذلك... وهذا ما سيراه "**ألفريد**" هو الآخر، ولكنني قلقة غير مطمئنة... ولست أدري ماذا أنا فاعلة.

– لا شيء. "**إيما**" ! إن ما ينبغي لك عمله هو أن تلزمي جانب الصمت، لا تخلقي المتاعب ولا تزيدي من مصادر قلقك. وهذا هو شعاري في الحياة.

وعادت "**إيما كراكنثورب**" أدراجها إلى المنزل كسيفة البال، مبلبلة الفكر. وبينما كانت في طريقها إلى البيت خرج الدكتور "**كيمبر**" منه، وفتح باب

سيارته "الأوستين"، وتوقف بمجرد أن وقع نظره عليها، ثم تقدم نحوها قائلاً:

– إن والدك في خير حال وكأني بجرائم القتل لها تأثيرها الساحر في صحته. ترى هل يكون فيها علاج ناجع لبعض المرضى؟ وابتسمت "**إيما**" غير أن الدكتور "**كيمبر**" كان من الفطنة بحيث تبين ما يختلج به وجهها من أمارات القلق فسألها:

– ماذا بك؟ هل من جديد؟ وتطلعت "**إيما**" فيه تطلع المستنجد بما عهدت فيه من عطف ومودة فلقد ترى فيه الصديق الذي تركن إليه أكثر من الطبيب المعالج. وصارحته بقولها:

– أجل إنني جد قلقة.

– هل لي أن أعرف السبب؟ هذا إذا لم يكن لديك مانع؟

– إنك تعرف فعلاً ما يسبب انزعاجي، إن ما يثير قلقي هو أنني لا أعرف ما يجب أن أفعله على وجه التحديد.

– إنني أعرف عنك حسن تقديرك للأمور. ماذا يقلقك؟

– لعلك تذكر ما تحدثت به إليك من قبل عن شقيقي الذي قتل في الحرب؟

– عن موضوع زواجه، أو شروعه في الزواج بفتاة فرنسية.

– أجل لقد قتل عقب تسلمنا تلك الرسالة مباشرة. ولم نسمع شيئًا بعد ذلك عن الفتاة، ولم نكن نعرف عنها أكثر من اسمها الأول، وكنا نتوقع أن تكتب إلينا ولكنها لم تفعل، ولم نعرف عنها شيئًا– وذلك إلى ما قبل عيد الميلاد بشهر.

– أجل حينما تلقيت رسالة منها؟

– رسالة تضمنت أنها موجودة في "**إنجلترا**"، وتود لو حضرت لزيارتنا، وبعد أن أعددنا كل شيء لاستقبالها أبرقت إلينا في آخر لحظة أنها اضطرت إلى العودة إلى "**فرنسا**" على عكس ما كانت تتوقع.

– حسنٌ؟

– إن رجال الشرطة يعتقدون أن المجني عليها فرنسية.

– أحقًّا ما تقولين؟ لقد خُيِّل إليّ أنها إنجليزية. إذن فإن ما يقلقك هو احتمال أن تكون المجني عليها هي فتاة أخيك؟

– أجل.

– إني أستبعد هذا الاحتمال، ومهما يكن من أمر فإني أدرك حقيقة ما تشعرين به.

– وتجدني في حيرة من أمري... ترى هل أفضي إلى رجال الشرطة بكل ما يدور بخلدي، إن "**سيدريك**" وسائر الأشقاء يرون ألا ضرورة لشيء من هذا القبيل فماذا ترى؟ وأطرق الدكتور "**كيمبر**" قليلاً، دون أن يعقب بشيء واستغرق في التفكير مليًّا. وأخيرًا انبرى يقول لها بلهجة المتردد المحرج:

– ليس من شك في أن التزام الصمت هو السبيل الأكثر سلامة، وإنني لمدرك لما يشعر به أشقاؤك معًا.

– أجل.

– ومع ذلك فإنني على استعداد لإحاطتهم علمًا بكل شيء... وذلك لأبدد عنك ما يساورك من قلق. إنني خير من يفهمك.

– ربما كنت تعرف عني...

– فلتفعلي ما تشائين أي "**إيما**" العزيزة، وليذهب إلى الجحيم من يذهب، وثقي بأنني سأقف إلى جانبك ضدهم جميعًا إذا اقتضى الأمر ذلك في يوم ما.

- 12 -

– أيتها الفتاة! أنت! تعالي هنا. وتلفتت "**لوسي**" دهشة وكان المنادي السيد "**كراكنثورب**" العجوز الذي كان واقفًا بأحد الأبواب إلى الداخل.

– هل تأمر بشيء يا سيدي؟

– صه، ولا تثرثري. تعالي هنا.

وصدعت "**لوسي**" للأمر وأمسك السيد "**كراكنثورب**" بذراعيها وجذبها إلى داخل الغرفة وأوصد الباب من خلفها ثم بادرها قائلاً:

– أردت أن أطلعك على شيء ما.

وجالت "**لوسي**" بعينيها فيما حولها، وأدركت أنهما في غرفة صغيرة كانت معدة لتكون غرفة مكتب، ولكنها كانت مهجورة لفترة طويلة من الزمن. وكانت هناك أكداس من الأوراق المهملة فوق الخوان، وقد تدلت خيوط العنكبوت من السقف. وكان جو الغرفة رطبًا عفنًا.

– هل تريدني أن أقوم بنظافة هذه الغرفة؟

– كلا. إنك لن تفعلي شيئًا من هذا القبيل! إنني أحتفظ بهذه الغرفة مغلقة. إن "**إيما**" تصبو إلى دخولها، والعبث بمحتوياتها، إنها غرفة مكتبي الخاصة، هل ترين هذه الأحجار؟ إنها عينات جيولوجية. وتأملت "**لوسي**" مجموعة من أربع عشرة قطعة من الصخر، بعضها مصقول والبعض الآخر خام وقالت بهدوء:

– رائعة ومثيرة.

– إنها كذلك فعلاً. إنك فتاة ذكية. إنني لا أدع لكل من هب ودب فرصة إلقاء نظرة عليها، إنني سأطلعك على أشياء أخرى.

– إني لشاكرة لك عطفك، غير أن ثمة ما ينبغي أن أفرغ منه. إن أعبائي المنزلية كثيرة.

– وبالذات لمن تكاثر منهم لمناسبة ما يجري من أحداث، أنت تتكلفين المشقة وأنا أتكلف النفقات. إنهم يلتهمون ثروتي بما يلتهمونه من طعام! وجميع هؤلاء يترقبون موتي بنفاد صبر، ولكنني لن أشبع رغبتهم وسأخيب ظنهم، إنني أصح بدنًا مما يظنون.

– هذا ما لا أشك فيه.

– وإنني أصغر سنًا مما يخيل إلى "**إيما**" التي تعتقد أنني عجوز هرم تقدمت به السنون.

– كلا وبكل تأكيد.

– إنك لفتاة فطنة. تأملي هذه.

وأشار إلى خريطة كبيرة على الحائط. وكانت لشجرة النسب التي تبين التسلسل العائلي للأسرة. وكانت بعض الأسماء مدونة بحروف صغيرة، والبعض الآخر بحروف كبيرة، يعلوها التيجان، وانبرى السيد "**كراكنثورب**" قائلاً وهو يومئ بإصبعه إلى أعلى الشجرة.

– سلالة ملكية. إنها شجرة نسب والدتي، وليست شجرة نسب والدي. لقد كان رجلاً عاديًّا من عامة الشعب! ولم يكن يحبني! وكنت بعيداً عنه، أقرب لوالدتي. وكانت لي ميولي الفنية ونزعتي الكلاسيكية، وتلك ميول ومشاعر لم يكن يعرف عنها شيئًا أو يقرها. إنني لا أذكر شيئًا عن والدتي شخصيًّا... لقد فارقت الدنيا بينما كنت في الثانية من عمري. وهذه هي أسرتها الملكية. إنه نسب أفخر به وأزهو.

– حقًّا.

– والآن سأعرض عليك شيئًا آخر.

وتأبط ذراعها إلى قطعة من الأثاث القديم المصنوع من خشب البلوط. وكانت "**لوسي**" تشعر بقوة الذراع التي تستند إليها. إن هذا الرجل، بخلاف ما يبدو، صحيح معافى. واستطرد السيد "**كراكنثورب**" قائلاً:

– تأملي هذه؟ لقد وجدت في "**لاشنجتون**"... مسقط رأس والدتي. إنها من عصر "**إليزابيث**" ولا يمكن لأقل من أربعة رجال نقلها من مكانها. إنك لا تعرفين ما أحتفظ به داخلها، هل ترغبين في أن أطلعك على ما بداخلها؟

– أرجو أن ترضي فضولي.

– إنك فضولية، كما علمت بذلك. وهذا هو شأن النساء جميعًا. وأخرج مفتاحًا من جيبه فتح به الجزء الأسفل من الصوان، ثم مد يده وأخرج صندوقًا حديث الصنع، فتحه هو الآخر بمفتاح قائلاً:

– فلنلقِ نظرة على هذا. هل رأيت ما بداخله؟ وأخرج لفافة أفرغ بعض ما بها

في راحة يده، وكانت من العملة الذهبية، وهو يقول:

– تأملي هذه، تأمليها جيداً، أمسكي بها وتحسسي ملمسها. هل عرفت ما هي؟ بالتأكيد إنك أصغر سنًّا من أن تتعرفي عليها. إنها جنيهات ذهبية، وهي العملة التي كانت مستعملة قبل تداول هذه الأوراق النقدية القذرة. وقد احتفظت معها بأشياء أخرى لها قيمتها. و"**إيما**" لا تعرف شيئًا عن كل هذا، إني أحتفظ بها للمستقبل. وهذا سر بيني وبينك هل فهمت؟ أتعرفين لماذا أطلعك على سري وأوليك ثقتي؟

– لماذا؟

– لأنني لا أريد أن تري فيّ رجلاً مريضًا يلهون به. إن الرجل العجوز مازال يفيض حيوية ونشاطًا. لقد توفيت زوجتي من زمن طويل. وكانت تعارضني في كل شيء. ولم تكن راضية عما سميت به أطفالنا من أسماء سكسونية أصيلة. ولم أعرها التفاتًا، ولم تكن آراؤها لتعنيني في كثير أو قليل. وإني لأتوسم فيك الفتاة العاقلة الفطنة. وإليك مني هذه النصيحة، لا تسلمي زمامك إلى شاب غر. وعليك أن تترسمي خطواتك ولاتتعجلي أمرك. انتظري وترقبي. إن معظمهم سيفارق هذه الدنيا قبلي. "وإن غداً لناظره قريب"! إن "**هارولد**" لم ينجب أطفالاً، و"**سيدريك**" و"**ألفريد**" لم يتزوجا، و"**إيما**" لن تتزوج في الوقت الحاضر على الأقل. إنها معجبة بـ "**كيمبر**"، ولكن "**كيمبر**" لا يفكر في الزواج بـ "**إيما**" ويبقى أمامنا "**ألكسندر**" وأنا مغرم بهذا الصبي، أجل إنني أحب "**ألكسندر**". ووقف مقطب الجبين، ثم قال:

– ماذا ترين في كل هذا؟ ماذا ترين؟ وسمعت صوت الآنسة "**كراكنثورب**" تناديها. فرحبت "**لوسي**" بالفرصة قائلة:

– الآنسة "**كراكنثورب**" تناديني. يجب أن أنصرف. شكرًا جزيلاً على ثقتك بي وما أطلعتني عليه.

– إياك وأن تبوحي بالسر.

– اطمئن. لن أفشي لك سراً. قالت هذا، وأسرعت تغادر الغرفة إلى البهو، وهي غير واثقة بما إذا كانت قد تلقت عرضاً بالزواج من عدمه.

❁❁❁❁❁

كان "**درموت كرادوك**" جالسًا إلى مكتبه بـ "**نيو اسكتلانديارد**" وكان ممسكًا بسماعة التليفون، وهو يحاول التعبير عما يريد الحديث عنه بالفرنسية.

– إنها مجرد فكرة، هل تفهمني؟

– أجل، مجرد نظرية. بهذا كان تعقيب صاحب الصوت، المتحدث من إدارة الأمن العام في "**باريس**" والذي استطرد قائلاً:

– لقد أمرت بجمع التحريات في هذه الدوائر. وقد قرر من وُكِّل بذلك أنه يواصل تحرياته في ناحيتين أو ثلاث وهي تبشر بنتائج مثمرة. وما لم يكن لهؤلاء النساء حياة عائلية أو عاشق معين، فإن اختفاء إحداهن لا يعني أحداً. ويؤسفني أن أحيطك علمًا بأنه كان من العسير التعرف على الصورة الفوتوغرافية التي بعثت بها إليّ. إن الموت خنقًا يفسد من ملامح الوجه الطبيعية. وعلى الرغم من هذه الملابسات التي بينتها لك، فإننا نواصل البحث والتحري. وسأوافيك بما يستجد إلى اللقاء.

وبمجرد انتهاء المكالمة التليفونية، وجد "**كرادوك**" أمامه قصاصة ورق مدون عليها.

«الآنسة "**إيما كراكنثورب**" تطلب مقابلة المفتش "**كرادوك**". بشأن قضية "**روز فورد هول**"». وما إن فرغ من تلاوة ما سطر، أمر الشرطي:

– دعها تدخل.

وبينما كان جالسًا في انتظارها تبادر إلى ذهنه أنه لم يجاف الصواب فيما خُيِّل إليه من أن "**إيما**" تعرف شيئًا، وها هي قد استقر رأيها على الإفضاء بما لديها.

ونهض يستقبلها مصافحًا. وبعد أن دعاها إلى الجلوس قدم إليها لفافة تبغ رفضتها شاكرة، وبعد لحظة توقف، تبين منها أنها لا تعرف كيف تبدأ الحديث،

رأى أن ييسر عليها الأمر بقوله:

- آنسة "**كراكنثورب**"، هل كان مجيئك بنية الإفضاء بشيء؟ هل بوسعي القيام بأية خدمة؟ إن ثمة ما يسبب قلقك؟ شيء قد ترينه تافهًا لا صلة له بالقضية، وقد يكون من ناحية أخرى مرتبطًا بأحداثها بصورة أو بأخرى، لقد حضرت لتحدثيني بذلك؟ ولعل لما لديك علاقة ما بشخصية المجني عليها؟ هل تعرفين من عساها أن تكون؟

- كلا، كلا، ليس الأمر كذلك، إنني أستبعد هذا الخاطر غير أنني...

- غير أن ثمة ما يقض مضجعك. يحسن بك أن تصارحيني بما يجول بخاطرك، فقد يكون في ذلك راحة لك.

- لقد اجتمعت بثلاثة من أشقائي. غير أن لي شقيقًا آخر، هو "**إدموند**" قتل في الحرب. وقبل أن يلقى مصرعه بقليل، كتب إليّ من "**فرنسا**". وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها رسالة تلت منها:

"أرجو الا تفاجئي بما سأصارحك به، أي عزيزتي "**إيما**"، إنني سأتزوج بفتاة فرنسية. لقد جرت الأمور بأسرع مما قدرت لها، ولكنني أعرف أنك ستحبين "**مارتين**" وترعينها إذا ما حدث لي ما ليس في الحسبان. وسأكتب إليك بجميع التفصيلات في رسالتي القادمة بعد أن يتم زواجنا، أرجو أن تترفقي بالوالد حينما تنقلين إليه النبأ!". ومد المفتش "**كرادوك**" يده، ترددت "**إيما**" قليلاً قبل أن تناوله الخطاب. واستطردت تقول:

- بعد وصول هذه الرسالة بيومين، تلقينا برقية تتضمن أن "**إدموند**" مفقود، ويرجح أنه لقي حتفه. ثم علمنا فيما بعد بأنه قتل فعلاً. وكان هذا قبيل معركة "**دنكرك**" ولم يتضح من السجلات شيء عن زواجه؛ لأن الجيش حينئذ كان في فوضى لا مثيل لها، قبل الانسحاب من "**دنكرك**". ولم تتصل بي الفتاة، كما أن محاولتي لمعرفة شيء عنها قد ذهبت سدى؛ لأنني لم أكن لأعرف سوى اسمها الأول.

وانتهيت إلى الرأي أخيرًا بترجيح عدم إتمام الزواج أو أن تكون الفتاة قد لقيت

حتفها هي الأخرى. وأومأ المفتش "**كرادوك**" برأسه دلالة على أنه يتابع حديثها. واستطردت "**إيما**" بعد ذلك تقول:

– ثم كان أن تلقيت رسالة، لفرط دهشتي، منذ شهر تقريبًا مذيلة بإمضاء "**مارتين كراكنثورب**".

– هل أتيت بها معك؟ وأخرجت "**إيما**" الرسالة من حقيبة يدها، وناولتها إليه. واطلع "**كرادوك**" على الرسالة التي كانت محررة بخط فرنسي رشيق متقن:

«آنستي العزيزة.

أرجو ألا تزعجك رسالتي هذه. ولست أدري إذا كان شقيقك "**إدموند**" قد أحاطك علمًا بزواجنا؛ ولكنه قال لي إنه سيخبرك بذلك. وقد لقي مصرعه بعد زواجنا ببضعة أيام، حين احتل الألمان قريتنا وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، استقر رأيي على عدم الاتصال بك بأية وسيلة وإن كان "**إدموند**" قد سألني أن أفعل هذا، الأمر الذي لم أجد ضرورة له، بعد أن اتخذت لي حياة جديدة. غير أن الوضع قد تغير الآن. وقد رأيت أن أحرر هذه الرسالة من أجل ولدنا– ابن شقيقك– الذي يجب أن تتاح له كل الفرص. إنني قادمة إلى "**إنجلترا**" في أوائل الأسبوع القادم. هل لي أن أعرف منك رأيك في هذا اللقاء وفي حضوري؟ عنوان مراسلتي هو 126، "**الفرزكريسنت**" رقم 10 أرجو ألا أكون قد تسببت في إزعاجك.

مع صادق محبتي...»

"**مارتين كراكنثورب**"

ولم يعقب "**كرادوك**" بشيء، بل راح يعيد الاطلاع على الرسالة قبل أن يعيدها إلى "**إيما**" قائلاً:

– ماذا فعلت بعد تسلمك لهذه الرسالة؟

– لقد تصادف أن زوج شقيقتي "**بريان إيستلاي**" كان مقيمًا معنا حينئذ، فحدثته بأمر هذه الرسالة. ثم اتصلت تليفونيًا بشقيقي "**هارولد**" في

"**لندن**" للاستئناس برأيه. وقد أشار عليّ بتوخي الحذر؛ لأنه كان يشك في الموضوع بأسره. وقد صادفت مشورته قبولاً لديّ؛ لأنه لم ينطق إلا حقًّا غير أنني كنت أرى أنه في حالة ثبوت أن هذه الفتاة هي بعينها "**مارتين**" التي حدثني "**إدموند**" عنها في رسالته، فمن المتعين علينا أن نرحب بها ونحسن استقبالها، وبعثت إليها برسالة على العنوان المدون برسالتها أدعوها إلى زيارة "**روز فورد هول**"؛ لكي يتم اللقاء بيننا. وبعد بضعة أيام تلقيت برقية من "**لندن**" نصها : "أعتذر لاضطراري إلى العودة إلى "**فرنسا**" فوراً. "**مارتين**". ». وكانت هذه البرقية آخر ما ورد لي منها، ولم أعلم عنها شيئًا بعد ذلك.

– ومتى كان هذا كله؟

– قبيل عيد الميلاد؛ لأنني كنت أعتزم دعوتها لقضاء العيد بيننا، غير أن والدي لم يوافق على اقتراحي، مما استدعى تعديل الاقتراح إلى تأجيل الزيارة إلى نهاية الأسبوع بعد عيد الميلاد، حين تكون الأسرة مازالت مجتمعة وأعتقد أن البرقية الواردة منها والمتضمنة اعتذارها باضطرارها إلى العودة إلى "**فرنسا**" فوراً، قد وردت قبل عيد الميلاد بأيام قليلة.

– وهل تعتقدين أن جثة المجني عليها التي عثر عليها في التابوت هي لـ"**مارتين**"؟

– كلا. غير أنك حينما قلت إن الجثة لأجنبية، لم أتمالك نفسي من التساؤل.. عما إذا كان يحتمل أن...

– لقد أحسنت صنعًا بإفضائك إليّ بكل هذا. وسنضع أقوالك هذه موضع الاعتبار. وأرى من واجبي أن أصارحك بما يساورني من شك في أن هذه المرأة التي اتصلت بك قد عادت أدراجها إلى "**فرنسا**" حيث تقيم الآن في خير حال. ثم إن ثمة توافقًا ملحوظًا في تاريخ الأيام كما تدركين. وبناء على ما قيل في جلسة التحقيق، كانت الوفاة منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع. والآن، ليس عليك إلا أن تدعي الأمر لنا، وتزيحي عن عاتقك ما يثقله. وقبل أن ننهي هذا الحديث، أريد أن أجلو

نقطة عرضت. لقد قلت إنك استشرت أخاك "**هارولد**" فماذا عن والدك وسائر أشقائك؟

– لقد أحطت والدي علمًا بكل شيء. وقد فسر الأمر من زاويته الخاصة، بأنه وسيلة لابتزاز بعض المال منه. إن الناحية المادية لدى والدي هي كل شيء. إنه لا ينفق أكثر من ربع دخله، ويؤمن بأنه يجب أن يدخر البقية للزمن. أي زمن! إن هؤلاء المتقدمين في السن يعتقدون أنهم سيعيشون أبدًا. دعنا من هذا. ولنعد إلى ما استفسرت عنه. بديهي أنني أخبرت شقيقي الآخرين بهذا الموضوع أيضًا، ولكنهما لم يحملاه محمل الجد كعهدي بهما، وقد اجتمع رأينا على ضرورة استقبال الأسرة لـ"**مارتين**"، وعلى ضرورة استدعاء مستشارنا القانوني، السيد "**ويمبرون**"، للاشتراك معنا في استقبالها والاجتماع بها. غير أننا أرجأنا الاتصال به لآخر لحظة. وما كدنا نفعل ذلك حتى وردت برقية اعتذار "**مارتين**".

– ألم تتخذي أية خطوة بعد ذلك؟

– بلى، حررت رسالة بعنوانها في "**لندن**"، ولكنني لم أتلق ردًّا ما.

– وما رأيك في الموضوع برمته؟

– لست أدري. إن الموضوع بأسره يبعث على الحيرة.

– ترى، ماذا خلف كل هذا من انطباعات في نفسك؟ هل كنت تؤمنين بأصالة الرسالة، أم هل كنت من رأي والدك وإخوتك؟ وما رأي زوج شقيقتك؟

– كان يرى أن الرسالة حقيقية.

– وأنت؟

– لم أكن واثقة برأي معين.

– وماذا كان شعورك الخاص، على فرض أن الفتاة حقًّا كانت أرملة أخيك "**إدموند**".

– لقد كنت أحب "إدموند"، وكان شقيقي المحبب إلى قلبي. وكنت أرى في الرسالة أنها الرسالة التي تبعث بها فتاة كـ"**مارتين**" في مثل هذه الظروف. وكان

تسلسل ما ورد بها من أحداث طبيعيًا منطقيًا. فقد كان من المسلم به أن الفتاة بعد أن وضعت الحرب أوزارها تزوجت برجل آخر عاشت في حمايته هي وطفلها. ثم كان أن توفي هذا الزوج أو هجرها، فرأت أن تتصل بأسرة "**إدموند**" كما أراد لها ذلك. هذا هو رأيي في الرسالة. أما "**هارولد**"، فكان في ريبة من أمر هذه الرسالة، ولا يستبعد أن تحل امرأة مدعية محل "**مارتين**" بعد أن وضعت يديها على جميع الوقائع، وتجمع لديها من المعلومات ما يعينها على تحرير تلك الرسالة وكان عليّ أن أسلم بوجهة نظره مؤقتًا، إلى أن...

– إلى أن تتحققي من كل ما تضمنته من وقائع؟

– أجل، هذا ما أردت قوله. ولكم يسعدني أن أتحقق من أن لـ "**إدمونـد**" ولدًا.

– إن الرسالة تبدو في ظاهرها حقيقية. غير أن ما يدعو إلى التساؤل ما أعقبها من تطورات بدأت برحيل "**مارتين كراكنثورب**" المفاجئ إلى "**باريس**"، ثم ما كان من عدم اتصالها بك فيما بعد. ولقد كان ردك على رسالتها ردًا رقيقًا، أبديت فيه استعدادك للترحيب بها. فلماذا لم تكتب لك بعد عودتها الاضطرارية إلى "**فرنسا**"؟ ولقد تبادر إلى ذهني أن اتصالك بالسيد "**ويمبرون**"، وما قام به من تحريات بعد هذا، يحتمل أن يكون قد أفزعها، مما يرجح معه أنها مدعية، ولكنك قلت إن هذا الاتصال لم يتم، مما استتبع استبعادي لهذا الخاطر. ثم دار بخلدي أن أحدًا من أشقائك قد سلك مسلكًا لمست منه أنها ستواجه ما لا قبل لها به، وما لم يكن في حسبانها، فآثرت أن تلوذ من الغنيمة بالإياب. ناهيك عما سيثار من اعتراضات قانونية من كل ذي مصلحة، على توريث الصبي الذي لابد من أن يكون قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره، أليس كذلك؟ علاوة على أن هذا الصبي بناء على ما علمت به، سيكون هو الوارث لقصر "**روز فورد هول**".

– هذا صحيح! هل تعرف أن شيئًا من هذا القبيل لم يتبادر إلى ذهني؟

– مهما يكن من أمر فقد أحسنت صنعًا. بمجيئك وإطلاعي على كل ما تعرفين. وسوف أقوم بتحقيق الموضوع وتقصي الحقائق، وإن كنت أرجح أنه لا

يوجد ثمة صلة بين محررة الرسالة وبين المجني عليها التي وجدت جثتها بالتابوت الأثري. ونهضت "**إيما**" في حال غير ما أقبلت به، قائلة:

– إنني جد سعيدة بمصارحتك بما كان يقض مضجعي وإني لشاكرة عطفك.

ونهض "**كرادوك**" يودعها إلى باب غرفته. ثم عاد ليتصل بالمفتش "**ويذرول**" :

– "**بوب**"، لديَّ عمل لك. عليك بالذهاب إلى 126، "**الفرزكريسنت**"، رقم 10 خذ معك الصور الفوتوغرافية لقتيلة "**روز فورد هول**". ولتحاول جمع المعلومات عن امرأة تدعى السيدة "**كراكنثورب**"– السيدة "**مارتين كراكنثورب**"– التي كانت تقيم بهذا العنوان أو تتخذ منه عنوان مراسلة، فيما بين 15كانون الأول (ديسمبر) و31 منه.

– حسنٌ يا سيدي.

وأكب "**كرادوك**" على إنجاز ما بين يديه من أعمال أخرى، وتوجه بعد الظهر إلى زيارة صديق يعمل مندوبًا للفرق المسرحية. ولم تسفر تحرياته عن شيء. وعند عودته إلى مكتبه في المساء وجد برقية من "**باريس**" نصها:

"قد تنطبق الأوصاف الواردة منك على جثة "**سترافنسكا**" من فرقة باليه "**مارتسكي**" يستحسن حضورك. "**ديسان**" مأمور الشرطة".

وطاب "**كرادوك**" خاطرًا بما تضمنته هذه البرقية وقرر أن يستقل معدية الليل إلى "**باريس**".

- 13 -

قالت الآنسة "**ماربل**" لـ "**إيما كراكنثورب**" :

– شكرًا جزيلاً لدعوتك لي لتناول قدح من الشاي. وكانت الآنسة "**ماربل**" مهيبة الطلعة وخير مثال للسيدة المحترمة في هذه السن المتقدمة التي توحي بالاتزان والحكمة. وكان وجهها مشرقًا مضيئًا وهي تتأمل ما حولها وتتطلع إلى "**هارولد كراكنثورب**" في بدلته الزرقاء، وإلى "**ألفريد**" الذي يقوم على خدمتها ويقدم إليها

الشطائر مبتسماً، وإلى "**سيدريك**" في حلته غير الأنيقة، وإلى "**إيما**" التي أجابتها في رقة وأدب:

– لقد أسعدنا قدومك، وقبولك لدعوتنا. ولم يكن في المجلس ما ينبئ عما دار من حديث بعد ساعة الغداء حينما قالت "**إيما**":

– رباه لقد نسيت. حيث كنت قد أخبرت الآنسة "**إيلزبارو**" بأن بوسعها دعوة خالتها لتناول الشاي معنا عصر اليوم. ويسرع "**هارولد**" بالتعقيب قائلاً:

– دعينا منها. مازال لدينا الكثير مما يجب أن نتبادل الحديث فيه، لا نريد غرباء بيننا. ويقول "**ألفريد**":

– فلتتناول الشاي في المطبخ مع قريبتها. وتنهره "**إيما**" بقولها:

– لا يمكن أن أسمح بشيء من هذا القبيل. إنه لمسلك شائن يجافي الذوق. أما "**سيدريك**" فكان يرى:

– فلتحضر. ربما استطعنا أن نعرف منها الكثير عن "**لوسي**" إنني أريد أن أعرف المزيد عن هذه الفتاة التي أثق بها كل الثقة. ويعقب "**هارولد**" باتزانه المعهود:

– لقد تحريت أمرها، وسمعت عنها كل خير. وكان قيامي بهذا بعد اكتشافها أمر الجثة الذي أثار ريبتي فيها. وينبري "**ألفريد**" قائلاً:

– ليتنا نتوصل إلى معرفة من عساها أن تكون المجني عليها. ويسرع "**هارولد**" بقوله محتداً:

– "**إيما**". أريد أن أصارحك القول بأنك قد جافيت الصواب بذهابك إلى الشرطة والإفصاح عن رأيك بأن المجني عليها قد تكون صديقة "**إدموند**" الفرنسية. الأمر الذي سوف يحدو بهم إلى الاقتناع بأنها قد قدمت لزيارتنا وأن واحداً منا قد قتلها.

– كلا. كلا. لا تبالغ فيما تفترض. ويؤيد "**ألفريد**" شقيقه بقوله:

– إن "**هارولد**" على حق فيما رأى. ترى ما الذي حملك على سلوك هذا

المسلك؟ لقد أصبحت أشعر بتعقب رجال المباحث لي أنّي ذهبت. وينضم "**سيدريك**" إلى شقيقه معقبًا:

– لقد أشرت عليها بعدم القيام بشيء من هذا القبيل. ثم جاء "**كيمبر**" فأيدها فيما تزمع القيام به. ويعود "**هارولد**" ليقول غاضبًا:

– ليس له أن يدس أنفه فيما لا يعنيه. هذا الموضوع من شأننا نحن. وضاقت "**إيما**" ذرعًا بهذه المناقشة فانبرت قائلة:

– هلا أمسكتم عن هذا الجدل العقيم. في الواقع إنني جد سعيدة بزيارة هذه السيدة لنا، وإنه من الخير لنا أن نكف عن هذا الترديد الممل لبعض النقاط. وغادرت "**إيما**" الغرفة. وبعد انصرافها انبرى "**هارولد**" قائلاً:

– هذه الآنسة، "**لوسي إيلزبارو**" كما قال عنها "**سيدريك**" التي بلغ بها فضولها حد التفتيش في المخزن والعبث بالتابوت، يحيرني أمرها. وأرى لزامًا علينا أن نتخذ بعض الخطوات حيال هذا الوضع. إن موقفها فيما أرى كان موقفًا منفرًا ساعة الغداء. فقال "**ألفريد**":

– دعها لي. سأحاول الكشف عما إذا كانت قد ألمت بشيء جديد.

– ترى ما الذي دعاها لتفتح هذا التابوت؟ وكان تعقيب "**سيدريك**":

– ربما لم تكن هذه الفتاة هي "**لوسي إيلزبارو**" شخصيًّا.

– إنه لرأي له اعتباره! وتبادل الأشقاء نظرات قلقة متسائلة.

كان هذا المشهد بعد الغداء وقبل أن تذهب "**لوسي**" لتعود بالآنسة "**ماربل**" في الساعة المحددة لتناول الشاي، وتودعها المقعد الوثير بجوار المدفأة. وها هي الآن تتطلع مبتسمة إلى "**ألفريد**"، الذي كان يقدم إليها بعض الشطائر، وتستفسر منه عن نوعها مبررة بأنها ستبلغ التسعين من عمرها في العام التالي، وأن عليها أن تتخير ما يناسبها من ألوان الطعام ثم استدارت إلى مضيفتها:

– يا له من قصر جميل! يضم ويحوي كل ما هو جميل. لقد أحسن جدك اختيار رياشه، وانتقاء أثاثه. وأجمل من هذا كله اجتماعكم فيه كأسرة واحدة،

قلما تجدين من الأسر من يجتمع أفرادها هكذا.

– ولكننا لا نقيم هنا جميعاً. إن اثنين من أشقائي يقيمان في "**لندن**"، والثالث يقيم في "**أفيزا**"، حيث يكب على الرسم.

– إن الرسامين مولعون بالإقامة في الجزر، ومن هذا الطراز "**جوجان**" وإن كنت لا أميل إلى اقتناء تلك اللوحات التي تعنى بتصوير نساء تلك الجزر.

وكانت تتطلع إلى "**سيدريك**" وهي تتحدث برأيها هذا. غير أن "**سيدريك**" لم يعقب بشيء على ما يسمعه من هذا الحديث، بل انبرى يقول لها:

– هلا حدثتنا بشيء عن طفولة "**لوسي**". فابتسمت قائلة:

– لقد كانت "**لوسي**" ممتازة في كل أطوار حياتها. أجل، تلك هي الحقيقة. أرجو ألا تقاطعيني.. وهي بارعة في علم الرياضيات كما أنها سريعة البديهة، دقيقة الملاحظة.

وهكذا استطردت الآنسة "**ماربل**" تعدد مناقبها، ولم يقطع عليها تيار حديثها سوى دخول "**بريان**" والصبيان. وفي أعقابهم أقبل الدكتور "**كيمبر**" الذي قال بعد أن تم واجب التعارف بينه وبين الآنسة "**ماربل**":

– يا "**إيما**"، أرجو ألا يكون والدك قد غادر فراشه؟

– كلا. في الواقع إنه متعب بعض الشيء. فابتسمت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– أم لعلها ذريعة لتجنب الزائرين. وإنه ليذكرني بوالدي الذي كان يفعل ذلك، ويسأل والدتي ان تحمل إليه الشاي في غرفة مكتبه. وبدأت "**إيما**" تجيب قائلة:

– أرجو ألا يدور بخلدك... غير أن "**سيدريك**" قاطعها قائلاً:

– إنه يفعل هذا دائماً حينما يحضر أبناؤه الأعزاء وتجتمع الأسرة، هذا هو دأبه. إنها حالة نفسية، أليس كذلك يا دكتور؟ وأجاب الدكتور "**كيمبر**":

– إن الحالات النفسية بخير ما تركت إلى علماء النفس. إن المشكلة في أن كل مدع يفرض من نفسه عالماً نفسياً. وكثيراً ما أجلس مستمعاً إلى مرضاي

وهم يقومون بتشخيص ما بهم، قبل أن أجد الفرصة لأسمعهم رأيي. شكرًا يا "**إيما**"، لا بأس بقدح آخر. لم يكن لديَّ متسع من الوقت لتناول طعام الغداء. فعقبت الآنسة "**ماربل**" مجاملة:

– إنها حياة الأطباء. حياة التضحية والجهد النبيل.

– ولكن الأطباء لا يلقون ما هم جديرون به من تقدير. لا من الحكومة ولا من المواطنين. "**إيما**"، إن هذه الفطائر رائعة!

– إنها من صنع الآنسة "**إيلزبارو**".

– ولكن فطائرك لا تقل عنها روعة.

– ألن تعود والدي؟ ونهضت يتبعها "**كيمبر**". وتبعتهما الآنسة "**ماربل**" بعينيها قائلة:

– أرى أن الآنسة "**كراكنشورب**" شديدة الحدب على والدها. ويعقب "**سيدريك**" قائلاً:

– كان الله في عونها. ويسرع "**هارولد**" بإصلاح ما فسد:

– إن والدي يحلها من قلبه مكانًا ممتازًا. وهي الآن سيدة هذا البيت. فقال "**سيدريك**":

– لقد ولدت "**إيما**" لتعيش عانسًا. فومضت عينا الآنسة "**ماربل**"، ثم قالت:

– هل هذا هو رأيك؟ فأسرع "**هارولد**" ينقذ الموقف قائلاً:

– إن شقيقي كثيراً ما يلقي الألفاظ جزافًا دون أن يعني مفهومها النقيضي. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لم أشعر بالاستياء كما قد يتبادر إلى ذهنك. لقد كنت أتساءل عما إذا كان مصيبًا فيما يرى؛ لأنني لا أعتقد ان الآنسة "**كراكنشورب**" ستظل عانسًا. إنها من ذلك الطراز من النساء اللاتي لا يتزوجن في سن مبكرة، ولكنهن يوفقن في زواجهن المتأخر قليلاً، حيث يصبحن أتم نضجًا وأهلية. ويفسر "**سيدريك**" رأيه بقوله:

– إن هذا لا يتوقع لها ما دامت تقيم هنا، لا ترى أحداً ولا يراها أحد.

– وهل نسيت أن في مثل هذه الأنحاء فرص اللقاء ببعض رجال الدين والأطباء؟

وراحت تجيل النظر في هدوء بين الجميع.

وكان واضحاً أنها رددت على مسامعهم شيئاً لم يسبق أن تبادر إلى ذهنهم وأنهم لم يطيبوا له خاطراً. ونهضت الآنسة "**ماربل**" من مقعدها، فسقطت منها حقيبة يدها ووشاحها الصوفي. وأسرع الأشقاء الثلاثة يلتقطون ما سقط منها. فشكرتهم قائلة:

– أشكر لكم عطفكم. أجل، هذا هو وشاحي الأزرق وإني شاكرة لكم دعوتكم. لقد كنت أصور لنفسي ما عسى أن يكون منزلكم عليه لكي أجلو لعيني الجو الذي تعمل فيه "**لوسي**". فعقب "**سيدريك**" قائلاً:

– إنه منزل اجتمعت له كل الإمكانات بما في ذلك جريمة القتل التي فرضت عليه. فنهره "**هارولد**" غاضباً:

– "**سيدريك**"! وابتسمت الآنسة "**ماربل**" لـ"**سيدريك**" قائلة:

– أتعرف بمن تذكرني؟ بـ"**توماس أيد**" الشاب، ابن مدير البنك الذي أتعامل معه. إنه يعمد دائماً لمثل ما تعمد إليه. وهو أسلوب غير ناجح في الدوائر المصرفية، فكان أن أوفده والده إلى جزر الهند الغربية. وقد عاد إلى الوطن بعد وفاة والده الذي ورث عنه ثروة طائلة. وكانت فرصته المواتية إذ كان ممن يجيدون إنفاق المال أكثر من إجادتهم لجمعه.

*****

وعادت "**لوسي**" بالآنسة "**ماربل**" إلى منزلها. وفي طريق عودتها برز لها طيف من ستر الظلام ووقف في طريق السيارة، عندما كانت على وشك الاتجاه إلى الدرب الخلفي. ورفع يده، وعرفت "**لوسي**" فيه "**ألفريد كراكنثورب**".

وقال وهو يستقل السيارة:

– إن الطقس شديد البرودة. لقد خُيِّل إليّ أن في المشي ما قد يبعث الدفء في بدني. هل اصطحبت السيدة إلى منزلها؟

– أجل. بعد أن نعمت بهذه الزيارة.

– هذا ما لمسته منها. إن المتقدمات في السن يجدن متعة في الحياة الاجتماعية مهما كانت مملة كئيبة. وما أظن ثمة أكثر كآبة من "**روز فورد هول**". إن أطول فترة أستطيع قضاءها هنا لا يمكن أن تتجاوز اليومين. لست أدري كيف تطيقين الحياة هنا!

– لأنني لست أجدها بهذه الصورة من الكآبة. ثم إن فترة عملي هنا مؤقتة لن تطول.

– إنك أعلى كفاءة من أن تبذلي جهدك في الأعمال المنزلية.

– شكرًا، ولكنني أفضل الأعمال المنزلية على الأعمال المكتبية.

– وهذا هو شأني. غير أن ثمة وسائل أخرى لكسب العيش.

– كل الوسائل الشريفة متشابهة.

– كان بوسعك الانطلاق في عمل لحسابك الخاص، لا أن تعملي كأجيرة، إن طاقتك أوسع مدى من هذا.

– ربما.

– كم كان بودي أن تعملي معي، فتستغلين مواهبك خير استغلال.

– في بيع السبائك الذهبية مثلاً؟

– ليس الأمر كذلك على وجه التحديد. إنها مجرد مخالفات بسيطة للقانون. كم كان يطيب لي أن تصبحي شريكتي في عملي، إنك فتاة رائعة.

– إنك تبالغ في إطرائي.

– فكري في عرضي. إننا سنحقق نجاحًا كبيرًا. إن كل ما سيعوزنا هو رأس المال.

– يؤسفني أنني لا أملك منه شيئًا.

– ليس هذا هو بيت القصيد من عرضي. سيؤول لي مبلغ لا بأس به عن قريب. إن والدي لن يخلد في الحياة. إنني سأرث ثروة محترمة بعد وفاته. ماذا ترين؟

– وما شروطك؟

– الزواج مثلاً. وهذا هو مآل كل فتاة. ثم إن شهادة الزوجة ضد زوجها لا يعتد بها. "**لوسي**" ألا ترين أنني همت بك حبًّا! فضحكت وخلت ما بينها وبين ذراعه التي طوقها بها قائلة:

– لا يتسع الوقت لهذا. أمامي عشاء يجب أن أعده.

– فليكن. وإنك لأبرع طاهية. ماذا أعددت لنا؟

– انتظر لترى بنفسك. وأودعت "**لوسي**" السيارة في مكانها، وأسرعت إلى المطبخ رأسًا، وبعد قليل فوجئت بـ "**هارولد كراكنثورب**" يقبل قائلاً:

– آنسة "**إيلزبارو**"، هل يمكن أن أحدثك في أمر مهم؟

– إنني في عجلة من أمري فلنرجئ الحديث لما بعد.

– بكل تأكيد. فليكن بعد العشاء؟

– أجل.

وقدم طعام العشاء وصادف ما هو جدير به من تقدير، وبعد أن فرغت "**لوسي**" مما بين يديها من عمل خرجت إلى البهو حيث وجدت "**هارولد كراكنثورب**" في انتظارها.

– نعم يا سيدي؟

– هل يمكن أن ننفرد في هذه الغرفة؟ وفتح باب غرفة الاستقبال، وتقدمها حيث تبعته، ثم أوصد الباب من خلفها قائلاً:

– إنني راحل غداً صباحًا. غير أنني أردت أن أصارحك بشدة إعجابي بكفاءتك.

– شكرًا يا سيدي.

– إنني أرى أنك تبددين مواهبك سدى.

- هل ترى ذلك؟ أما أنا فلا.

«ومهما يكن من أمر فإنه لا يبغي من هذا اللقاء عرض الزواج عليّ؛ لأنه متزوج فعلاً». هذا ما كان يجول بخاطر "**لوسي**" وهي تجلس في انتظار ما سيقوله لها:

- أرى بعد ما لمسته منك من إخلاص في خدمتنا إبان هذه الأزمة، أن تحضري لزيارتي في "**لندن**" ويمكن أن تتصلي بي تليفونيًا عن طريق سكرتيرتي لتحديد موعد حضورك. وفي الواقع إن الشركة تحتاج إلى من هي في كفاءتك. وسنبحث هذا الأمر حين مجيئك. وثقي بأننا سنمنحك مرتبًا مجزيًا.

- شكرًا سأفكر فيما عرضته عليّ.

- أرجو ألا يطول بك تفكيرك. إنها فرصة سانحة لفتاة مثلك تريد أن تشق طريقها في الحياة طابت ليلتك، يا آنسة "**إيلزبارو**" وأرجو لك نومًا هادئًا. وفي طريقها إلى غرفة نومها التقت "**لوسي**" بـ "**سيدريك**" وهي ترتقي الدرج. وبادرها هو الآخر قائلاً:

- "**لوسي**"، لديّ ما يجب أن أحدثك به.

- هل تريد الزواج بي والسفر معك إلى "**أفيزا**" لأرعى شؤونك؟ وحملق "**سيدريك**" إلى وجهها دهشًا، واكتسى وجهه بأمارات الفزع وهو يقول:

- إن هذا لم يدر بخلدي في لحظة ما.

- آسفة. أعتذر عن خطئي.

- إن كل ما كنت أبغيه منك أن أعرف ما إذا كان لديك جدول توقيت منزلي.

- أو هذا كل ما في الأمر؟ تجد ما تبغيه فوق خوان البهو.

- لا يجب أن يتبادر إلى ذهنك أن كل من يريد التحدث معك يريد الزواج بك. إن لهذا الشعور في حالة استفحال أمره تعبيرًا تعرفينه جيدًا، إنك آخر فتاة أفكر في الزواج بها... آخر فتاة في العالم.

- حقًّا؟ ربما كنت خيرًا لك كزوجة أب.

- ماذا؟ ماذا تقولين؟ وحملق "**سيدريك**" إلى وجهها وقد عقدت الدهشة

لسانه. فقالت له "**لوسي**" وهي تواصل طريقها إلى غرفتها:

– لقد سمعت ما قلت جيداً. وصفقت الباب.

- 14 -

كان "**درموت كرادوك**" وثيق الصلة بـ "**أرمان ديسان**"، المفتش بإدارة الأمن العام في "**باريس**"، وكان الرجلان قد التقيا من قبل في بعض المناسبات، وأنتج تعاونهما معًا خير الثمرات. وكان مما ساعد على تفاهمهما، إتقان "**كرادوك**" للغة الفرنسية، مما كان من شأنه أن ييسر سبيل التفاهم بينهما وقال "**ديسان**" محذراً:

– إنها مجرد وجهة نظر. لديَّ صورة تجمع راقصات فرقة الباليه. إنها الرابعة من اليسار هل توحي إليك بشيء ؟ وقال المفتش "**كرادوك**":

– إنها لم توح إليَّ بشيء في الواقع. إذ إن التعرف على امرأة قتلت خنقًا ليس من الأمور اليسيرة، علاوة على أن فتيات هذه الصورة الفوتوغرافية قد أسرفن في زينتهن. وأردف قائلاً:

– من المحتمل أن تكون هي بذاتها. هذا كل ما أستطيع قوله الآن. ترى من هي، وماذا تعرف عنها؟ إنها نكرة من النكرات. راقصة مغمورة كما أن فرقة باليه "**مارتسكي**" من الفرق الصغيرة وهي تقدم عروضها على مسارح الضواحي متنقلة بينها. ولاتضم هذه الفرقة نجومًا، أو راقصات معروفات. ولكنني سأصطحبك إلى السيدة "**جولييت**" مديرة الفرقة. وكانت السيدة "**جولييت**" مثالاً للمرأة الفرنسية العاملة التي تومض عيناها ذكاء. وبادرتهما صائحة:

– لست أحب رجال الشرطة! إذ لا همَّ لهم سوى خلق المتاعب والمضايقات. وعقب "**ديسان**" قائلاً بصوت هادئ:

– كلا، كلا، يا سيدتي. لا يجمل بك أن تقولي هذا. متى سببنا لك ضيقًا أو حرجًا؟

– وهل نسيت حادث تلك الفتاة الحمقاء التي تعاطت السم؛ لأنها كانت

مدلهة في حب قائد الفرقة الموسيقية الذي لم يعرها اهتمامًا. لقد أقمت الدنيا وأقعدتها بسبب هذا الحادث، مما أساء إلى فرقتي كثيراً.

– بل لقد كان لهذا الحادث ردة فعل عكسية، حيث تقاطر الناس لمشاهدة هذه الفرقة التي رددت الصحف اسمها لمناسبة هذا الحادث. والآن، فلندع هذا الموضوع إلى موضوع "**حنة سترافنسكا**".

– وماذا تريد أن تعرف عنها؟

– هل هي روسية؟

– كلا. لعلك تستفسر عن ذلك بسبب اسمها؟ كلهن يتسمين بأسماء لا تمت إلى جنسيتهن بصلة. لقد كانت من فتيات الصف الثاني، ولم تكن بارعة في الرقص، كما لم تكن رائعة الحسن.

– وهل هي فرنسية؟

– ربما. لقد كانت تحمل جوازاً فرنسيًا. غير أنني علمت منها بأن لها زوجًا إنجليزيًا. وانبرى "**كرادوك**" يسألها:

– هل قالت لك إنها متزوجة بإنجليزي؟ هل هو على قيد الحياة أم...؟

– أم متوفى. قد يكون كذلك، وقد يكون قد هجرها. أنّى لي أن أعرف هذا؟ هؤلاء الفتيات لهن متاعبهن دائمًا مع الرجال.

– متى رأيت الفتاة لآخر مرة؟

– إنني أصطحب الفرقة إلى "**لندن**" لستة أسابيع ونقوم بعرضنا على مسارح "**توركاي**"، و "**بونماوث**"، و "**مالسبتون**" وغيرها ثم نقفل راجعين إلى "**فرنسا**"، ولكن "**حنة**" لم تعد معنا. وقد بعثت إليّ برسالة أنها ستترك عملها بالفرقة، وأنها ستقيم مع أسرة زوجها. غير أنني لم أصدقها، وأرجح أنها قد التقت برجل آخر. أومأ المفتش "**كرادوك**" برأسه موافقًا. واستطردت السيدة "**جولييت**" تقول:

– لا يعنيني غيابها في كثير أو قليل؛ إذ يوجد غيرها كثيرات من نفس

المستوى. وكلهن سواء في علاقتهن بالرجال.

– ومتى كان ذلك؟

– حينما عدنا إلى "**فرنسا**" كان ذلك– أجل– في يوم الأحد قبل عيد الميلاد. وكانت "**حنة**" قد تركت العمل قبل ذلك بيومين أو ثلاثة. لست أذكر على وجه التحديد. غير أنني أذكر أنها لم تشترك في آخر عرض للفرقة.

– لقد كان في ذلك مضايقة لك.

– قلت لك إنها لم تكن من راقصات الدرجة الأولى، وليس من شك في أنها تخلفت عن عملها لتقضي عيد الميلاد مع رجل التقت به. وليس هذا من شأني. وكما قلت لك أيضًا، إن غيرها كثيرات. ترى فيم بحثك عنها؟ هل تلقت ميراثًا لم تكن تتوقعه؟

– كلا، إننا نقوم بتحرياتنا؛ لأننا نعتقد أنها قتلت.

– لا أستبعد ذلك آه ! لقد كانت كاثوليكية تؤم الكنائس في أيام الآحاد، ولعلها كانت تمثل أمام كرسي الاعتراف.

– ألم تفض إليك بأن لها ولدًا؟

– ولد؟ أتعني أن لها ابنا؟ هذا ما أستبعده. إن من كن على طرازها يحرصن على عدم الإنجاب ولديهن وسائلهن الخاصة، ويعرفن إلى أين يتوجهن، كما يعرف المفتش "**ديسان**".

– ربما كان لها ابن قبل العمل في المسرح. إبان الحرب مثلاً.

– إبان الحرب!! هذا ممكن. غير أنني لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع.

– من عساها أن تكون صديقتها المقربة من بين سائر الفتيات؟

– لم يكن لها صديقة مقربة، وإن كانت أكثر اتصالا بفتاتين أو ثلاث من زميلاتها.

ولم يعد لدى السيدة "**جولييت**" من معلومات أكثر مما أدلت به. وبعرض علبة البدرة عليها، قررت بأن "**حنة**" كانت تقتني واحدة من هذا النوع شأنها في هذا

شأن سائر الفتيات.وهي لا تعرف ما إذا كانت "**حنة**" قد اشترت معطفًا من الفراء في "**لندن**" أم لا وأردفت قائلة:

- أعكف على الاضطلاع بجميع الأعمال الإدارية والفنية للفرقة. مما لا أجد معه متسعًا من الوقت لملاحظة ما ترتديه الراقصات.

وبعد الفراغ من استجواب السيدة "**جولييت**"، قاما باستجواب الفتيات اللاتي أرشدتهما عنهن، واتفقت اثنتان منهن على أن "**حنة**" كانت لا تتحدث كثيراً عن نفسها، وأنها إن فعلت هذا، كان كل ما تتحدث به كذبًا.

- لقد كانت مدعية... تخترع القصص عن نفسها زاعمة أنها كانت عشيقة لأحد كبار اللوردات أو رجال المال البريطانيين، أو اشتراكها في حرب المقاومة، أو فرص النجومية التي سنحت لها في "**هوليوود**". وقالت عنها فتاة أخرى:

- أعتقد أنها كانت بوهيمية الطابع. وقد التحقت بالعمل في فرقة باليه؛ لأنه قد خُيِّل إليها أنها قد تحقق ميولها الخيالية. إنها لم تكن لتجد في واقع حياتها ما يشفي غليلها. وبينما كنا في "**لندن**" كانت تلمح إلى ما عرضه عليها أحد الأثرياء من اصطحابها في رحلة حول العالم، وقالت فيما قالت إنها كانت ستسافر إلى "**اسكتلندا**" لتقيم مع لورد ثري، حيث تقضي أوقاتها في الصيد.

ولم يكن في كل هذه الأقوال ما يعين على جلاء ما غمض. ولم تكن هذه الأقوال بأكثر من مزاعم فتاة محترفة للكذب. فلم تكن "**حنة سترافنسكا**" بالمقيمة مع أحد لوردات "**اسكتلندا**"، أو بالتي تجوب العالم في رفقة ثري آخر. وما كانت هذه الأقوال ليستشف منها ما يحمل على الاقتناع بأن جثتها هي التي عثر عليها في هذا التابوت الأثري بـ "**روز فورد هول**"... إن تعرُّف السيدة "**جولييت**" والفتيات على صورة الجثة لم يكن قاطعًا؛ لأنهن أجمعن على أن الصورة قريبة الشبه بـ "**حنة**"، وإن لم يجزمن بأنها لها، لتعذر هذا عليهن بسبب انتفاخ الوجه!

إن الواقعة الوحيدة التي تحددت وكانت موضع الإجماع، هي أن "**حنة سترافنسكا**"، كانت قد قررت في 19 كانون الأول (ديسمبر) ألا تعود أدراجها

إلى "**فرنسا**" وأنه بتاريخ 20 كانون الأول (ديسمبر) كانت امرأة قريبة الشبه بها تستقل قطار الساعة 4:54 إلى "**براكهها مبتون**"، حيث قتلت خنقًا في هذا القطار.

فإذا لم تكن المجني عليها التي عثر عن جثتها في التابوت هي "**حنة سترافنسكا**" فأين توجد "**حنة**" الآن؟ كان تعقيب السيدة "**جولييت**" على هذا السؤال بسيطًا هادئًا:

– مع رجل!

قد يكون في هذا التعقيب الإجابة الصحيحة على السؤال الحائر. كما يمكن أن ينظر بعين الاعتبار إلى ما ورد عرضًا على لسان السيدة "**جولييت**" عن زوج "**حنة**" الإنجليزي. ترى، هل يكون "**إدموند كراكنثورب**" هو هذا الزوج؟

يبدو أن هذا من الاحتمالات المستبعدة، إذا ما وضع في الاعتبار صورة "**حنة**" على لسان صديقاتها. إن الأكثر احتمالاً هو أن كون "**حنة**" قد تعرفت إلى الفتاة "**مارتين**" في يوم من الأيام، وأحاطت ببعض تفصيلات حياتها. وقد تكون "**حنة**" هي محررة تلك الرسالة إلى "**إيما كراكنثورب**"، وإذا ما صح هذا فلا يستبعد أن تكون "**حنة**" قد آثرت الاختفاء إثر ما تكون قد لمسته من تقصي حقيقة أمرها. ترى، أين هي الآن؟

*****

وقبل رحيل "**كرادوك**" عن "**باريس**"، تباحث مع "**ديسان**" في موضوع الفتاة "**مارتين**" وكان "**ديسان**" أميل إلى الاتفاق مع زميله الإنجليزي في الرأي بأن هذا الموضوع ليست له علاقة بموضوع الجثة التي عثر عليها في التابوت. ومع ذلك، فمن المتعين تقصي كل ما يتصل بالموضوع من حقائق.

وأكد لـ"**كرادوك**" أن إدارة الأمن العام ستبذل أقصى ما في وسعها لتكشف عما إذا كان ثمة سجل زواج بين الملازم "**إدموند كراكنثورب**" من الفرقة الرابعة

وبين فتاة فرنسية تدعى "**مارتين**"، في وقت مقارن لسقوط "**دنكرك**"..

واحتفظ لنفسه برأيه. إن التوصل إلى رد قاطع من الأمور المشكوك فيها؛ لأن المنطقة التي يقال إن الزواج قد تم فيها لم تحتل فقط بواسطة الألمان، بل تعرضت للدمار إبان الغزو، غير أنه ودع "**كرادوك**" قائلاً:

–ولكن اطمئن، أي زميلي العزيز، فإننا باذلون أقصى ما بوسعنا. ووجد "**كرادوك**" عند عودته أن الرقيب "**ويذرول**" في انتظاره ليرفع إليه تقريره:

– العنوان ملائم والمكان محترم– 126 "**الفرز كريسنت**".

– هل تعرَّف عليها أحد؟

– كلا لم يتعرف على صورة المجني عليها أحد. وما أظن أن هذا كان بوسعهم بعد مضي شهر، وإزاء تردد الكثيرين على هذا المكان. إنه منزل للطلبة.

– ولِمَ لا تكون قد أقامت في هذا العنوان تحت اسم آخر؟

– دعنا من الاسم. إنهم لم يتعرفوا على الصورة ولقد طفنا بالفنادق، ولم نجد اسم "**مارتين كراكنثورب**" مسجلاً بأي منها. وإثر مكالمتك التليفونية من "**باريس**"، قمنا بالبحث عن اسم "**حنة سترافنسكا**" ووجدناه مسجلاً في فندق من الدرجة الثالثة بحي "**بروك جرين**" المزدحم بالمسارح، وقد غادرت الفندق ليلة الخميس 19 كانون الأول (ديسمبر) بعد انتهاء العرض. وهذا كل ما توصلنا إليه.

وأومأ "**كرادوك**" برأسه. ثم طالبه بمزيد من التحريات على أساس جديد، وإن كان لا يرجو الكثير منها.

وبعد انصراف الرقيب، اتصل بمكتب "**ويمبرون**" و"**هندرسون**" و"**كارستيرز**"، تليفونيا لتحديد موعد مع السيد "**ويمبرون**".

وأدخل في الموعد المحدد إلى غرفة مكتب السيد "**ويمبرون**"– الذي كان جالسًا إلى خوانه ذي الطراز القديم، ومن حوله كتب القانون وملفات القضايا.

وتطلع السيد "**ويمبرون**" إلى زائره بعين محامي الأسرة الحذر إلى رجل الشرطة القادم في شأن من شؤونها.

– ماذا بوسعي أن أقوم به، يا سيدي المفتش؟ ودفع "**كرادوك**" برسالة "**مارتين**" عبر الخوان قائلاً:

– هذه الرسالة. غير أن السيد "**ويمبرون**" لمسها كارهًا دون أن يلتقطها قائلاً:

– أجل، أجل! لقد تلقيت رسالة من الآنسة "**إيما كراكنثورب**" أمس صباحًا، تحيطني فيها خبراً بزيارتها لـ "**اسكتلانديارد**"، وبجميع ملابسات هذه الزيارة، وإنني لأتساءل عن السبب في عدم عرض هذه الرسالة عليّ بمجرد وصولها! كان يجب إطلاعي عليها فوراً. وبعد أن طيب المفتش خاطره بما يكفي لتهدئة ثائرته، سمعه يقول بصوت متهدج:

– إنني لا أعرف شيئًا عن موضوع زواج "**إدموند**".

– أعتقد أنه في زمن الحرب.

– زمن الحرب! أجل. لقد تصادف وجودنا في مبنى آخر غير هذا عند اندلاع نار الحرب وكان المنزل المجاور هدفًا لإصابة مباشرة، مما أسفر عن إتلاف الكثير من ملفاتنا، بعد أن كنا أودعنا الوثائق ذات الأهمية الخاصة في مكان ما بالريف محافظة عليها. وكان والدي قد تولى أعمال أسرة "**كراكنثورب**" حينذاك. ولقد توفي والدي منذ ستة أعوام.

ويحتمل أن يكون قد أحيط علمًا بموضوع زواج "**إدموند**" المزعوم، وأن هذا الزواج، فيما يبدو، لم يقدر له أن تتم فصوله. والحق أقول لك إن القصة بأسرها غير مقنعة. ظهور الزوجة بعد كل هذه السنين لتطالب بحقها وحق ابنها الشرعي إن في الأمر سرًّا. ما دليلها، بودي لو عرفت ذلك؟

– الحق معك، يا سيدي. ترى ماذا سيكون وضعها لو صحت أقوالها أو مزاعمها؟

– إنها تريد بظهورها على المسرح أن تحصل من "**كراكنثورب**" على ما تبغي من مال لها ولولدها.

– أعني، ماذا سيكون من أمر وضعها القانوني مع التسليم بأن لديها دليلاً على صحة ما تقول؟

– إذا ما استطاعت أن تثبت بنوة الصبي لـ "**إدموند كراكنثورب**"، من الناحية الشرعية فإن هذا الصبي سيرث نصيبه الذي نص عليه في وصية "**كراكنثورب**" الجد، بعد وفاة "**كراكنثورب**" الأب، علاوة على أن قصر "**روز فورد هول**" سيؤول إليه، بحكم أنه ابن الولد الأكبر.

– هل يوجد من يطمع في أن يئول القصر إليه؟

– ليقيم به؟ كلا، بكل تأكيد؛ ولكن القصر بملحقاته وبما حوله من أراض، يا سيدي المفتش يساوي مبلغًا ضخمًا من المال. إن القصر وحده يعد تركة محترمة... محترمة جدًّا.

– أعتقد أنك قلت لي إنه في حالة وفاة "**كراكنثورب**" الأب يؤول القصر وملحقاته إلى "**سيدريك**"؟

– أجل، بصفته الابن الأكبر الذي على قيد الحياة.

– إن "**سيدريك**"، كما فهمت، لا يعنيه المال في كثير أو قليل؟

– حقًّا؟ ومن ذا الذي لا يعنيه المال؟ وهل في الدنيا من ينطبق عليه هذا القول؟ أنا شخصيًّا، لم يقدر لي أن ألتقي بمثل هذا الرجل.

– لقد أزعجت هذه الرسالة كلا من "**هارولد**" و"**ألفريد**"؟

– قد يكون هذا صحيحًا. ولِمَ لا؟

– لأنها إن صحت لأنقصت من المبلغ الموروث من الجد الأكبر.

– إن ما سيلحق الأنصبة من نقص، لن يكون جسيمًا.

– بمعنى أنه لن يكون دافعًا كافيًا للقتل، أليس كذلك؟

– ثم إني أعتقد أن حالتهما المالية سيئة.

– إذن، فتبعًا لهذا الخط، كنتم تواصلون تحرياتكم. إن "**ألفريد**" في أسوإ حال. أما "**هارولد**"، فقد تعرض لأزمة مالية خانقة، في هذه الأيام.

– على الرغم مما يبدو عليه من رواج مالي؟

– مظاهر. مجرد مظاهر! ولكن مهما يكن من أمر ما يجتازه "**هارولد**" من ضائقة مالية، فإنه ليس بالرجل الذي يقدم على قتل أرملة أخيه. ثم إن "**كراكنثورب**" الأب مازال على قيد الحياة، ومقتله هو المخرج الوحيد لأفراد الأسرة من أزماتهم. ولذلك، تراني لا أتبين إلى أي مدى تنتهي بك نظرياتك، وما الذي ترمي إليه منها. وأسوأ ما في الموضوع كله، أن المفتش "**كرادوك**" لم يكن واثقًا بشيء.

- 15 -

كان المفتش "**كرادوك**" قد حدد موعداً مع "**هارولد كراكنثورب**"لزيارته في مكتبه. وفي الساعة المحددة كان كل من المفتش "**كرادوك**" والرقيب "**ويذرول**" يعلنان السكرتيرة بمقدمهما. وكان المكتب في الطابق الرابع من إحدى بنايات العاصمة الكبيرة. وكان كل ما في المكتب ينبئ عن النجاح والازدهار.

وتقدمتهما السكرتيرة إلى مكتب "**هارولد كراكنثورب**"الخاص. حيث كان يجلس رافع الرأس شامخًا بأنفه، لا يبدو عليه ما يتفق وتحريات مفتش المباحث عن حقيقة وضعه المالي المتدهور. وأحسن الرجل استقبال الزائرين قائلاً:

– أرجو أن يتحقق ظني بأنك تحمل إلينا أنباء جديدة.

– أخشى ألا أحقق رجاءك. إن ما أتى بي بعض الأسئلة التي أرغب في توجيهها.

– أو ثمة أسئلة لم توجهها بعد؟ لقد أجبنا عن كل ما ورد بخلدك من أسئلة.

– إن الأسئلة لا تنتهي إلا بانتهاء القضية التي أثيرت.

– حسنٌ، إليّ بها.

– أرجو أن أعرف منك، على وجه التحديد، ماذا كنت تفعل بعد ظهر ومساء العشرين من كانون الأول (ديسمبر) الماضي فيما بين الساعة الثالثة مساء ومنتصف

الليل؟ وصعدت الدماء إلى وجه "**هارولد كراكنثورب**" :

– إن توجيه هذا السؤال إليّ يبدو من الأمور الشاذة. بودي لو أعرف. ماذا يعني سؤالك عن تحركاتي في هذا اليوم؟ وابتسم "**كرادوك**" ابتسامة رقيقة قائلا:

– إنه يعني أنني أحب أن أعرف أين كنت فيما بين الساعة الثالثة مساء ومنتصف ليل يوم الجمعة العشرين من كانون الأول (ديسمبر).

– لماذا؟

– لأن في معرفة هذا ما يعيننا على تضييق نطاق البحث.

– تضييق نطاق البحث، إذن،فلديك المزيد من المعلومات الأخرى؟

– إننا في طريقنا إلى تركيز أبحاثنا.

– أرى أنني غير مضطر إلى الإجابة عن أسئلتك في غير حضور مستشاري القانوني.

– هذا مرجعه إليك، بكل تأكيد. ومن حقك عدم الإجابة دون حضور محاميك.

– فلنكن أكثر صراحة. هل أفهم من قولك هذا أنك تحذرني بوسيلة أو بأخرى؟

– كلا يا سيدي. لم أعن شيئًا من هذا القبيل. إن ما أوجهه إليك من أسئلة أوجهه إلى غيرك... ليس فيها ما يعنيك شخصيًا. وما هي إلا وسيلة لإيضاح بعض النقاط بقصد التركيز ليس غير.

– حسنٌ. ما دام الأمر كذلك، فليس لديّ مانع من التعاون معكم. والإجابة عن أسئلتك تتطلب مراجعة دقيقة. وفي هذا يمكن أن أستعين بالآنسة "**أليس**" سكرتيرتي. وبعد اتصال تليفوني موجز، أقبلت السكرتيرة تحمل مفكرة في يدها، وقدمها إليهما قائلاً:

– سكرتيرتي الخاصة، الآنسة "**أليس**"، المفتش "**كرادوك**" ومساعده. يود المفتش لو عرف تحركاتي بعد ظهر ومساء يوم الجمعة 20 كانون الأول (ديسمبر).

وبعد أن ألقت نظرة على المفكرة قالت:

– كنت بالمكتب صباح يوم 20 كانون الأول (ديسمبر) مجتمعًا بالسيد "**جولدي**"، ثم تناولت طعام الغداء مع اللورد "**فوتفيل ببيركلي**"، وعدت للمكتب حوالي الساعة الثالثة وقمت بإملاء اثنتي عشرة رسالة ثم غادرت المكتب إلى صالة "**فراد سوثبي**" لشراء بعض المخطوطات التي كانت ستعرض للبيع هناك ولم تعد في المساء إلى المكتب غير أنه كان لديَّ مذكرة بحضورك مأدبة العشاء التي أقيمت بنادي "**كاترنج**" مساء هذا اليوم.

– شكرًا يا آنسة "**أليس**". وانسحبت الآنسة "**أليس**" من الغرفة وقال "**هارولد**":

– لقد استعدت لذاكرتي كل شيء. لقد توجهت إلى قاعة "**سوثبي**"، غير أن الأسعار ارتفعت إلى أرقام خيالية. ثم تناولت قدحًا من الشاي في مقهى "**راسل**" بشارع "**جيرمين**" وبعد ذلك عدت إلى المنزل رقم (42) بحدائق "**كارديجان**" حيث أقيم. ثم حضرت مأدبة عشاء نادي "**كاترنج**" في قاعة "**كاترر**"، في تمام الساعة السابعة والنصف، وعدت بعد المأدبة إلى منزلي ثانية، حيث أويت إلى فراشي. أعتقد أن إجابتي هذه تفي بما سألتني إياه؟

– في أية ساعة كانت عودتك إلى المنزل لارتداء ثيابك استعداداً لحضور المأدبة؟

– بعد السادسة بقليل، على قدر ما أذكر.

–وبعد العشاء؟

– أعتقد أنني عدت إلى المنزل حوالي الحادية عشرة والنصف.

– من الذي قام بفتح الباب لك؟

– السيدة "**أليس**" زوجتي تقيم في جنوب "**فرنسا**" منذ شهر كانون الأول (ديسمبر). ولذلك فتحت الباب بمفتاحي الخاص.

– إذن فلا يوجد من يؤيد أقوالك بالنسبة إلى ساعة عودتك إلى المنزل؟

– أعتقد أن الخدم شعروا بعودتي. ولكن يا سيدي المفتش...

– معذرة سيد "**كراكنشورب**". إنني أدرك ما تسببه هذه الأسئلة من ضيق.

إنني على وشك الفراغ من أسئلتي. هل لديك سيارة؟

– أجل، سيارة "همبرهوك".

– هل تتولى قيادتها بنفسك؟

– أجل. مع العلم بأنني لا أكثر من استعمالها؛ لأن قيادة السيارات في "**لندن**" أصبحت شاقة.

– أعتقد أنك تستقلها في زيارتك لوالدك ولشقيقتك في "**براكها مبتون**"؟

– هذا إذا كانت إقامتي ستطول. أما فيما عدا ذلك، فإنني أستقل القطار الذي أجد فيه راحة ومتعة، وأجد السيارة التي تستأجرها شقيقتي في انتظاري بالمحطة.

– أين تحتفظ بسيارتك؟

– في جراج خلف حدائق "**كاردجان**" هل ثمة أسئلة أخرى؟

– أعتقد أنه لا يوجد لديَّ مزيد منها في الوقت الحاضر. آسف لما سببته لك من ضيق.

ونهض منصرفًا وتبعه "**ويدرول**" الذي بادره قائلاً، بمجرد مغادرتهما لغرفة "**هارولد**":

– لقد كان ممتعضًا من توجيه هذه الأسئلة إليه، وكانت ملامح وجهه تختلج بانفعالاته.

– إذا لم تكن قد ارتكبت جريمة قتل فإنه لمما يضيق به صدرك أن تشعر بأن أحدًا يرتاب فيك، وبالذات إذا كنت من طراز "**هارولد كراكنثورب**" المعتز بكرامته.

إن كل ما نريد أن نتحقق منه الآن، هو أن نتحرى عما إذا كان أحد قد شاهد "**هارولد**" في صالة المزاد بعد ظهر ذلك اليوم. وكذلك الحال بالنسبة إلى المقهى الذي تناول قدح الشاي به. لقد كان من الممكن أن يسافر بقطار الساعة **4:54** ويرتكب جريمته، ثم يعود بقطار آخر إلى "**لندن**" لحضور مادبة العشاء. ويمكنه أيضًا أن يستقل سيارته ليلاً، إلى حيث يقوم بنقل الجثة إلى التابوت، ثم يقفل

راجعًا. عليك بالتحري في هذا الاتجاه.

– نعم يا سيدي. هل ترى أن هذا هو ما قام به؟

– وأنَّى لي أن أعرف؟ إننا نقوم بتقصي الحقائق في هذه المرحلة من التحقيق. إن كل ما نفعله يقوم على أساس من الظن والشك. والآن هيا بنا إلى الأخ "**ألفريد**".

كان "**ألفريد كراكنثورب**" يتخذ له مسكنًا بـ "**وست هامبستيد**" في بناية كبيرة عصرية، ذات مساحة فسيحة؛ لكي يودع السكان بها سياراتهم.

وكان المسكن حديث الأثاث، وقد روعي فيه كل ما هو عصري من رياش، مما يرجح أن "**ألفريد**" يستأجر المسكن بأثاثه.

وعلى الرغم من حرص "**ألفريد**" على حسن استقبالهما فإنه لم يستطع أن يخفي عن "**كرادوك**" عصبيته. وبعد ترحيب "**ألفريد**" بالزائرين، بادر المفتش "**كرادوك**" بسؤاله عما حدا به إلى زيارته ، ولم يتوان "**كرادوك**" عن توجيه أسئلته التي بدأ "**ألفريد**" يجيب عنها:

– ماذا كنت أفعل بعد ظهر ومساء يوم 20 كانون الأول (ديسمبر)؟ كيف يتأتى لي أن أذكر ذلك؟ لقد انقضت ثلاثة أسابيع.

– لقد كانت إجابة شقيقك "**هارولد**" واضحة محددة.

– إن الأخ "**هارولد**" شيء، والأخ "**ألفريد**" شيء آخر. إن "**هارولد**" هو عضو الأسرة الناجح... رجل الأعمال الموفق. وعلى فرض أنه يريد أن يرتكب جريمة قتل، فإنه يتقن توقيتها ويحكم تحركاته.

– هل لديك ما يحملك على انتهاج هذا الأسلوب؟ لماذا سقت هذا المثل بالذات؟

– كلا. كل ما في الأمر أنه طرأ على بالي.

– ولنعد الآن إلى ما استوضحناك إياه.

– لقد قلت لك إن ذاكرتي لا تعي زمنًا أو مكانًا. إذا ما كان سؤالك مركزًا في يوم عيد الميلاد، ربما تمكنت من إجابتك؛ لأنني أعرف أين قضيته. لقد قضيته مع

والدي في "**روز فورد هول**" كما ألفنا ذلك في كل عام.

– فهمت أن والدك كان مريضًا في هذا العيد؟

– أجل ولكنها كانت حالة عارضة؛ نتيجة للإفراط في الطعام والشراب بمناسبة العيد، الأمر الذي لم تعتده أمعاؤه بناء على حياة الحرمان التي يفرضها على نفسه.

- 16 -

– وهل هذا هو كل ما في الأمر؟

– بكل تأكيد. ماذا عساه أن يكون غير هذا؟

– فهمت أن طبيبه الخاص كان قلقًا على صحته.

– هذا الأحمق "**كيمبر**"، لا تعر ما يقول اهتمامًا. إنه يقيم الدنيا ويقعدها لا لشيء.

– أحقًّا؟ لقد بدا لي بخلاف هذا.

– إنه أحمق بالغ الحمق. إن والدي في صحة جيدة، ليس بقلبه علة. وما إن شعر بهذه الوعكة حتى راح يسأل هذا ويستجوب ذاك عما أكل وشرب؛ ليرضي الوالد ويخلق لنفسه جوًّا من الأهمية... لقد كانت مهزلة! أطرق "**كرادوك**" قليلاً. ثم سمع "**ألفريد**" يقول له:

– حسنًا، فيم كل هذه الأسئلة؟ لماذا تريد أن تعرف أين كنت في يوم الجمعة ذاك منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع؟ لماذا تلك الجمعة بالذات؟

– إذن فأنت تذكر أنه كان يوم جمعة؟

– أظن أنك قلت ذلك.

– ربما قلته. ومهما يكن من أمر فإن اليوم محور سؤالي، هو يوم الجمعة الموافق 20 كانون الأول (ديسمبر).

– ولماذا؟

– إنها التحريات التي لابد منها في مثل هذه الأحوال.

– هراء في هراء . ألم تتوصلوا إلى جديد بشأن التعرف إلى المجني عليها؟ من أي بلد هي، مثلاً؟

– إننا لم نستكمل بعد معلوماتنا.

– أرجو ألا تكون "**إيما**" قد انحرفت بك عن جادة الصواب بما أفضت به إليك بشأن احتمال أن تكون المجني عليها هي أرملة شقيقي "**إدموند**". إن هذا كله إلا باطل الأباطيل.

– ألم يحدث أن لجأت "**مارتين**" إليك في وقت ما؟

– تلجأ إليّ؟ رباه! كلا لئن فعلت ذلك، لجعلت من نفسها أضحوكة.

– لعلك ترى أنه كان أولى بها أن تلجأ إلى أخيك "**هارولد**"؟

– أجل... إنه رجل معروف، تردد الصحف اسمه. لقد كان هذا هو السبيل الذي يجب أن تسلكه. ولكنها لجأت إلى "**إيما**" الرقيقة القلب، التي كانت أثيرة لدى شقيقها "**إدموند**". ومع ذلك فلم تكن "**إيما**" بالغافلة التي تأخذ الموضوع كقضية مسلم بها. فقد كانت هي الأخرى تشك في أن تكون هذه المرأة مدعية؛ ولذلك تجدها قد دبرت أمر عرض الموضوع على الأسرة، وعلى محامي الأسرة أيضاً.

– هذا هو عين الصواب، وهل حدد يوم معين لهذا الاجتماع؟

– كان من المفروض عقده بعد عيد الميلاد مباشرة يوم 27 من الشهر.

– وهكذا، كما أرى، ثمة أيام لا تنساها، ثم تدعي أنك لا تذكر شيئاً عما كنت تفعله في يوم الجمعة الموافق 20 كانون الأول (ديسمبر)؟

– آسف، ليس في ذهني شيء من ذكريات ذلك اليوم.

– ألا تحتفظ بمفكرة يومية؟

– نعم لا أحتفظ. إنني لا أعترف بمثل هذه الشكليات.

– إن استعادة ذاكرتك في يوم الجمعة السابق لعيد الميلاد لن تكون من الأمور المتعذرة.

– ربما قمت بجولة بين بعض المشارب؛ لأنني أعتقد أن كثيراً من الصفقات تعقد بها.

– الا يمكن أن تستعين بأحد؛ لإنعاش ذاكرتك؟

– سأحاول، باذلاً أقصى جهدي. ومهما يكن من أمر فإنني لا أستطيع أن أخبرك بما كنت أفعله في هذا اليوم، وإن كنت أستطيع أن أحكي لك عما لم أفعله. إنني واثق بأنني لم أقتل أحداً في المخزن الكبير.

– وما السبب الذي دعاك إلى مصارحتي بهذا؟

– يا سيدي المفتش! إنك تقوم بالتحري في هذه الجريمة، أليس كذلك؟ ولذا ما إن بدأت تستجوبني عن تحركاتي في يوم معين حتى رأيت أنك تستهدف بذلك حصر نطاق المسؤولية بغية تبديد شكوكك أو إثباتها. ولَكِمْ أود معرفة السبب في تركيزك في يوم الجمعة 20 كانون الأول (ديسمبر) من بعد الظهر إلى منتصف الليل. ما أظن أن لسؤالك هذا علاقة بالدليل الطبي، بعد انقضاء هذه الفترة الطويلة. ترى هل شاهد أحد المجني عليها تحوم حول المخزن بعد ظهر ذلك اليوم، كأن تكون قد دخلته ولم تخرج منه؟ أليس كذلك؟

– أخشى أنني لن أشفي غليلك، وسأدعك تضرب أخماسًا في أسداس. إن رجال الشرطة يحبون عدم البوح بشيء.

– ليس رجال الشرطة وحدهم. إنك امسكت عن الإفاضة في الحديث عن تحركاتك يوم الجمعة وكان بوسعك أن تحدثنا بالكثير، قد يكون لديك من الأسباب ما يبرر امتناعك.

– إنك لن تستطيع أن توقع بي هكذا، حقيقة أن عدم استطاعتي الإجابة قد يثير ريبتك غير أن هذا هو الواقع! لحظة من فضلك! لقد سافرت إلى "ليدز" في هذا الأسبوع، وأقمت بفندق على مقربة من مجلس المدينة، لست أذكر اسمه على وجه التحديد، غير أنه من اليسير أن تتحقق من هذا وربما كان يوم الجمعة المنشود.

– سنتحرى أمر هذا. يؤسفني أنك لم تكن أكثر تعاونًا. ثم نهض

"**كرادوك**"متأهبًا للانصراف. وقال "**ألفريد**"معقبًا:

– هذا لسوء حظي! فهناك "**سيدريك**"بدليل نفيه القوي؛ إذ كان موجودًا حينذاك في "**إفيزا**"، و"**هارولد**" الذي يمكن أن يجيب عن سؤالك بمواعيد عمله، ودعواته المحددة والموقوتة بما لا يدع مجالاً للشك. أما أنا فلا إثبات لديَّ. إنه لأمر مؤسف. ولكنني أعود فأؤكد لك أنه ليس من شيمتي قتل الناس. ولماذا أقدم على قتل امرأة مجهولة؟ لماذا؟ وحتى لو اتضح أن الجثة لأرملة "**إدموند**"، فلماذا يقدم أحد منا على قتلها؟ إنني جد آسف لما كان مني من تقصير غير متعمد.

*****

– سيدي أرجو أن تصغي إليَّ... هل تعرف ماذا اتضح؟ وتأمل المفتش "**كرادوك**" مساعده باهتمام قائلاً:

– "**ويذرول**"؟ ماذا دهاك؟

– لقد عرفت كل شيء عنه. هذا الفتى. لقد كنت أحاول أن أجلو هذه النقطة في ذهني، فجأة انجلى الأمر. لقد كان شريكًا لـ "**ديكي روجرز**" في قضية المعلبات، ولكن شيئًا ما لم يثبت ضده. وكذلك كان له ضلع في قضية "**سوهو**"، قضية الساعات والجنيهات الإيطالية الذهبية وإن لم يقم الدليل ضده أيضًا.

وأدرك "**كرادوك**" في هذه اللحظة السبب فيما تبادر إلى ذهنه، في أول لقاء بينه وبين "**ألفريد**"، ومن أن وجهه مألوف لديه. لقد بلغ بـ"**ألفريد**" حذقه بحيث لم يثبت ضده تورطه في هذه العمليات. لقد كان "**ألفريد**" دائمًا على أتم الاستعداد؛ لأن ينفي الشبهة عنه، وعقب "**كرادوك**" على ما سمع بقوله:

– إن في ذلك ما يلقي الضوء على بعض الجوانب.

– هل تعتقد أنه الفاعل؟

– كلا. إنه ليس من هذا الطراز من الرجال الذي يقدم على ذلك، غير أن حقيقة ماضيه توضح جوانب أخرى مثل السبب في أنه لم يجب عن أسئلتي،

وعجزه عن أن يتقدم بأدلة إثبات غيابه عن مكان الحادث.

– أجل قد يكون في دليل النفي ما يدينه في أشياء أخرى.

– وقوله إنه لا يذكر أسلم عاقبة.

– هل تعتقد أنه ليس له يد؟

– لست مستعداً في الوقت الحاضر للجزم بشيء... ليس علينا الآن سوى مواصلة البحث والتحري إلى أن نضع أيدينا على الحقيقة. إن الأدلة هي التي ستقرر كل شيء وسوف نعرف منها المتهم من البريء. واستغرق "**كرادوك**" في تفكير عميق إثر انصراف مساعده. ثم عكف على تدوين ما يلي:

– القاتل... رجل طويل القامة، أسود الشعر!! المجني عليها... يمكن أن تكون "**مارتين**"أرملة "**إدموند كراكنشورب**" أو صديقته – أو يمكن أن تكون جثة "**سترافنسكا**" التي تركت عملها بالفرقة في وقت مقارن، وأوصافها قريبة... إلخ، ليس لها علاقة بـ"**روز فورد هول**"كما اتضح– ويمكن أن تكون زوجة أولى لـ"**هارولد**"! زواج من اثنتين – ويمكن أن تكون عشيقته! ابتزاز بالتهديد!!

فإذا ما كانت على صلة بـ"**ألفريد**"، فقد يكون تهديدها له بما لديها من معلومات تؤدي به إلى السجن؟ وإذا ما كانت على صلة بـ"**سيدريك**" فربما كان الاتصال قد حدث في الخارج... "**باريس**" أو "**ماجوركا**"! أو "**حنة سترافنسكا**"... يمكن أن تكون "**حنة**" أو "**مارتين**" أو يمكن أن تكون المجني عليها امرأة مجهولة قتلها رجل مجهول! وقال "**كرادوك**" بصوت مرتفع:

– ربما كان الاحتمال الأخير أكثر ترجيحاً.

وفكر ملياً في الموقف بأسره: "إنك لن تستطيع المضي قدماً في تحرياتك دون أن تتبين الدافع إلى الجريمة"... وجميع ما تبادر إلى ذهنه من دوافع كان بعيد الاحتمال وغير مقنع.

وإنه إذا كان المجني عليه هو السيد "**كراكنشورب**" الأب، لكان هناك أكثر من دافع قوي. وشعر بذهنه يتوقد فجأة. فأسرع يمسك بالقلم ليضيف إلى ما دونه:

يُسأل الدكتور "**كيمبر**" عن وعكة عيد الميلاد "**سيدريك**" إثبات غيابه الاتصال بالآنسة "**ماربل**" للاستماع إلى آخر الشائعات.

- 17 -

حينما ذهب "**كرادوك**" إلى طريق "**ماديسون**" لزيارة الآنسة "**ماربل**"، وجد "**لوسي إيلزبارو**" قد سبقته إليها.

وتردد لحظة في تنفيذ ما كان يعتزمه، ثم استقر رأيه على أنه قد يجد في "**لوسي إيلزبارو**" خير حليف.

وبعد أن استقر في مقعده، أخرج حافظة نقوده، والتقط منها ثلاث ورقات من فئة الجنيه، أضاف إليها ثلاثة شلنات، ودفع بهذا كله عبر المنضدة إلى الآنسة "**ماربل**" التي سألته:

– ما هذا؟ فيم هذه النقود؟

– أجر استشارة. إنك خير من يؤخذ رأيه في جرائم القتل! وفي كل ما يحار الناس فيه ولقد جئت إليك؛ لألوذ بمشورتك.

ورمقته الآنسة "**ماربل**" بنظرة جانبية. وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة. ولم تتمالك "**لوسي إيلزبارو**" نفسها من الضحك. وانبرت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– "**لوسي**"، لقد قلت لك إننا التقينا من قبل. إن صلته قوية بالسير "**هنري كليثرنج**"، من أقدم أصدقائي.

– هل ترغبين يا آنسة "**إيلزبارو**" في سماع ما قاله لي صديقها القديم عنها؟! لقد أضفى عليها من الصفات ما جعلها تبدو في عيني مثلاً أعلى لكل من يقوم بالبحث والتحري. ذكاء طبيعي غرس في أرض طيبة. وأوصاني بالالتجاء إلى حكمتها كلما عنّ لي هذا. وقال إنها ستخبرك بما قد يحدث وبما كان ينبغي أن يحدث، وبما حدث فعلاً! ثم ستقول لك السبب فيما حدث! إن لها ذهنًا وقّادًا، وبصيرة نافذة، ومنطقًا سليمًا. فعقبت "**لوسي**" قائلة:

– هذه شهادة رجل له قدره يعتد بها . وهي بحسب ما أعلم في محلها.

وأُرتِج القول على الآنسة "**ماربل**" التي اصطبغ وجهها بحمرة الخجل وهي تغمغم:

– هذا الصديق العزيز،السير "**هنري**" ، لعله يبالغ في تقدير مهارتي، ما أظن أنني بلغت هذا المستوى الخيالي. إن هذا كله ما هو إلا نتيجة لإلمامي بطبيعة البشر. وربما أتاحت لي إقامتي بالقرى هذه المعرفة. والآن، سأحاول أن أكون عند حسن ظنك، بقدر إمكانياتي، فأنت خير من يعرف أنني بعيدة عن موطن الأحداث. ثم إن في مواجهة الأطراف المعنية والالتقاء بهم خير معين على الاستقرار والبحث.

– ولكنك دعيت إلى تناول الشاي في القصر، أليس كذلك؟

– بلى، وقد سمعت بهذه الدعوة، اللهم إلا من عدم لقائي بالسيد "**كراكنثورب**" الابن.

– هل يمكن لك، إذا ما التقيت بالرجل الذي ارتكب هذه الجريمة، أن تتبيني أمره؟

– لا أستطيع أن أزعم شيئًا من هذا القبيل. إن الحدس شيء خطير، وخصوصاً إذا ما اتصل بجريمة قتل. إن كل ما بوسعنا أن نفعله هو ملاحظة كل من نرتاب فيه لنخرج بشيء من تأملنا إياه.

– على غرار ما كان من أمر "**سيدريك**" ومدير البنك!

– ابن مدير البنك يا عزيزي. لقد كان السيد "**أيد**" على شاكلة السيد "**هارولد**" ، رجل متحفظ متزمت. يفعل أي شيء في سبيل تجنب الفضيحة.

فابتسم "**كرادوك**" قائلاً:

– "**ألفريد**" ؟

– إنه من ذوي الذمة الخربة. رجل لا يوثق به في المعاملات، ولا يلتزم بالطريق المستقيم. أما عن "**إيما**" ، فهي تذكرني بـ "**جيرالدين ويب**"في هدوئها ووداعتها، وفي حدبها على والدتها، وما إن توفيت والدتها فجأة وورثت عنها مبلغًا كبيراً من

المال حتى انطلقت من عقالها وقامت برحلة بحرية عادت بعدها متزوجة بمحامٍ لطيف المعشر، وأنجبت منه طفلين. وكانت المقارنة واضحة كل الوضوح. وكان تعقيب "**لوسي**":

– هل كان من المناسب أن تصارحيهم برأيك في ترجيح زواج "**إيما**"؟ لقد بدا أن قولك هذا قد ضايق إخوتها.

– أجل. هذا ما لمسته. إن شيئًا من هذا القبيل لم يطرأ على بال أحد منهم. لا أعتقد أنك تبينت شعورهم هذا. هذا هو شأن الرجال. إنهم لم يدركوا في حياتهم العائلية ما أدركته في زيارة واحدة.

– كلا... لم يدر بخلدي شيء من هذا القبيل. لقد كنت أرى فيهما أنهما...

– أكبر سنا من ذلك؟ ولكن الدكتور "**كيمبر**" لا يتجاوز الأربعين بكثير، وإن كان الشيب قد وخط شعر فوديه. وواضح أنه يتوق إلى حياة منزلية وادعة. أما "**إيما**" فهي دون الأربعين، لم تتجاوز بعد سن الزواج. ويقولون إن زوجة الدكتور "**كيمبر**" قد توفيت في مقتبل العمر في أثناء الولادة.

– هذا ما سمعته من "**إيما**".

– وهكذا نجد أن "**كيمبر**" قد ملَّ حياة الوحدة. إن الرجل المرهق، يود لو وفق إلى الزوجة التي يسكن إليها بعد حياة يومه الشاقة.

– ترى هل نحن بصدد تقصي الحقيقة في جريمة وقعت، أم ترى أننا بصدد بحث مشروع زواج؟!

– أخشى أنني لا أملك البعد عن كل ما هو عاطفي، بحكم تقدمي في السن. "**لوسي**"، لقد قمت بما عهدت به إليك خير قيام، فإذا ما كنت تريدين القيام بإجازة تقضينها في الخارج، يمكنك تحقيق رغبتك هذه.

– وأرحل عن "**روزفورد هول**"... كلا! لقد أصبحت شرطية لا تريد أن تتخلى عن عملها. إنني لا أريد الرحيل عن هذا القصر قبل أن أرضي فضولي. وهذا هو

شأن الصبيين اللذين لا يألوان جهداً في البحث عن دليل جديد، وإن كانا لا يُدركان عما يبحثان، أو عما عساه أن يكون هذا الدليل، فإذا ما جاءا إليك – يا سيدي المفتش– يحملان قصاصة ورق دوِّن فيها "**مارتين**" . . .

– إذا كنت تخشين على حياتك فابتعدي عن المخزن الكبير! ولتعلمي بأنني أدخلتها عليهما شفقة بهما، وأودعتهما حظيرة الحيوانات!

– ولماذا الحظيرة بخاصة؟

– لأنني أتردد عليها، وأعرف أنهما يؤمانها من حين إلى آخر. وانبرى "**كرادوك**" يستفسر منها:

– من يقيم بالمنزل الآن؟

– "**سيدريك**" و"**بريان**"اللذان قدما لقضاء عطلة الأسبوع، وسيعود كل من "**هارولد**" و"**ألفريد**" لزيارتنا غداً. لقد شعرت بأنك تضيِّق عليهما الخناق. فابتسم "**كرادوك**" قائلاً:

– إلى حد ما. وقد سألتهما أن يحددا لي تحركاتهما في يوم 20 كانون الأول (ديسمبر).

– وهل فعلا ذلك؟

– لقد وافاني "**هارولد**" بما سألته إياه. أما "**ألفريد**" فلم يستجب لما طالبته به؛ لعجزه عن هذا.

– أعتقد أن أدلة النفي من الصعوبة بمكان. إنها تتطلب تحديد المكان والوقت والتاريخ.

– ومع كل ذلك، فإننا نتجمل بالصبر ولا نفقد الأمل. سأزور "**روزفورد هول**"اليوم للاجتماع بـ"**سيدريك**" وإن كنت أريد الاتصال بالدكتور "**كيمبر**" أولاً.

– يمكنك أن تلتقي به بعد قليل. إنه ينتهي من عمله في حوالي السادسة والنصف وعليّ أن أعود الآن لإعداد العشاء.

– آنسة "**إيلزبارو**"، أريد أن أعرف رأيك في موضوع مهم، ما وجهة نظر الأسرة بالنسبة إلى موضوع "**مارتين**"، وجهة نظرهم الخاصة؟

– لقد استاءوا من "**إيما**" لاتصالها بك في هذا الموضوع، كذلك كان موقفهم من الدكتور "**كيمبر**" الذي شجعها على الذهاب إليك. ويرى كل من "**هارولد**" و"**ألفريد**" أن هذه الرسالة لم تكن أكثر من محاولة امرأة مدعية، أما "**إيما**" فهي بين الشك واليقين ولا يشذ عنهم جميعًا سوى "**بريان**" الذي يؤمن بصحتها.

– على أي أساس؟ ولماذا يشذ عنهم؟

– لأن "**بريان**" ممن يأخذون الأمور على علاتها، وهو يعتقد أن الرسالة صحيحة، وأنها صادرة عن أرملة "**إدموند**"، وأنها فعلاً اضطرت إلى العودة إلى "**فرنسا**"لظرف طارئ. أما أنها لم تتصل بهم ثانية فأمر طبيعي. ويعلل هذا بأنها تترقب الفرصة السانحة لتعاود الاتصال للحضور ثانية. إن "**بريان**"رجل سلس القياد.

– وهل أسلست قياده؟ فرمقتها "**لوسي**" بنظرة حادة. فما كان من الآنسة "**ماربل**" إلا أن استطردت قائلة وهي تبتسم:

– إن بالمنزل كثيراً من السادة. وأنت فتاة تلفتين الأنظار، أليس كذلك؟

وأطرقت "**لوسي**" تستعرض ما كان من أمر "**سيدريك**" معها، وما كان من أمر "**بريان**" من قبله. وما كان من أمر "**ألفريد**" من بعدهما.

ثم يتوج هذا كله ما كان من أمر "**كراكنثورب**" العجوز. وهو يلمح لها بعرض للزواج. وقطع عليها حبل تفكيرها صوت الآنسة "**ماربل**" وهي تقول في لهجة جادة وكأنها تقرأ أفكارها:

– كل الرجال سواء حتى العجوز منهم. فصاحت "**لوسي**" وقد تملكتها الدهشة:

– رباه! وكأنني أفكر بذهنك! لو كنا نعيش منذ مائة عام، لقالوا عنك إنك

ساحرة، وأعدموك حرقًا! وسردت عليها قصة السيد "**كراكنثورب**" العجوز معها. ثم استطردت قائلة:

– في الواقع، إن هذا كان مسلكهم جميعًا معي. أما "**هارولد**" فكان غرضه متفقًا مع حالته وخلقه. لقد عرض عليّ وظيفة ممتازة في العاصمة. ولست أعتقد أن ما دعاهم إلى ذلك هو جمالي أو جاذبيتي. كلا، إن هو إلا اعتقادهم بأني أعرف شيئًا. وضحكت. ولكن المفتش "**كرادوك**"لم يشاركها ضحكها.

– خذي حذرك. إنهم قد يقتلونك بعد أن يتحققوا من فشل أسلوبهم الأول.

– قد يكون هذا أقرب مثال لهم. إننا ننسى أحيانًا بشاعة هذه الجريمة التي استغلق فهمها علينا. إن هذين الصبيين يتخذان منها لهوًا وعبثًا. فانبرت الآنسة "**ماربل**" تقول في لهجة جادة:

– ليس القتل بالشيء الذي يتخذ منه الناس لهوًا. وبعد أن توقفت لحظة، تساءلت قائلة:

– ألن يعود الصبيان إلى مدرستهما قريبا؟

– بلى. في الأسبوع القادم. وسيتوجهان غداً إلى منزل "**جيمس ستودارت وست**" لقضاء ما تبقى من أيام الإجازة.

– هذا أفضل، فلست أحب أن يحدث شيء في أثناء وجودهما هنا.

– للسيد "**كراكنثورب**" الأب مثلاً؟ هل تظنين أنه سيكون المجني عليه الثاني؟

– كلا! لقد عنيت بقولي الصبيين.

– الصبيّان؟

– "**ألكسندر**"، على وجه التحديد. فتأملها "**كرادوك**" متسائلاً:

– ولكن...

– إنهما يتخذان من الموضوع أداة للهو، ولا يدركان مدى ما في ذلك من خطورة. فتأملها "**كرادوك**" متسائلاً:

– أرى أنك لا تعتقدين أن القضية قضية مقتل امرأة مجهولة بمعرفة رجل

مجهول! إنك تؤمنين فيما أرى بأنها قضية "**روز فورد هول**" .

– أجل. إنني مقتنعة بأن هناك صلة وثيقة بين هذه الجريمة وبين "**روز فورد هول**" .

– إن كل ما نعرفه عن القاتل أنه رجل طويل القامة، أسود الشعر. وهذا هو كل ما وصفته به صديقتك ويوجد في "**روز فورد هول**" ثلاثة رجال ينطبق عليهم هذا الوصف. وتصادف في يوم التحقيق أنني رأيت ثلاثتهم مولين ظهورهم لي ومرتدين معاطفهم، ورأيت– لفرط دهشتي– أن الشبه بينهم في وضعهم هذا كبير، وأن هذا مما يزيد الأمر صعوبة.

– إني لأتساءل ولطالما تساءلت عما إذا كان الأمر من البساطة أكثر مما يبدو لنا.

– هل أنت مقتنعة بأن "**إدموند كراكنشورب**"إما ان يكون قد تزوج بفتاة تدعى "**مارتين**" ، أو أنه كان يعتزم الزواج بها؟ لقد أطلعتك "**إيما**" على الرسالة الواردة منها، وإني واثقة بأن "**إيما**" لا تخترع هذه القصة... ترى ما الذي يدعوها إلى ذلك؟

– إذا ما نحن سلمنا بوجود "**مارتين**" فهذا يهدم نظرية الدافع إلى الجريمة... إن ظهور "**مارتين**" بولدها من شأنه أن ينقص من أنصبة الورثة، وإن كان هذا النقص لا يرقى– في رأينا– إلى أن يقحم أحد من الورثة نفسه في جريمة قتل... غير أن الورثة جميعًا في ظروف مادية قاسية. وتساءلت "**لوسي**" :

– بما في ذلك "**هارولد**" ؟!

– أجل، بما في ذلك "**هارولد**" الذي تظنين فيه الرجل الموفق الناجح... لقد أساء إلى حالته المالية بما أقحم فيه نفسه من صفقات جريئة. وقد يسعفه ميراثه قبل انكشاف أمره. فاعترضت "**لوسي**" قائلة:

– ولكن إذا كان الأمر كذلك... ثم توقفت عما كانت بسبيل قوله.

– ولكن ماذا...؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– أدرك ما تعنيه... القتل الذي لا يحقق هدفًا ولم يصب به القاتل مرماه.

– إن قتل "**مارتين**" لن يستفيد منه "**هارولد**" أو غيره ما لم...

– ما لم تتحقق وفاة "**كراكنثورب**" العجوز... هذا صحيح. وهذا ما تبادر إلى ذهني. و"**كراكنثورب**" العجوز في صحة جيدة، كما فهمت من طبيبه الخاص. وأردفت "**لوسي**":

– إنه سيعمر طويلاً. ثم قطبت جبينها، فقال لها "**كرادوك**" يستحثها:

– نعم؟

– لقد أصيب بوعكة في عيد الميلاد. وقال إن طبيبه أقام الدنيا وأقعدها حول مرض العجوز. وقال مما قال: "إن من كان يرقب مسلكه، يُخيِّل إليه أن أحداً ما قد دس السم له".

– وهذا ما أريد أن أسأل الدكتور "**كيمبر**" عنه.

– والآن يجب أن أنصرف، فقد تأخرت كثيراً. والتقطت الآنسة "**ماربل**" صحيفة "**التايمز**" وراحت تلقي نظرة على لغز الكلمات المتقاطعة قائلة:

– ليت لديَّ قاموساً هنا. "**تونتين**" و"**توكاي**"، كثيراً ما أخلط بين هاتين الكلمتين. أظن أن إحداهما اسم لشراب. فقالت لها "**لوسي**"، وكانت قد بلغت باب الغرفة:

– إنها "**توكاي**". ولكن إحدى الكلمتين مركبة من خمسة أحرف، والثانية من ستة، ما المنفذ؟

– إنه لا يوجد في الكلمات المتقاطعة. إنه يوجد هنا في رأسي. وحدجها "**كرادوك**" بنظرة قاسية. ثم ودعها منصرفا.

- 18 -

كان على "**كرادوك**" أن ينتظر قليلاً ريثما يفرغ "**كيمبر**" مما بين يديه من عمل. ثم أقبل عليه مجهداً مغموماً. وقدم لـ "**كرادوك**" مشروباً، ثم صب لنفسه كأساً، وقال وهو يهوي بجسده فوق مقعد كبير:

– يا لهم من تعساء! إنهم أغبياء يفزعون من أي شيء. لقد عرضت عليّ الليلة حالة مؤلمة. امرأة كان ينبغي أن تعرض عليّ منذ عام مضى، إذ إنها لو كانت استشارتني من قبل، لكنت أجريت لها جراحة ناجحة. ولكنها تأخرت عاماً بطوله.

وبعد أن تحدث إليه ببعض متاعب مهنته . اعتذر له عما أثقل به عليه، مستفسراً عما أتى به إليه. فقال "**كرادوك**":

– ما الذي دفع "**إيما**" إلى إبلاغ الشرطة بموضوع الرسالة؟

– في الواقع، إنها هي التي أرادت هذا. وكانت قلقة لا تستقر على قرار. وكان أشقاؤها يحاولون أن يقنعوها بعدم عرض الأمر عليك.

– ولماذا فعلوا ذلك؟

– لأنهم كانوا يخشون من احتمال صحة ما تدعيه صاحبة الرسالة.

– وما رأيك في صحة هذه الرسالة؟

– ليس لديّ أية فكرة عن هذا. ولم يسبق لي أن اطلعت على هذه الرسالة. ويحتمل أن تكون من بعثت بها فتاة كانت تعرف الكثير وحاولت استغلال هذه المعلومات برجاء التأثير في "**إيما**"، وليس من شك في أن أشقاءها كانوا مخطئين فيما ذهبوا إليه. إن "**إيما**" ليست بالفتاة الغافلة، وما كانت لتحتضن من تزعم أنها أرملة أخيها دون أن تستطلع منها حقيقة أمرها... ترى لماذا تريد أن تعرف وجهة نظري؟ فليست لي أية علاقة بهذا الموضوع.

– في الواقع، إنني قدمت لسؤالك عن شيء آخر، وكنت حائراً كيف أبدأ باستجوابي لك؟ وتأمله "**كيمبر**" في اهتمام ومتابعة. واستطرد المفتش:

– سمعت بأن السيد "**كراكنشورب**" العجوز كان مريضاً في عيد الميلاد. وتبين "**كرادوك**" ما اختلج به وجه الدكتور "**كيمبر**" الذي قال:

– أجل.

– هل قيل إنه اضطراب معوي؟

– أجل.

– لقد كان السيد "**كراكنشورب**" فخوراً بصحته، مردداً إنه سيعمر أكثر من أي فرد من أفراد أسرته، وقد قال عنك، معذرة يا سيدي الدكتور...

– لا تراعي . إنني لا أهتم كثيراً بما يقوله مرضاي عني.

– قال إنك تجسم كل صغيرة تافهة من الأمور. وقال أيضاً إنك وجهت إليه العديد من الأسئلة عما تناول من طعام، وعمن أعده له، وعمن قدمه إليه. وكانت ملامح وجه الطبيب تتغير بين الابتسام وبين التجهم، وقال مستحثاً "**كرادوك**" أن يواصل حديثه:

– وماذا قال أيضاً؟

– قال أيضاً إنك تسلك مسلك من يعتقد أن أحداً ما دس السم له. ثم ران عليهما صمت مطبق، استطرد بعده "**كرادوك**" قائلاً:

– هل ساورتك حقًّا مثل هذه الشكوك؟ ولم يسرع "**كيمبر**"بالإجابة. بل نهض عن مقعده وراح يذرع الغرفة طولاً وعرضاً، وأخيراً استدار إلى "**كرادوك**" :

– ماذا كنت تتوقع مني أن أقول؟ هل يُخيَّل إليك أن طبيباً يلقي بالاتهام على عواهنه دون أن يكون بين يديه الدليل على اتهامه؟

– كنت أريد أن أعرف، بصفة غير رسمية، عما إذا تبادر إلى ذهنك شيء من هذا القبيل.

– إن "**كراكنشورب**" العجوز يعيش عيشة التقتير الذي قد يبلغ حد الحرمان. فإذا ما تصادف واجتمعت الأسرة، تضاعف "**إيما**" من كميات الطعام وتستكثر من ألوانه. وكانت النتيجة نزلة معوية حادة ألمت بالعجوز. تلك هي الأعراض التي بنيت عليها تشخيصي.

– بما يعني أنك كنت مقتنعاً بالأعراض والتشخيص وأنك لم تكن في حيرة من أمرك؟

– فليكن. فليكن. أجل. كنت هذا الحائر الذي تريده أن يكون! هل هذا هو ما تبغيه؟

– ما الذي أثار شكوكك، أو مخاوفك؟

– إن الحالات المعوية تختلف، غير أن ثمة دلالات معروفة تقترن بحالات تسمم الزرنيخ أكثر من اقترانها بالحالات العادية. مع العلم بأن الأعراض متشابهة في الحالتين، بحيث يختلط الأمر أحيانًا على الكثيرين.

– وماذا كانت نتيجة تحرياتك؟

– بدا لي أن شكوكي لم تكن في محلها. ولقد أكد لي السيد "**كراكنثورب**" أنه تعرض لمثل هذه النوبات من قبل أن أتولى العناية به، وأن مرجع هذه النزلات كان الإفراط في الطعام.

– الأمر الذي لا يحدث في غير أيام ازدحام المنزل بأعضاء الأسرة أو بالضيوف.

– أجل غير أنني أصارحك القول– يا سيد "**كرادوك**"– بأنني لم أكن راضيًا كل الرضا. وقد حدا بي هذا إلى الكتابة إلى زميل قديم، ألا وهو الدكتور "**موريس**" الذي اعتزل المهنة؛ لأسأله رأيه في ذلك؛ لأنه كان يقوم على علاج السيد "**كراكنثورب**" قبلي.

– وبماذا أجاب؟

– نصحني بألا أتمادى في شكوكي، وبألا أستسلم لحماقتي.

– بصرف النظر عن كل هذه الحالات، فإن ثمة من سيستفيد من موت "**كراكنثورب**" العجوز. وأنت خير من يعرف أنه في صحة جيدة، لا يستبعد معها أن يمتد به العمر إلى سن التسعين؟

– أجل. إنه لا همَّ له سوى العناية بصحته.

– وها هم أولاده وابنته، تمضي الأعوام بهم سراعًا...

– دعك من ابنته. إنها لا يمكن أن تقدم على اقتراف خطإ ما. إن هذه النزلات لا تلم به إلا حينما يحضر الآخرون.

ودار بخلد مفتش المباحث أنها قد تكون شديدة الحذر بحيث إذا كانت هي التي تريد أن تدس السم له، فإنها تتحرى أن يكون هذا في وجود الآخرين. ولكنه آثر ألا يفصح عن خواطره.

– ليس من شك في أنني لا خبرة لي في هذه الأمور. ولكن إذا ما افترضنا أن

أحداً ما قد دس السم له ألا ترى مع ذلك أن نجاة "**كراكنثورب**" كانت معجزة؟

– مهلاً. رويداً. إن هذه الحقيقة بخاصة هي التي تقنعني بأنني أحمق مأفون، على حد قول الدكتور "**موريس**". إذ إنه من الواضح أننا لسنا بصدد حالة دس السم بالتدريج بجرعات صغيرة، وهي الوسيلة القديمة للقتل بوساطة سم الزرنيخ. إن "**كراكنثورب**" لم يشكُ من اضطراب معوي مزمن. ولكنه يتعرض لهذه النوبات من آن إلى آخر، وكأني بالفاعل يدس له كميات من السم في فترات متقطعة غير محكمة، كمًّا ولا كيفا.

– أتعني أنه لا يدس جرعات كافية؟

– أجل. إضافة إلى أن بنيان "**كراكنثورب**" من القوة بحيث لا يؤثر فيه ما يؤثر في غيره. وثمة خاصيات فطر عليها الإنسان كل بحسب جبلته. وقد يدور بخلدك أن الفاعل قد يعمد إلى مضاعفة الجرعة، هذا إذا كان هناك فاعل، الأمر الذي لم نتحقق منه بعد! إن كل ذلك ليس إلا خيالاً سينتهي من حيث بدأ، أو قل قد بدأ لينتهي.

– إنها مشكلة معقدة.

✽✽✽✽✽

– سيدي المفتش "**كرادوك**".

وكاد المفتش يقفز فزعًا عند سماع هذا النداء، الذي فوجئ به وهو يكاد يطرق باب المنزل الأمامي. وبرز من بين الظلال كل من "**ألكسندر**" وصديقه "**ستودارت وست**"، وتقدما منه على حذر، قائلين:

– لقد سمعنا صوت سيارتك، فأسرعنا لنلحق بك.

– حسنًا، هيا بنا إلى الداخل. وكاد يطرق الباب، غير أن "**ألكسندر**" أمسك بمعطفه قائلاً:

– لقد عثرنا على دليل. وردد "**ستودارت وست**":

– أجل، لقد عثرنا على دليل. وتبادر إلى ذهن "**كرادوك**" ما قالته "**لوسي**" عن الدليل الذي أرادت أن تدسه عليهما فلعنها في سره. ثم قال لهما:

– عظيم... فلندخل إلى المنزل لنرى ما عساه أن يكون.

– كلا. إننا لا نريد أن يقاطعنا أحد. هيا بنا إلى غرفة السروج. وسنقدمه إليك.

واستجاب "**كرادوك**" لهما عازفا. وتبعهما على كره منه إلى غرفة السروج، حيث دفع "**ستودارت وست**" بابًا ضخمًا، دخل منه ثم أضاء المصباح الكهربائي. وكانت الغرفة مستودعًا لكل مُهمل لا حاجة للقوم به، من مقاعد محطمة إلى آلات معطلة إلى حشيات ممزقة إلى غير ذلك مما هو من هذا القبيل. وقال "**ألكسندر**":

– إننا ندخل هذه الغرفة كثيراً، حيث نجد راحتنا.

وتبين المفتش أنهما جعلا من بعض الحشيات والمناضد ركنًا لهما، وضع على خوان فيه صندوق من الشوكولاتة، وصحن من التفاح، وبعض المسليات. وأردف "**ستودارت وست**" قائلاً وقد ومضت عيناه من خلف نظارته:

– إنه دليل له قيمته يا سيدي. لقد عثرنا عليه بعد ظهر اليوم. لقد كنا نواصل البحث عن الأدلة بين الأعشاب، وفي جذوع الأشجار، وفي كل مكان. وأردف "**ألكسندر**" قائلاً:

– ثم ذهبنا إلى بيت الغلايات، حيث يحتفظ البستاني "**هيلمان**" بصندوق كبير للأوراق المهملة التي ينتفع بها لإشعال نار الموقد. وهناك وجدنا الدليل. فقاطعه "**كرادوك**":

– أي دليل؟ ماذا وجدتما؟

وسأل "**ألكسندر**" صديقه "**ستودارت وست**" أن يتوخى الحذر ويضع قفازه قبل أن يتقدم بالدليل. وفي حذر مفتش المباحث بالقصص البوليسية أخرج "**ستودارت**" ظرفًا من جيبه ناوله إلى "**كرادوك**".

ووقف الصبيان يتأملان المفتش مبهوري الأنفاس. ولم يخيِّب "**كرادوك**"

ظنهما، بل راح يفض الظرف بعناية واهتمام باد. ولم يجد بداخل الظرف شيئًا. وكان الظرف معنونًا باسم السيدة "**مارتين كراكنثورب**"، 126 "**ألفرز كريسنت**" رقم (10). وسمع "**ألكسندر**" يقول له:

– أرأيت؟ إنه يدل على أنها كانت هناك زوجة... زوجة خالي "**إدموند**" الفرنسية... وهي من أثارت كل هذه الضجة. لقد سقط منها هنا. أليس كذلك؟

وأردف "**ستودارت وست**" مؤيداً:

– ويبدو أنها هي بذاتها المجني عليها، أعني يا سيدي أنها من وجدت جثتها في التابوت. ووقفا يترقبان في قلق وشوق باديين. ورأى "**كرادوك**" أن يجاريهما قائلاً:

– ممكن. هذا ممكن.

– إنه دليل له أهميته، أليس كذلك؟ وستقوم بمضاهاة بصمات الأصابع، أليس كذلك؟

– بكل تأكيد. وما إن سمع "**ستودارت وست**" المفتش يؤكد لهما هذا حتى زفر ارتياحًا وهو يقول:

– يا له من توفيق في آخر يوم لنا!

– آخر يوم؟ فقال "**ألكسندر**":

– أجل... سيصحبني "**ستودارت**" إلى منزله غداً؛ لقضاء ما تبقى من الإجازة.

وكان "**كرادوك**" معنيًّا بتأمل الظرف الذي بين يديه، وكان يفكر في مهارة "**لوسي**"،ولكن كيف تسنى لها تزييف أختام البريد؟

وحاول أن يتبين ذلك، وهو يتفرس في الظرف،ولكن الضوء كان خافتًا. لقد اتخذ الصبيان من الموضوع مادة للهو والفرح، ولكن الأمر بالنسبة إليه لم يكن كذلك. إن "**لوسي**" لم تضع في اعتبارها كل الزوايا.

إذا ما كان هذا الظرف أو الدليل صحيحًا، فمن شأنه أن يستتبع خطوات

جديدة من العمل . هناك مثلاً. ولكن الصبيين كانا قد أصما أذنيه بمناقشة حادة بينهما عن فن البناء والعمارة. فقال لهما أخيراً:

– هيا بنا إلى المنزل... لقد قمنا بعمل جيد.

- 19 -

دخل "**كرادوك**" المنزل من بابه الخلفي بإرشاد الصبيين، وتبين من هذا أنه طريقهما الذي يتبعانه في دخول المنزل. وكان المطبخ نظيفًا يشرح الصدر.

وكانت "**لوسي**" منكبة على إعداد الفطائر لطعام العشاء، وكان "**بريان إيستلاي**" واقفًا يتأملها وهي منهمكة فيما بين يديها من عمل. وبادر "**ألكسندر**" والده قائلاً:

– هل عدت إلى المطبخ ثانية؟

– هذا يروق لي. إن الآنسة "**إيلزبارو**"لا تعترض على ذلك.

– هل جئت لتواصل أبحاثك في المطبخ؟

– كلا. ترى هل السيد "**سيدريك**" مازال موجوداً؟

– أجل، هل تريد منه شيئًا؟

– أجل، إن لي معه كلمة.

– سأذهب لأتأكد من وجوده وأخطره بقدومك. وسأل "**ستودارت وست**" الآنسة "**لوسي إيلزبارو**" :

– ماذا تصنعين؟!

– فطيرة الدُّراق (الخوخ).

– رائع. وسألها "**ألكسندر**" :

– هل حانت ساعة العشاء؟

– كلا.

– إنني شاعر بجوع شديد.

– فلنبحث عن شيء تسد به رمقك. واندفع الصبيان يغادران المطبخ. فقال لها "**كرادوك**" بعد انصرافهما:

– أهنئك.

– لماذا؟

– على ما قمت به.

– وماذا عساه أن يكون؟ فعرض عليها "**كرادوك**" الظرف مجيباً:

– لقد أتقنت إدخال هذا عليهما.

– عن أي شيء تتحدث؟

– عن هذا الظرف. فحدقت النظر إليه دون أن تفهم شيئًا ، فتملكت الدهشة من "**كرادوك**" الذي قال لها:

– ألم تقومي بتزييف هذا الدليل وقمت بإلقائه في غرفة الغلايات لكي يعثر عليه الصبيان؟ أخبريني، أسرعي.

– ليست لديَّ أية فكرة عما تتحدث عنه. هل تعني... وأسرع "**كرادوك**" يدس الظرف في جيبه عندما رأى "**بريان**" الذي قال:

– "**سيدريك**" ينتظرك في المكتبة. وغادر "**كرادوك**" المطبخ إلى المكتبة.

❁❁❁❁❁

لم يخف "**سيدريك كراكنثورب**" سروره بزيارة المفتش. وبادره قائلاً:

– إنك تواصل تحرياتك، هل تقدمت بها كثيراً؟

– أظن أن بوسعي أن أقرر بأننا تقدمنا قليلاً.

– هل أمطت اللثام عن شخصية المجني عليها؟

– لم يعرفها أحد وإن تسنى لنا أن نضيق نطاق بحثنا في هذا المجال.

– في هذا خطوة مباركة بكل تأكيد.

– أريد استكمال بعض المعلومات التي استجد ما يدعو إليها مما قمنا به من

تحريات، وسأبدأ بك ما دمت موجوداً هنا.

– إنني عائد إلى "**أفيزا**" بعد يوم أو يومين.

– إذن فقد جئت في الوقت المناسب.

– هات ما عندك.

– أرغب في أن أسمع منك تقريراً مفصلاً عن تحركاتك في يوم الجمعة 20 كانون الأول (ديسمبر). ورمقه "**سيدريك**" بنظرة خاطفة. ثم استرخى في مقعده وكأنه يحاول استجماع شتات ذهنه ثم قال:

– كنت في "**أفيزا**" كما أخبرتك من قبل، وهناك تتشابه الأيام في رتابة مملة. الرسم في الصباح والقيلولة فيما بين الثالثة والخامسة بعد الظهر، ثم الكوكتيل مع العمدة أو الطبيب بين الحين والآخر بمقهى الميدان. ومن بعد أتوجه إلى مشرب "**سكوتي**"؛ لتناول وجبة خفيفة مع بعض الأصدقاء من الطبقة الدنيا. هل في هذا ما يكفي؟

– إنني لا أريد منك غير الصدق. فاعتدل "**سيدريك**" في مقعده قائلاً:

– سيدي المفتش، ماذا تعني من هذه الإهانة؟

– هل ترى ذلك؟ لقد أخبرتني بأنك غادرت "**أفيزا**" في الحادي والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ووصلت إلى "**إنجلترا**" في اليوم نفسه.

– هذا ما كان فعلاً. "**إيما**"!! وأقبلت "**إيما كراكنثورب**" من باب جانبي، وتطلعت متسائلة إلى كل من "**سيدريك**" و"**كرادوك**". واستطرد "**سيدريك**" قائلاً:

– يا "**إيما**"، ألم يكن وصولي في يوم السبت السابق لعيد الميلاد؟ وأنني قدمت رأساً من المطار؟

– أجل... لقد كان مجيئك في ساعة الغداء. فقال "**سيدريك**" للمفتش:

– إليك ما تريد.

– لعلك ترى فينا أننا من الحمق بحيث لا يمكننا التحقق مما يقال. إن بوسعنا أن

نتحقق من مثل هذه الأقوال عند الاطلاع على جواز سفرك.

– لقد بحثت عن هذا الجواز صباح اليوم ولم أجده؛ وذلك لأنني كنت أريد أن أبعث به إلى مكتب "**كوك**".

– إنك واجده حتمًا، وفي الواقع، إنني لست محتاجًا إليه. لقد ثبت من السجلات الرسمية أنك دخلت البلاد مساء يوم 19 كانون الأول (ديسمبر) وأسألك الآن أن تقص عليّ تحركاتك فيما بين هذا التاريخ وبين ساعة الغداء يوم 21 كانون الأول (ديسمبر) ساعة وصولك إلى القصر. وأُرْتج القول على "**سيدريك**" الذي فوجئ بما صارحه به "**كرادوك**" ثم قال محتدًّا:

– ألا يمكن للمرء أن يذهب أنى يشاء، ويفعل ما يريد في أيامنا هذه؟ دائمًا هذه الأسئلة وتلك الاستمارات التي يتعين على القادم استيفاء بياناتها في هذه الدولة البيروقراطية! فيم كل هذه الضجة التي تقيمونها حول يوم 20 كانون الأول (ديسمبر)؟ بم يمتاز هذا اليوم؟

– إنه اليوم الذي نعتقد أن الجريمة قد ارتكبت فيه. من حقك أن ترفض الإجابة ولكن...

– من قال إنني أرفض الإجابة؟ إن كل ما أريده هو فسحة من الوقت لأستعيد فيه ما تسألني عنه. تُرى ما الذي استجدً من أمور بعد التحقيق؟ ولم يعقب "**كرادوك**" بشيء، وقال "**سيدريك**" وهو يرمق "**إيما**" بنظرة جانبية:

– هل ننتقل إلى غرفة أخرى؟ فأسرعت "**إيما**" تقول:

– لقد كنت بسبيل الانصراف لبعض شأني يا "**سيدريك**". إن الأمر قد أصبح محتاجًا إلى شيء من التقدير لخطورته، وأرى بناء على ما صارحك به المفتش "**كرادوك**" أن تخبره بتحركاتك في هذا اليوم. ثم غادرت الغرفة وأغلقت الباب من خلفها، وبعد انصرافها قال "**سيدريك**":

– أجل، لقد غادرت "**أفيزا**" في التاسع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) معتزمًا التخلف في "**باريس**" ليومين؛ أزور فيهما بعض الأصدقاء بالضفة اليسرى.

غير أنني التقيت بفتاة رائعة الحسن في الطائرة، وكانت في طريقها إلى " **الولايات المتحدة** " على أن تقضي يومين في "**لندن**"وهكذا عدلت عن خطتي، وواصلت طريقي إلى "**لندن**"، حيث أقمنا بفندق "**كنجزاوي**". للعلم! وتسميت باسم "**جون براون**"؛ لأنه يحسن بالمرء أن يفعل هذا دائماً في مثل هذه المناسبات.

– هذا يوم 19، فماذا عن يوم 20، وعلى وجه التحديد فيما بين الساعة الثالثة بعد الظهر وبين منتصف الليل؟!

– قمت بجولة كما يقولون، توجهت إلى المتحف الوطني أولاً، ثم إلى السينما لمشاهدة فيلم لرعاة البقر. وبعد ذلك عدت إلى الفندق حيث تناولت كأسين بمشربه، وبعدها صعدت إلى غرفتي حيث أخلدت إلى النوم بعض الوقت قبل أن أصطحب الفتاة حوالي الساعة العاشرة مساء في جولة ببعض النوادي الليلية التي لا أذكر أسماءها على وجه التحديد. أظن أن ملهى "**جمنيج فروج**" كان من بينها. وكانت الفتاة تعرف هذه الأماكن خيراً مني. وأفرطت في الشراب بحيث لم أشعر إلا وأنا أصحو على صداع شديد في صباح اليوم التالي. وأسرعت صديقتي لتلحق بطائرتها، وأسرعت بدوري إلى هنا زاعماً أنني قادم لتوي من المطار. هذا ما كان من أمري. أرجو أن تكون قد اقتنعت به.

– هل يمكن إقامة الدليل على تحركاتك فيما بين الثالثة والسابعة؟

– كلا؛ لأنني قضيت هذه الفترة بأماكن عامة، بالمتحف والسينما كما قلت لك. وعادت "**إيما**" تحمل في يدها مفكرة يومية وهي تقول:

– إنك تريد أن تعرف تحركاتنا في يوم 20 كانون الأول (ديسمبر) أليس كذلك؟

– بلى، هذا ما أرجوه فعلاً.

– لقد ألقيت نظرة على مفكرتي اليومية فوجدتني قد توجهت في هذا اليوم إلى "**براكها مبتون**"؛ لحضور اجتماع لصندوق تجديد الكنيسة وانتهى الاجتماع حوالي الساعة الواحدة ظهراً، ثم تناولت طعام الغداء مع ليدي

"**أدنجتون**" والآنسة "**بارتليت**" بمطعم "**كادينا**" . وبعد الفراغ من تناول طعام الغداء قمت بشراء بعض هدايا عيد الميلاد، وتنقلت بين متاجر "**جريتفولد**" و"**ليال**" و"**سويفت**" و"**بوت**" وغيرها، وتناولت الشاي الساعة الخامسة في قاعة "**شمروك**"، ثم توجهت إلى المحطة؛ لاستقبال "**بريان**" الذي حضر مستقلاً القطار، وعدت إلى المنزل في حوالي السادسة مساء لأجد والدي ثائرًا؛ لأنه افتقدني وقد اعتاد أن أقوم على خدمته. وكان غاضبًا مني إلى الحد الذي جعله يعتكف في غرفته رافضًا أن يدعني أراه.

– شكرًا يا آنسة "**كراكنثورب**" ومتى كان قدوم إخوتك الآخرين؟

– كان قدوم "**ألفريد**" في ساعة متأخرة من مساء يوم السبت، وعلمت منه بأنه حاول الاتصال بي تليفونيًّا في اليوم السابق دون جدوى. أما شقيقي "**هارولد**" فلم يستطع الحضور قبل الليلة السابقة للعيد.

– أكرر شكري يا آنستي.

– هل لي أن أستفسر عما استجد من أمور كان من شأنها أن أثارت هذه التحريات الأخيرة؟! وأخرج "**كرادوك**" الظرف من جيبه وعرضه عليها قائلاً وقد تحرى الحرص في الإمساك به:

– أرجو ألا تلمسيه، هل تعرفين شيئًا عنه؟

– إن المدوَّن على الظرف هو بخط يدي، إنها الرسالة التي بعثت بها إلى "**مارتين**".

– هذا ما اعتقدته فعلاً. وكانت الدهشة قد استبدت بالآنسة "**إيما**" التي راحت تحملق إليه بعينين حائرتين وهي تسأله:

– كيف حصلت عليه؟ وأين وجدته؟ ترى. هل وفقتم في العثور عليها؟

– لقد وجد هذا الظرف هنا.

– في المنزل؟

– في ممتلكاتكم.

– إذن فقد جاءت إلى هنا! هل يعني أن جثة "**مارتين**" هي التي وجدت في التابوت؟

– هذا ما يبدو من ظاهر الأحوال. وضاعف من ترجيح هذا الاحتمال البرقية التي وجدها في انتظاره من "**أرمان ديسان**":

"تلقت إحدى صديقات "**حنة سترافنسكا**" بطاقة بريد منها، وواضح أن قصة الرحلة البحرية قصة حقيقية! لقد وصلت إلى "**جامايكا**" حيث تقضي على حد تعبيرها وقتًا طيبًا!"

وأطبق "**كرادوك**" البرقية بيده ثم ألقى بها في سلة المهملات.

❁❁❁❁❁

تحدث "**ألكسندر**" وهو جالس في فراشه يلتهم قطعة من الشوكولاتة قائلاً:

– أجدني مدفوعًا إلى التقرير بأن هذا اليوم كان من أروع أيامنا هنا. لقد عثرنا على دليل قاطع. في الواقع، إن هذه الجريمة جعلت من أيامنا هنا أيامًا لها طابعها المثير. ومثل هذه الجرائم لا تقع في كل يوم! وقالت "**لوسي**" التي كانت تعد حقيبة ملابس "**ألكسندر**":

– أما أنا فأرجو ألا أتعرض لما تعرضت له. هل تريد أن أودع الحقيبة هذه القصص عن الفضاء؟

– باستثناء القصتين اللتين نحيتهما جانبًا؛ لأني قد فرغت من قراءتهما ويمكن أن أحمل كرة القدم والحذاء الخاص بها والحذاء المطاط في لفافة مفردة.

– لكم تحملون من أشياء ثانوية!

– لا ترتاعي، إنهم سيبعثون إلينا بسيارتهم (الرولز). إنها سيارة رائعة ولديهم أيضًا سيارة مرسيدس جديدة.

– لعلهم من أثرياء القوم؟

– أجل، وإنهم لحريصون على الاستمتاع بثروتهم، ومهما يكن من أمر فقد

طاب لي المقام هنا ووددت لو لم نرحل، فقد يعثرون على جثة أخرى هنا.

– أرجو صادقة ألا يحدث شيء من هذا القبيل.

– إن هذا هو ما نقرؤه في القصص؛ إذ كثيراً ما يتعرض من رأى شيئًا، أو سمع شيئًا للقتل. وربما كنت أنت الضحية التالية.

– شكرًا.

– إنني أرجو صادقًا ألا يقع لك شيء من هذا القبيل. إنني أحبك وأقدرك وكذلك "**ستودارت**"، ونرى أن مكانك في هذه الدنيا أكثر من أن تكوني طاهية. إن لك عقلية ممتازة وشخصية أسمى من ذلك بكثير.

– شكرًا. ومع ذلك فلست أعتزم أن أقتل؛ لأدخل السرور إلى قلبك.

– إذن فعليك أن تتوخي الحذر. وتوقف عن الحديث قليلاً ثم استطرد قائلاً:

– أرجو أن ترعي أمر والدي حينما يكون موجوداً هنا.

– بكل سرور!

– إن والدي لا تطيب له الإقامة في "**لندن**". وهو يقحم نفسه في علاقات لا تليق به. إنه يحتاج إلى من يقوم على رعايته. لقد كانت وفاة والدتي صدمة قاسية له. إنه الرجل الذي يحب الحياة المنزلية. إنني أحب والدي وأريد دائمًا أن أطمئن على سعادته. هل تعرفين أنه معجب بك؟!

– شكرًا له ولك.

– لقد كان طياراً مقاتلاً ممتازاً. وكان شجاعًا مقدامًا، ولقد أبلى بلاء حسنًا في الحرب، وإضافة إلى هذا فهو لطيف المعشر، سليم الطوية. ولاذ بالصمت قليلاً ثم تطلع إلى سقف الغرفة قائلاً:

– هل تعرفين أنني أحب أن يتزوج ثانية؟ وأرجو أن يوفق إلى من هي جديرة به. إنني أرجو له هذا من صميم قلبي. أما ما يقال عن زوجة الأب وضيق البعض بها فهراء ولغو. إن الأمر يتوقف على نفسية الطرفين، غير أنني أرى أنه يتوقف على طبيعة زوجة الأب. ليته يتزوج.

– أرى أنك مرهف الإحساس... يجب أن نجد لوالدك الزوجة الصالحة.

– أجل... لقد رأيت أن أحدثك بما حدثتك به عامداً... إن والدي يميل إليك ويقدرك. لقد صارحني بهذا.

وجال في خاطرها: "حتى الصبية يقومون بهذه المناورات". واستعادت ما قالته لها الآنسة "**ماربل**"، وأخيراً نهضت قائلة:

– أسعدت مساء... لم يبق سوى المنشفة والبيجاما، إلى الصباح، طابت ليلتك.

– طابت ليلتك. واستلقى "**ألكسندر**" في فراشه وأغمض عينيه، وكأنه صورة ملاك نائم وسرعان ما استسلم لنوم عميق.

- 20 -

بلهجته المعهودة، قال الرقيب "**ويذرول**" لرئيسه المفتش "**كرادوك**"، الذي كان عاكفًا على دراسة التقرير المقدم إليه عن دليل النفي الذي قرر به "**هارولد كراكنثورب**"، فيما أدلى به من أقوال عن تحركاته يوم 20 كانون الأول (ديسمبر).

– لا يمكن أن يعد هذا الدليل قاطعًا.

"قد لوحظ وجوده بقاعة "**سوبثي**" حوالي الساعة 3:30 بعد الظهر، ويقال إنه غادرها بعد قليل. ولم يتعرف أحد على صورته الفوتوغرافية من عمال قاعة شاي "**راسل**" أو المترددين عليها. ويمكن تعليل هذا بازدحام القاعة في مثل هذه الساعة من النهار. إضافة إلى أنه ليس من عملائها الدائمين. وأيد خادمه الخاص ما قاله عن عودته إلى المنزل لارتداء ثياب السهرة استعداداً لمأدبة العشاء. غير أنه قال إن ذلك كان في الساعة السابعة إلا ربعًا، مع العلم بأن ميعاد الحفل كان في الساعة السابعة والنصف، ولا يذكر الخادم شيئًا عن عودته في المساء؛ لأنه يأوي إلى فراشه في ساعة مبكرة". وعقب "**كرادوك**" على ماورد بالتقرير:

– إنه تقرير سلبي.

– ولقد علمت بأنه انصرف من المادبة قبل نهاية ما ألقي من كلمات.

– وماذا عن المعلومات المستقاة من محطات السكك الحديدية؟

– لا شيء. لقد قمنا بتحرياتنا في محطتي "**براكها مبتون**" و"**بادنجتون**". ولا يمكن لأحد أن يذكر من التحريات ما انقضى عليه حوالي أربعة أسابيع.

وزفر "**كرادوك**" زفرة حادة. ومد يده يلتقط التقرير الخاص بـ"**سيدريك**". وكان ما ورد بهذا التقرير، شأنه في ذلك شأن التقرير الأول، يقف موقفًا سلبيًّا مما أدلى به "**سيدريك**" من وقائع، وإن كان أحد سائقي السيارات الأجرة قد قرر بصورة غير قاطعة أنه توجه براكب إلى "**بادنجتون**" بعد ظهر ذلك اليوم، قد تنطبق أوصافه على "**سيدريك**". وإنه ليذكر هذا اليوم على وجه الخصوص؛ لأنه ربح في السباق مبلغًا مجزيًا، وكان قد سمع بفوز الجواد في الراديو بعد أن غادر الراكب السيارة. وقدم "**ويذرول**" إلى المفتش تقريرًا وهو يقول:

– وهذا هو التقرير الخاص بـ"**ألفريد**".

وكانت نبرات صوته مغايرة خافتة، مما حدا بـ"**كرادوك**" أن يرمقه بنظرة حادة. وكان "**ويذرول**" يبدو في مظهر الرجل الذي احتفظ بالعشرة الطيبة لآخر لحظة، وكان التقرير في أساسه غير مقنع. فقد كان "**ألفريد**" يقيم بمفرده في مسكنه ولا يتبع نظامًا خاصًّا في حياته.

ولم يكن جيرانه من الفضوليين. وكانوا جميعًا من العاملين الذين يقضون نهارهم خارج منازلهم. وما إن بلغ "**كرادوك**" من اطلاعه على التقرير قرابة نهايته، حتى وجد "**ويذرول**" يشير بأصبعه إلى الفقرة الأخيرة منه.

فقد كان الرقيب "**ليكي**" الذي عهد إليه بالتحري في قضية السرقات من بعض سيارات النقل موجودا للمراقبة بطريق "**بادنجتون**"– "**براكها مبتون**"، حيث شاهد "**ألفريد كراكنثورب**" جالسًا إلى المائدة المجاورة مع "**تشيك إيفانز**"، أحد أفراد عصابة "**ديكي روجرز**". وكان يعرف "**ألفريد**" الذي سبق أن أدلى بشهادته في

قضية "**ديكي روجرز**". وكان هذا مدعاة لأن يتساءل عما يدبره الرجلان معًا. وكانت الساعة 9:30 مساء، من يوم الجمعة الموافق 20 كانون الأول (ديسمبر). وبعد بضع دقائق، استقل "**ألفريدكراكنثورب**" سيارة ركاب في الطريق إلى "**براكها مبتون**". وقرر "**وليم بيكر**" محصل تذاكر "**براكها مبتون**" أنه قرض تذكرة لسيد عرف فيه أنه أحد إخوة "**كراكنثورب**". وذلك قبل رحيل قطار الساعة 11:55 إلى "**بادنجتون**". وهو يذكر هذا اليوم بالذات لما ذاع حينئذ من قصة السيدة العجوز التي أقسمت إنها شاهدت مقتل فتاة في أحد قطارات بعد الظهر. وقال "**كرادوك**" وهو يضع التقرير جانبًا:

- "**ألفريد**"؟ يا للعجب!

- إن هذا التقرير يضيق الخناق عليه.

وأومأ "**كرادوك**" برأسه موافقًا. فقد كان بوسع "**ألفريد**" أن يستقل قطار الساعة 4:32 إلى "**براكها مبتون**" حيث يرتكب جريمته في الطريق إليها. ثم كان بوسعه أن يتوجه إلى "**لود أوف بريكز**" بسيارة الركاب، ويغادرها في الساعة 9:30، حيث شاهده الرقيب "**ليكي**" متوجهًا إلى "**روز فورد هول**" ليستقل قطار الساعة 11:55 إلى "**لندن**". ردد "**كرادوك**" قوله:

- "**ألفريد**"؟

*****

كان هناك اجتماع لأسرة "**كراكنثورب**" بقصر "**روز فورد هول**". وكان كل من "**هارولد**" و"**ألفريد**" قد قدما من "**لندن**". وسرعان ما ارتفعت الأصوات واحتد النقاش.

وقامت "**لوسي**" بإعداد أكواب الشراب التي حملتها إلى المكتبة. وكانت أصوات أعضاء الأسرة واضحة في البهو. تبينت "**لوسي**" منها أن "**إيما**" كانت هدفًا لهذه الأصوات المحتدة الحاملة عليها. وسمعت "**هارولد**" يقول غاضبًا:

– لقد جانبت الصواب. إنني لا أستطيع التكيف مع ما ارتكبت من خطإ. كيف بلغ بك قصر نظرك وحمقك هذا الحد؟ فلمَ لم تسرعي بتلك الرسالة إلى "**اسكتلانديارد**"؟ وانضم إليه "**ألفريد**" قائلاً:

– لابد من أنك فقدت صوابك! وقاطعهما "**سيدريك**" معنفًا:

– هونا عليكما، ولا تحملا عليها هكذا. إن ما فعلته مضى وكان. إن ما أقدمت عليه كان خيراً مما إذا اتضح فيما بعد أن الجثة لـ"**مارتين**"، وأننا قد التزمنا جانب الصمت وأنكرنا وجودها. فقال له "**هارولد**" غاضبًا:

– وماذا يعنيك من كل ما يجري؟ لقد كنت في الخارج في يوم العشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) الذي يبدو أنه محور تحرياتهم. ولحسن الحظ أنني استطعت أن أحدد تحركاتي في هذا اليوم. ويعقب "**ألفريد**" قائلاً:

– وأنا واثق بأن باستطاعتك هذا. إنك الرجل القادر على تدبير كل شيء بإحكام. إذا ما اعتزمت ارتكاب جريمة قتل...

– أفهم من هذا أنك كنت سيئ الحظ؟!

– هذا خير من التقدم إلى الشرطة بدليل محكم التدبير، ثم يتضح فيما بعد أنه لم يكن بالصورة التي قدم بها، إن رجال الشرطة أكثر براعة من أن يخدعوا.

– هل يفهم من حديثك هذا أنك تلمح بأنني قتلت؟ فصاحت "**إيما**" بهم:

– بحق السماء! هلا توقفتم عن هذا العبث؟ إن أحداً منكم لم يقتل هذه الفتاة قطعًا. وانبرى "**سيدريك**" قائلاً:

– ولمعلوماتكم الخاصة، أصارحكم جميعًا بأنني لم أكن في الخارج يوم 20 كانون الأول (ديسمبر) والشرطة تعرف ذلك! وبناء على ذلك، فقد أصبحنا جميعًا موضع شك.

– لو لم تفعل "**إيما**" ما فعلته.

– "**هارولد**"، هل ستعود إلى ما بدأته؟ وخرج الدكتور "**كيمبر**" من غرفة المكتب حيث كان مختليًا بـ"**كراكنثورب**" العجوز. ووقع نظره على كؤوس

الشراب التي تحملها "**لوسي**"، فقال لها:

– ماذا أرى؟ ما المناسبة؟

– إنه كالزيت يُلقى به فوق المياه الصاخبة. إنهم في مناقشة حادة.

– يكيلون الاتهامات لبعضهم البعض؟

– إن الحملة موجهة ضد "**إيما**".

– أحقًّا؟ وتناول الكؤوس من يد "**لوسي**"، وفتح باب المكتبة قائلاً:

– أسعدتم مساء. فبادره "**هارولد**" قائلاً بلهجة ثائرة:

– دكتور "**كيمبر**". إن لي معك كلمة. بودي أن أعرف بأي حق تتدخل في شأن من شؤون الأسرة الخاصة، وتنصح شقيقتي بالاتصال بـ"**اسكتلانديارد**"بشأنه. فأجابه الدكتور "**كيمبر**" بهدوء:

– لقد سألتني الآنسة"**إيما**" المشورة. ولم أبخل عليها بها. وفي رأيي أنها أحسنت صنعًا.

– وهل بلغت بك الجرأة؟

– أيتها الفتاة! وكان النداء صادراً عن السيد "**كراكنثورب**" العجوز الذي كان يطل من باب غرفة مكتبه، فاستدارت "**لوسي**" قائلة:

– نعم يا سيدي.

– ماذا أعددت لطعام العشاء؟ أريد صحنًا من (الكاري) لقد نسيت أن تقدميه لنا.

– إن الصبيين لا يحبان (الكاري).

– الصبيان، الصبيان. إنني من يجب أن تستجاب طلباته، ومهما يكن من أمر فقد رحل الصبيان. أريد طبقًا ساخنًا من (الكاري)، هل سمعت؟

– فليكن يا سيدي، سيكون لك ما تريد.

– إنك فتاة طيعة. على كل منا أن يرعى جانب الآخر.

وعادت "**لوسي**" إلى المطبخ.وبدأت تعد (الكاري). وسمعت صفق الباب

الأمامي، فأطلت من النافذة لترى الدكتور "**كيمبر**" ينصرف غاضبًا إلى سيارته، وينطلق بها. وراحت تعد طعام العشاء للأسرة.

❁❁❁❁❁

كانت الساعة الثالثة صباحًا، حينما عاد الدكتور "**كيمبر**" بسيارته إلى الجراج، وأغلق بابه، ودخل منزله متعبًا مجهداً. لقد رزقت السيدة "**سيمبكنز**" بتوءم إضافة إلى عدد أفراد الأسرة الحالي البالغ ثمانية. وتلقى السيد "**سيمبكنز**" النبأ في هدوء. ولكنه لم يخفِ امتعاضه من هذا العبء المضاعف.

وارتقى الدكتور "**كيمبر**" الدرج إلى غرفة نومه، وبدأ يخلع ثيابه وألقى نظرة على ساعته. إنها الثالثة وخمس دقائق. لقد صادف عناء كبيراً لينقذ حياة الوالدة والمولودين، وتثاءب. إنه متعب جد التعب. ووقف يشتاق إلى الاستلقاء على فراشه. ثم سمع رنين الهاتف. فالتقط الدكتور "**كيمبر**" السماعة وهو حانق:

– الدكتور "**كيمبر**"؟

– أجل...

–إنني "**لوسي إيلزبارو**" من "**روزفورد هول**". أرى أنه من الخير أن تحضر. ويبدو أنهم جميعًا قد تعرضوا لمرض مفاجئ.

– كيف؟ ما الأعراض؟ وشرحتها "**لوسي**" له تفصيلاً:

– سأوافيك فوراً.

وفي الوقت نفسه زودها ببعض التوجيهات الدقيقة، وعاد يرتدي ثيابه، وألقى ببعض الأدوية والمعدات الطبية في حقيبته، وأسرع إلى سيارته.

❁❁❁❁❁

وبعد ثلاث ساعات، كان الطبيب و"**لوسي**" يجلسان إلى مائدة المطبخ، وقد نال منهما التعب والإجهاد ليشربا قدحين من القهوة.

وبعد أن أفرغ الدكتور "**كيمبر**" محتويات قدحه في جوفه، أعاده فوق المائدة قائلاً:

– لقد كنت أحتاج بشدة إلى شيء من هذا القبيل. والآن يا آنسة "**إيلزبارو**"، فلنحاول أن نجلو الموقف بأسره.

وتأملته "**لوسي**"، وتبينت في ملامح وجهه أمارات الإرهاق المضني التي جعلته أكبر من سنه بكثير. واستمعت إليه يقول:

– بحسب ما أرى لم يعد ثمة خطر يتهدد حياتهم، ولعلهم بخير الآن. ولكن كيف حدث ذلك؟ إن هذا هو ما أريد أن أعرفه. من الذي قام بإعداد طعام العشاء؟

– أنا.

– وما ألوانه تفصيلاً؟

– حساء الفطر (عيش الغراب)، ودجاج بالأرز و(الكاري)، وسليوب وزعتر بكبد الدجاج.

– حسنًا. لنبدأ من جديد. هل كان الحساء من المعلبات؟

– كلا. كان طازجًا من صنعي، فطر، ومرق دجاج، وحليب «لبن» وقليل من الزبد والدقيق، وعصير ليمون.

– هل حسبت أن حساء الفطر هو السبب؟

– كلا. قد تناولت من هذا الحساء قدراً لابأس به، وهأنذا في خير حال.

– أجل. سأضع هذا في اعتباري.

– هل تعني؟

– لست أعني شيئًا مما يدور بخلدك. إنني سوف أعرف كل شيء عنك، وعن التحاقك بالعمل هنا.

– ولماذا تفعل ذلك؟

– لأنني قد أخذت على عاتقي أن أعرف حقيقة كل من يفد على هذا القصر ويستقر به. إنك فتاة تسعى لكسب عيشها، ولم تكن لك علاقة سابقة بآل

"**كراكنثورب**". بمعنى أنك لم يسبق لك أن كنت صديقة لأي من "**سيدريك**"، أو "**هارولد**" أو "**ألفريد**"، مما يستتبع قيامك بأي عمل قذر خدمة لأي منهم.

– هل تعتقد حقًّا؟

– إن ثمة الكثير مما أنا مقتنع به، غير أنني أحب دائمًا أن أتوخى الحذر. وهذا هو شأن الأطباء الآن، فلنعد إلى ما بدأناه. دجاج بـ (الكاري) هل تناولت منه؟

–كلا. تذوقته فقط. لم أتناول من الطعام سوى الحساء والسليوب.

– وكيف قدمت السليوب؟

– في كؤوس مفردة.

– وهل قمت بتنظيفها؟

– قمت بتنظيف جميع الأواني والصحاف.

– يبدو أنك أسرعت بذلك بعض الشيء.

– هذا ما تحققته بعد ما حدث من تطورات.

– ألا يوجد لديك بقايا من هذه الأطعمة؟

– يوجد قليل من (الكاري)، وقليل من الحساء أيضًا.

– إذن فساحمل معي هذه البقايا، وماذا عن المخللات؟ ألم يكن فوق المائدة شيء منها؟

– بلى، كانت في متناول أيديهم جميعًا.

– إذن، فسأضيف إلى مجموعتي قليلاً منها. ونهض قائلاً:

– لنذهب لإلقاء نظرة عليهم. وبعد ذلك أترك لك أمر العناية بهم جميعًا، ومراقبتهم جميعًا، وسأعمل على استخدام ممرضة أزودها بجميع التوجيهات، على أن تكون هنا قبل الساعة الثامنة.

– بودي لو صارحتني بجلية الأمر. هل ترى أن التسمم نتيجة لما تناولته الأسرة من طعام، أم هو سم مدسوس؟

– قلت لك إن على الأطباء أن يجزموا برأيهم بناء على ما يجتمع لديهم من

أدلة حسية، فإذا ما كانت نتيجة التحاليل إيجابية فسوف يكون لنا شأن آخر وإلا . . .

– وإلا . . ووضع الدكتور "**كيمبر**" يده فوق كتفها قائلاً :

– عليك بالعناية باثنين منهم، وبخاصة "**إيما**" ، التي لا أسمح بأن ينالها مكروه.

وتهدج صوته بما ينفعل به من مشاعر لم تكن خافية على "**لوسي**" واستطرد قائلاً :

– إنها لم تبدأ حياتها بعد . إن "**إيما**" ذخر لا يعوض. وهي تعني الكثير بالنسبة إليَّ. إنني لم يسبق أن صارحتها بذلك، ولكنني سأصارحها به قريبًا. عليك بالعناية بـ"**إيما**" ، ثم عليك العناية بالرجل العجوز، ولست أزعم أن هذا يرجع إلى أنه مريض، بقدر ما يرجع إلى أنني لن أدعه لقمة سائغة لمن يريد هلاكه من أبنائه، أو لهم مجتمعين؛ لأنهم يريدون الاستيلاء على ماله. ورمقها بنظرة لها معناها، ثم قال :

– لقد تحدثت إليك بصراحة. وعليك أن تطبقي فمك بينما تقومين بفتح عينيك.

*****

قال المفتش "**بيكون**" وقد أذهلته المفاجأة :

– "**زرنيخ**" ؟!

– أجل في (الكاري)، وإليك ما تبقى منه، لتسلمه إلى زميلك الذي يجب أن يقوم من ناحيته بالتحقق من ذلك. لقد قمت بتحليل كمية صغيرة منه، وكانت النتيجة مما لا يدع مجالاً للشك.

– إذن، فثمة من هو جاد في دس السم؟ فعقَّب الدكتور "**كيمبر**" باقتضاب :

– هذا ما يبدو.

– وكلهم قد تأثروا به، فيما عدا الآنسة "**لوسي**" .

– أجل. باستثناء الآنسة "**لوسي**" .

– ولكن الأمر يبدو مثيراً للظن.

– ماذا يمكن أن يكون لديها من دافع؟

– قد يكون الدافع هو الجنون. إن هذا الطراز من الناس يبدو متزنًا لا يشوب سلوكه شيء، ولا ينحرف عن جادة الصواب إلا في مثل هذه الحالات.

– إن الآنسة "**لوسي**" في كامل قواها العقلية. وأؤكد لك كطبيب أن الآنسة "**لوسي**" لا تقل عنك أو عني اتزانًا، فإذا ما كانت الآنسة "**لوسي**" قد عمدت إلى دس السم في طعام الأسرة، فقد فعلت هذا لسبب ما. إضافة إلى أنه إذا ما سلمنا بأنها تقدم على شيء من هذا القبيل فإنها من الفطنة بحيث تحرص على أن تتأثر بما تأثروا به. وكانت بفضل ذكائها، تتناول من الطعام القدر الذي لاتخاطر به مع تجسيم ما يبدو عليها من أعراض التسمم...

– وهكذا يختلط الأمر عليك؟

– تمامًا. إن التسمم من الحالات التي لا يمكن تعيين القدر الذي تعاطاه المجني عليه، ما دام على قيد الحياة. أما إذا توفي، فيمكن تقدير الكمية التي دُست له بصفة محددة.

– بناء على هذا، يمكن أن يكون هناك بين أفراد الأسرة من يدعي بأكثر مما يشعر به من أعراض، حتى لا يثير من حوله الشكوك. ماذا ترى في وجهة النظر هذه؟

– لقد تبادر هذا إلى ذهني. وهذا ما حدا بي إلى إبلاغك بالأمر. وهأنذا أدعه بين يديك، ولقد عهدت لإحدى الممرضات بالقيام على رعاية المرضى، وإن كانت لا تستطيع أن تكون في أكثر من مكان في وقت واحد. وأرى من الناحية الطبية، أن أحداً منهم لم يتناول القدر الكافي الذي يسبب الوفاة.

– تُرى هل كان ذلك على سبيل الخطإ؟

– كلا، يبدو لي أن الفاعل قد تحرَّى أن يدس من السم في (الكاري) ما يكفي لظهور أعراض التسمم فقط، على أن يرجع هذا إلى حساء الفطر (عيش الغراب)، كما يحدث غالبًا. ثم يحدث أن تسوء حالة أحدهم فيقضي نحبه على أنه لم

يحتمل ما احتمله غيره.

– ولن يكون هذا بداهة، إلا بجرعة أخرى تدس له.

– ومن أجل هذا أسرعت بإبلاغ الأمر إليك، وعهدت إلى الممرضة بالسهر على المرضى.

– وهل أحيطت علماً بموضوع الزرنيخ؟

– بكل تأكيد... هي والآنسة "**لوسي**". ولست أحب التدخل في عملك. غير أنني لو كنت مكانك لذهبت تواً إليهم وصارحتهم بما تعرضوا له نتيجة لدس الزرنيخ في طعامهم، وقد يكون في ذلك ما يفزع القاتل ويصده عن المضي في تنفيذ خطته. ودق الهاتف الموجود فوق مكتب المفتش ورفع السماعة قائلاً:

– حسناً، دعها تتصل بي. ثم اتجه بالحديث إلى "**كيمبر**":

– إنها الممرضة التي عهدت إليها برعاية المرضى. ثم واصل حديثه التليفوني:

– مرحباً، هناك نكسة خطيرة... أجل... الدكتور "**كيمبر**" معي الآن... هل ترغبين في الاتصال به؟ ومد يده بسماعة الهاتف إلى الطبيب "**كيمبر**".

– فهمت. أجل. تماماً. أجل. واصلي عملك. إننا في الطريق إليك. وأعاد السماعة إلى مكانها، ثم استدار إلى المفتش "**بيكون**" الذي سأله قائلاً:

– من هو؟

– "**ألفريد**". وقد قضى نحبه.

- 21 -

ودوى صوت "**كرادوك**" في التليفون قائلاً غير مصدق:

– "**ألفريد**"؟! "**ألفريد**"؟! وأبعد المفتش "**بيكون**" السماعة عن أذنه قائلاً:

– ألم تكن تتوقع هذا؟

– بلى. وعلى العكس، لقد كنت أضعه في رأس قائمة المتهمين!

– لقد سمعت بواقعة تعرف المحصل عليه. وقد خُيِّل إليَّ أنا الآخر أننا وضعنا يدنا على رجلنا.

– ولكننا كنا أبعد ما نكون عن الحقيقة. فليكن. كان في القصر ممرضة عهد إليها برعاية المرضى، والسهر عليهم فكيف وقع ذلك في وجودها؟

– لا يوجد منفذ للومها. فقد كانت الآنسة "**لوسي**" تعاونها في مهمتها، ثم استأذنت منها لتنال قسطًا يسيرًا من الراحة، وأصبحت الممرضة وحدها مسؤولة عن رعاية خمسة من المصابين: الرجل العجوز، و"**إيما**"، و"**سيدريك**"، و"**هارولد**"، و"**ألفريد**". لا يمكن أن تكون في أكثر من جهة في وقت واحد. ويقال إن "**كراكنثورب**" الأب كانت قد ساءت حالته بعض الشيء فأسرعت إليه الممرضة؛ كي تقوم على خدمته. ثم عادت إلى "**ألفريد**" بقليل من الشاي الممزوج بالجلوكوز. وما إن أفرغ القدح في جوفه حتى انتهى أمره.

– زرنيخ ثانية؟!

– هذا ما يبدو. ويمكن أن يرجع سوء حالته إلى أنه نكسة حادة... وإن كان "**كيمبر**" يرى غير هذا ويوافقه في رأيه الدكتور "**جونسون**".

– هل كان "**ألفريد**" هو المقصود بأن يكون الضحية الثانية؟

– أدرك ما تعني. إن موت "**ألفريد**" لن يفيد أحدًا. ربما كان ذلك على سبيل الخطإ بمعنى أن يكون الفاعل قد طاش سهمه. ولماذا لا يكون الهدف هو "**كراكنثورب**" الأب؟

– هل ثبت من القرائن ما يرجح هذا الاحتمال؟

– كلا... بكل تأكيد. وقد قامت الممرضة بتنظيف القدح.

– وهذا يعني بالتالي أن أحد المرضى لم تكن حالته بالسوء الذي بدا به، فانتهز الفرصة وأقدم على فعلته.

– مهما يكن من أمر فقد عهد إلى ممرضة أخرى بالاشتراك مع الأولى في العمل. ولقد أوفدت اثنين من رجالي للحراسة. هل سنراك؟

– بأسرع مما تقدر!

تقدمت "**لوسي إيلزبارو**" عبر البهو لاستقبال المفتش "**كرادوك**" وكانت

شاحبة الوجه متخاذلة فقال لها:

– لقد اجتزت أوقاتًا عصيبة.

– إننا نعيش في كابوس. لقد خيل إليّ أنهم جميعًا سيقضون نحبهم.

– ماذا عن (الكاري)؟

– وهل اتضح أنه (الكاري)؟

– أجل.على طريقة آل "**بورجيا**".

– إذا ما كان هذا صحيحًا فلابد من أن يكون من قام بدس السم هو أحد أفراد الأسرة.

– ألا يوجد احتمال آخر؟

– نعم لا يوجد؛ لأنني من قمت بإعداده. وقد بدأت في ذلك بعد الساعة السادسة بناء على طلب السيد "**كراكنثورب**" العجوز. وكان عليّ أن أفتح علبة جديدة بنفسي. وأعتقد أن الفاعل قد وقع اختياره على (الكاري)؛ لأن مذاقه من شأنه أن يفقد الطاعم تذوق مادة الزرنيخ.

– ليس للزرنيخ طعم يتذوق. والآن فلنتحدث عن الفرصة المواتية. من عساه أن يكون قد أتيحت له الفرصة للعبث بـ(الكاري) في أثناء طهيه؟ وأطرقت "**لوسي**" قليلا، قبل أن تقول:

– في الواقع، إن أيا منهم كان في وسعه أن يتسلل إلى المطبخ في أثناء قيامي بإعداد المائدة في قاعة الطعام.

– فهمت. والآن، من كان موجوداً بالمنزل؟ "**كراكنثورب**" الأب، و"**إيما**" و"**سيدريك**".

– و"**هارولد**" و"**ألفريد**" اللذان قدما من "**لندن**" بعد الظهر، و"**بريان إيستلاي**"، ولكنه غادرنا منصرفًا قبل العشاء. حيث كان لديه موعد في "**براكهامبتون**". وبعد أن استغرق "**كرادوك**" قليلاً في تفكير عميق قال:

– إن لهذا الحادث صلة بمرض "**كراكنثورب**" العجوز في عيد الميلاد. لقد كان

"**كيمبر**" يشك في أن مرضه كان نتيجة تسمم بالزرنيخ. هل كان مستوى حالتهم المرضية واحداً؟

– أعتقد أن السيد "**كراكنثورب**" العجوز كان أسوأهم حالاً. وكان الدكتور "**كيمبر**" قلقًا عليه. إنه طبيب ممتاز وكان "**سيدريك**" أحسنهم حالاً. وهذا شأن كل من كان قوي البنية.

– وماذا عن "**إيما**"؟

– كانت حالتها سيئة.

– ولماذا كان "**ألفريد**" هو الضحية خصوصًا؟

– لم أستطع أن أتبين سببًا لذلك.

– لو استطعت أن أعرف الدافع لأصبح هذا الأمر أقل تعقيداً. ولكن كيف نربط بين الدافع في الجريمتين؟ مقتل من يقال إنها كانت أرملة "**إدموند كراكنثورب**"، "**مارتين**"، ودس السم بالقدر الكافي لقتل "**ألفريد**". ومهما يكن من أمر فإن الفاعل لن يخرج عن أن يكون أحد أفراد هذه الأسرة، بصرف النظر عن عجزنا عن الاهتداء إلى الدافع. ربما كان الفاعل مجنونًا، يستمرئ القتل دون سبب وبغير دافع يحفزه إلى مقاومة جرمه. فلتلزمي جانب الحذر. يوجد في هذا المنزل قاتل بالسم، مع العلم بأن أحد مرضاك ليس بالحالة السيئة التي يتظاهر بها.

وبعد انصراف "**كرادوك**"، ارتقت "**لوسي**" الدرج إلى الطابق العلوي، مطرقة الرأس تحاول أن تجد لما يدور حولها حلاً، وسمعت الصوت المتغطرس الذي أضعف من صلفه المرض يناديها، بينما كانت تجتاز الردهة أمام غرفة السيد "**كراكنثورب**"، فدخلت ووجدته مضطجعًا في فراشه وحوله عدد من الوسادات. وكان يبدو منشرح الصدر وقال:

– إنهن حريصات على أن يجعلن لوجودهن أهمية، بما يبالغن فيه من دأب على إصدار الأوامر وعدم الاستجابة لمطالبي. قولي لـ "**إيما**" أن تطردهن. حسبي أن تقومي أنت على خدمتي.

– لست وحدك المريض في هذا المنزل. وليس بوسعي أن أقوم على خدمتكم جميعًا.

– إنه الفطر (عيش الغراب). ألا لعنة الله على حساء الفطر!

– لا ذنب لحساء الفطر فيما نزل بكم.

– إنني لا أحاول بهذا أن ألقي باللوم عليك. هذا ما يحدث للكثيرين من تناول هذه الفطريات. إنني أعرف أنك فتاة لا غبار عليها. كيف حال "**إيما**"؟

– إنها أحسن حالاً اليوم.

– و"**هارولد**"؟

– هو الآخر أحسن حالاً.

– وما هذا الذي يقال عن موت "**ألفريد**"؟

– لم يكن من المفروض أن يقال لك شيء من هذا القبيل. فضحك السيد "**كراكنثورب**". ضحك وفي صوته رنة سرور وهو يقول:

– إن كل شيء يبلغ سمعي. لا يمكن إخفاء شيء عن الرجل العجوز. هذا ما يحاولونه إذن فـ"**ألفريد**" قد مات. إنه لن يثقل عليّ بعد بمطالبه. لقد كانوا جميعًا يترقبون موتي، و"**ألفريد**" بخاصة. وها هو يرحل عن الدنيا قبلي. يا للعجب!

– لا يجمل بك أن تقول هذا. وعاد الرجل يضحك قائلاً:

– سيمتد بي العمر لما بعدهم جميعًا وسترين هذا بنفسك.

وعادت "**لوسي**" إلى غرفتها، واستغرقت في تفكير عميق.

❀❀❀❀❀

قال الدكتور "**موريس**" مهتاجًا:

– لست أدري لماذا تريد أن تحضر لزيارتي؟ فأجابه المفتش "**كرادوك**":

– لأن لك معرفة قديمة بأسرة "**كراكنثورب**".

– أجل. أجل. إنني أعرفهم جيداً. أعرف الرجل الكبير، مؤسس الأسرة. وقد كان رجلاً صعب المراس، مفرط الذكاء، جمع ثروة طائلة. وهكذا أعرت أذنيك لهذا الأحمق "كيمبر" يا لهؤلاء الأطباء الشبان! هؤلاء الذين تسمع منهم آراء شاذة! لقد خيل إليه أن بعضهم يحاول دس السم لـ "**كراكنثورب**" العجوز، هراء يا لها من تمثيلية! ويا له من خاطر! أنا أعرف أنه كان يصاب أحيانًا بنزلات معوية. وكنت اتولى رعايته صحيًا.

– إن الدكتور "**كيمبر**" يرجح العكس.

– إن اليقين هو ما يجب أن يتحلى به الأطباء. لقد كنت ممن يستطيعون الجزم بوجود الزرنيخ في طعام المصاب إذا ما عرض عليّ.

– إن كثيراً من الأطباء ليست لهم القدرة على ذلك، ولقد حدث وتم دفنهم بتصريح الأطباء، دون أن يتبينوا شيئًا غير عادي من الكشف الظاهري، ثم اتضح فيما بعد أن الوفاة كانت ناتجة من التسمم بالزرنيخ .

– بمعنى أن الطبيب قد يخطئ أحيانًا. ولكنني لم أكن من هذا الطراز من الأطباء. دعنا من هذا، ترى فيمن كان "**كيمبر**" يشك أنه الفاعل، لو صح ما ظنه؟

– هذا ما لم يعرفه، أو يستطع إماطة اللثام عنه. لقد كان قلقًا لا يستقر على قرار، وإنك لتعرف قبل كل شيء أن في الأسرة ميراثًا ضخمًا:..

– أجل، أجل، ميراث سيؤول إليهم بوفاة الأب وهم آل "**كراكنثورب**" . ولكنه لا يعني أنهم يلجئون إلى ارتكاب جريمة قتل؟

ومهما يكن من أمر ما يقال فلست ممن يقرون الاقتناع بشيء على غير أساس متين. وهذا الأساس موجود فيما اكتشف من زرنيخ في بقايا الطعام. وينتقل بنا هذا من الشك إلى اليقين. وهذا ما لم يتحقق لي في المرات السابقة، أو ما لم يتبادر إلى ذهني لاستبعادي وجود من يعمد إلى دس الزرنيخ في طعام الرجل.

– إن ما يعوزني حقًا هو أن أستزيد من معلوماتي عن آل "**كراكنثورب**" . هل يوجد من أفراد الأسرة من يحتمل أن به مسًا من الجنون؟ فحدجه الطبيب المسن

بنظرة حادة وهو يقول:

– أجل، لقد وعيت ما يتجه إليه تفكيرك. حسنًا، لقد كان "**كراكنثورب**" الجد كامل العقل. أما زوجته فكانت عصبية المزاج، تميل إلى الانقباض. وقد قضت نحبها بعد مولد ابنها "**لوثر**"، وأعتقد أن "**لوثر**" قد ورث عن والدته شيئا من الخفة وعدم الاستقرار. ولم يكن "**لوثر**" الابن على وفاق مع والده . لقد كانا على طرفي نقيض. وانتقل هذا الشعور من الجفاء بين الأب والابن إلى الابن بالنسبة إلى أولاده. ومن هنا كانت هذه الكراهية التي تلمسها بين "**لوثر كراكنثورب**"الأب وبين أبنائه الذكور، تأثرًا بما كان بينه وبين والده "**كراكنثورب**"الجد. وهذا لا ينطبق على ابنتيه "**إيما**" و"**إيدي**" ابنته المتوفاة؛إذ كان يحبهما ويحدب عليهما. وقد ضاعف من كراهيته لأولاده اعتقاده بأنهم يترقبون موته ليرثوا أمواله، وليؤول إليهم ميراث جدهم وممتلكاته التي نُص على حرمان والدهم حق التصرف فيها، وجُعل منه حارسًا عليها يقوم على حراستها إلى أن تؤول إليهم من بعده، وقد ضاعف هذا النص من حنقه عليهم؛ لأنه يرى فيه مذلة له.

– وهذا هو السبب فيما يردده من أن الحياة ستمتد به إلى ما بعدهم، وبهذه المناسبة لمن سيوصي بمدخراته التي بلغت هي الأخرى مبلغًا لا يستهان به؟

– الله وحده يعلم. إنه لا ينفق من دخله سوى أقله. ربما يكون قد أوصى بثروته الخاصة لـ"**إيما**" وربما يكون قد أوصى بها لحفيده "**ألكسندر**".

– سمعت أنه محبب إلى قلبه؟

– لأن "**ألكسندر**" هو ولد ابنته، وليس ولدا لأحد أبنائه. إضافة إلى أنه يحب "**بريان إيستلاي**" زوج ابنته "**إيدي**". وبديهي أن معرفتي بـ "**بريان**" معرفة سطحية، لا تتيح لي أن أحكم عليه حكمًا صحيحًا. لقد انقضت فترة طويلة لم أتردد فيها على الأسرة.

– أليس لك رأي خاص في أفراد الأسرة، بقدر ما تعرف عنهم؟

– بلى، أعرف عن "**سيدريك**" أنه شاذ الطباع، ثائر على كل الأوضاع. وعن

"**هارولد**" أنه متزمت، جاف الخلق، صعب المراس. أما "**ألفريد**" فهو شاة الأسرة السوداء كما يقولون، ولم يكن على خلق قويم. ومهما يكن من أمر فللموتى حرمتهم.

– وماذا عن ... "**إيما كراكنثورب**" ؟

– فتاة وديعة، لطيفة المعشر، لها آراؤها الخاصة، منطوية على نفسها. إن لها شخصيتها أكثر مما قد يبدو عليها.

– هل كنت تعرف "**إدموند**"، ابن الأسرة الذي لقي حتفه في الحرب؟

– أجل. لقد كان أحسنهم جميعًا، فقد كان شابًا طيب القلب، مرحًا لطيف المعشر، ممتاز الخلق.

– ألم تسمع عن مشروع زواجه بفتاة فرنسية قبيل مصرعه؟

– أظن أنني أذكر شيئًا من هذا القبيل. إنني لا أذكر التفصيلات لبعد الزمن.

– هل لقي مصرعه في أوائل الحرب؟

– أجل. هذا ما أرجحه. وبهذه المناسبة، أذكر أنني قرأت في الصحف شيئًا عن جثة امرأة عثر عليها في تابوت بقصر "**روز فورد هول**".

– وثمة من الأسباب ما يحمل على الاعتقاد بأنها لأرملة "**إدموند كراكنثورب**".

– أهكذا؟ إن هذا ليبدو من الأحداث غير العادية. إنها أقرب بالقصص منها إلى ما يحدث في الواقع، ولكن، ترى من الذي كان يبغي إزهاق روح هذه المرأة البائسة؟ وكيف نربط بين هذه الجريمة وبين حادث التسمم في أسرة "**كراكنثورب**"؟

– يمكن أن نربط بين الحادثين بطريقة أو بأخرى، وإن كانت الجريمتان أو كل منهما بعيدة الاحتمال. لعل أحداً بلغ به جشعه إلى الحد الذي جعله يرغب في الاستئثار بثروة الجد "**كراكنثورب**" كلها.

– إنه لأحمق مجنون. إنه سيؤدي عما يؤول إليه ضريبة تركات لا تُبقي له أكثر

مما كان سيؤول إليه من نصيب فرد.

-22-

- إن الفطر (عيش الغراب) من الأطعمة التي لا أستسيغها. هذا ما كانت تردده السيدة "**كيدر**" غير مرة في الأيام القليلة الماضية، وكانت "**لوسي**" تستمع إليها ولا تعقب بشيء. وقد استطردت السيدة "**كيدر**" قائلة:

- إنه طعام غير مأمون. كان من الممكن أن يقع للجميع ما وقع لـ"**ألفريد**". لقد كنت حسنة الحظ.

- لم يكن الفطر هو السبب فيما نزل بالأسرة.

- لا تصدقي هذا. إنه طعام خطر يكفي أن يندس بينه فِطر فاسد، فيسفر عن تناول حساء مسموم مثل ما حدث، عجبي لهذا التواتر بين الأحداث! تنقضي أيام على مقتل هذه الفتاة التي وجدت جثتها بالتابوت، حتى يصاب السيد "**ألفريد**" بتسمم مميت... ترى من سيكون الضحية التالية؟ وودت "**لوسي**" هي الأخرى، لو أنها عرفت الإجابة عن تساؤل السيدة "**كيدر**" التي استطردت تقول:

- لم يعد زوجي يوافق على عملي هذا، غير أنني أشفق على السيد "**كراكنثورب**" الذي يحسن معاملتي ويُعول عليّ في كثير من الأمور. كما أنني لا أريد أن أتخلف عن عملي وألقي بالعبء كله على عاتقك في هذه الأيام التي لا يخلو فيها البيت من الضيوف. وشكرت لها "**لوسي**" مجاملتها الرقيقة. وكانت في تلك اللحظة تعد ما تحمله إلى المصابين كل على انفراد. فقالت السيدة "**كيدر**" مستطردة:

- ولقد ضاعف من أعبائك حادث التسمم الأخير، وهؤلاء المرضات اللاتي لا يفعلن شيئًا سوى طلب المزيد من أقداح الشاي. إنني أشفق عليك من هذه الأعباء.

- إنني مقدرة لك مشاعرك ومعاونتك لي.

وسُرَّت السيدة "**كيدر**" أن تسمع هذا الإطراء من "**لوسي**" التي أسرعت بما تحمل من طعام فرغت من إعداده، وبادرها السيد "**كراكنثورب**" الذي كان أول من أقبلت عليه محتجًا:

- ماذا تحملين؟

- كسترد...

- إليك بهذا عني. لقد قلت لتلك الممرضة إنني أريد قطعة من البفتيك.

- يرى الدكتور "**كيمبر**" أنه لم يئن الأوان بعد لهذا اللون من الطعام.

- إنني بخير وسأنهض من فراشي غداً. كيف حال الآخرين؟

- السيد "**هارولد**" بخير. إنه سيعود غداً إلى "**لندن**".

- وماذا عن "**سيدريك**"؟ هل سيعود هو الآخر غداً إلى جزيرته؟

- كلا؛ لأن حالته لا تسمح بذلك.

- يا للأسف! وما حالة "**إيما**"؟ لماذا لاتحضر لزيارتي؟

- لأنها مازالت ملازمة الفراش.

- إن النساء دائمًا مرفهات، أما أنت فلست من طرازهن. إنك لاتجدين فسحة من الوقت للراحة.

- إنها رياضة إجبارية.

- إنني جد معجب بك. وأرجو ألا يدور بخلدك أنني قد نسيت ما سبق أن تحدثت به إليك وهو أنك ستتحققين من هذا في يوم من الأيام. إن "**إيما**" لن تظل معرضة عن الزواج. ولا تصدقي ما يقال لك بأنني رجل قبيح عجوز. إنني أدخر نقودي ليوم يطيب لي أن أنفقها فيه كما يروق لي وعلى ما أشاء.

ورمقها بعينين تفيضان ولهًا ومحبة. وأسرعت "**لوسي**" تغادر الغرفة، وهي لا تلوي على شيء. وحملت الصينية الثانية إلى "**إيما**" التي استقبلتها قائلة:

- شكرًا يا "**لوسي**". إنني أشعر بتحسن كبير. كما أشعر بالجوع. وهي دلالة

طيبة، أليس كذلك؟ إنني أشعر بالأسى؛ لأنك لا تجدين فسحة من الوقت لزيارة الآنسة "**ماربل**" . أعتقد أنه لم يتسنَّ لك زيارتها هذه الأيام.

– نعم. هذا هو الواقع.

– أخشى أن تكون قد افتقدتك لتخلفك عن زيارتها.

– لا بأس. إنها خير من يقدر ظروفنا.

– ألم تتصلي بها تليفونيًّا؟

– نعم. لم أتصل بها.

– ولماذا لا تتصلين بها يوميًّا. إن التقدم في السن له اعتباراته الحساسة.

– إن رقتك لا تجارى.

وأنبها ضميرها وهي في طريقها لإحضار الصينية الثالثة. لقد ألهتها الأحداث عن التفكير في أي شيء آخر. وعقدت العزم على الاتصال بالآنسة "**ماربل**" تليفونيًّا، بعدما تحمل إلى "**سيدريك**" طعامه.

ولم يكن بالمنزل في تلك الساعة سوى ممرضة واحدة بادلتها التحية في أثناء لقائها بالطابق الأرضي. ورأت "**سيدريك**" جالسًا في فراشه، في أحسن حال، عاكفًا على الكتابة، فاستقبلها قائلاً:

– مرحى، "**لوسي**" . ترى ماذا تحملين إليّ من طعام؟ ليتكم تتخلصون من هذه الممرضة الثقيلة الظل! وراح يحكي لها كيف توجه إليه الكلام، وكيف تتحرك، وتسأله عن حاله. فقالت له "**لوسي**" :

– إنك تبدو منشرح الصدر. ماذا تكتب؟

– خططًا. خططًا ومشروعات لهذا القصر بعد رحيل رب الأسرة. إننا في مزرعة لها قدرها. ولم يستقر رأيي بعد على ما إذا كنت أقوم باستغلالها أو أقوم ببيعها. إن الأرض تصلح للأغراض الصناعية كما يمكن شغل القصر بمدرسة أو بدار حضانة. إنني لفي حيرة من أمري. ماذا تريْن؟

– إن المزرعة لم تصبح لك بعد.

– ولكنني سأمتلكها في يوم ما. إنها ستؤول إليّ برمتها، ولن تُقسَّم إلى أنصبة مجزأة كغيرها. إنها تمثل رأس مال محترم. فكري في ذلك.

– لقد فهمت أنك ممن لا يأبهون بالمال.

– إن المال لا يعنيني ما دام بعيداً عن متناول يدي، وهذا خير ما يمكن أن يتحلى به المرء من صفات. ما أروع حسنك! أم تريني أعتقد هذا؛ لأنني لم أر من النساء الجميلات الكثيرات طوال فترة إقامتي في الخارج؟

– أرجح ذلك.

– هل ما زلت عاكفة على رعاية الكل والقيام على خدمتهم؟

– هذا هو واجبي.

– هل تم التحقيق في وفاة "**ألفريد**"؟

– كلا، لقد تأجل.

– لكن رجال الشرطة في حيرة من أمرهم. هذا القسم الجماعي مما يدير الرءوس فعلا. يحسن بك أن تتوخي الحذر يا فتاتي.

– وهذا ما أضعه نصب عيني فعلاً.

– هل عاد "**ألكسندر**" إلى مدرسته؟

– أعتقد أنه ما زال مقيماً مع آل "**ستودارت وست**". وأظن أن المدرسة ستفتح أبوابها بعد غد. وقبل أن تتناول "**لوسي**" غداءها، اتصلت تليفونيًّا بالآنسة "**ماربل**":

– إنني جد آسفة لعدم استطاعتي زيارتك في هذه الأيام.

– بكل تأكيد يا عزيزتي، بكل تأكيد. عذرك معك، إضافة إلى أنه لا يوجد ما يدعو إلى اتصالنا في هذه الأيام. ليس علينا إلا أن نترقب وننتظر.

– وماذا ننتظر؟

– عودة "**إليزابيث جيليكودي**" من "**سيلان**". لقد كتبت لها بضرورة العودة إلى الوطن فوراً. وقلت لها إن هذا واجب عليها. أرجو ألا يستبد بك القلق. صبراً.

– هل ترين... ولكن "**لوسي**" أمسكت عن الكلام.

– أنه ستقع جرائم أخرى؟ أرجو ألا يستجد شيء من هذا القبيل. من يدري؟ إن الإنسان لا يعلم الغيب، أليس كذلك؟ إن الانحراف لا مقوم له. إنه نزعة خطيرة.

– هذا ما يقولونه تبريراً لجرائم الانحراف. ولكنني لا أقر هذا الرأي. وانتهت المحادثة التليفونية وعادت "**لوسي**" إلى المطبخ استعداداً لتناول طعام غدائها ووجدت أن السيدة "**كيدر**"تتأهب للانصراف. فقالت لـ "**لوسي**" :

– أرجو أن أراك بخير.

– بكل تأكيد سترينني بخير. وابتسمت "**لوسي**"، وحملت طعامها إلى غرفة المكتب الصغيرة. وما كادت تفرغ من طعامها حتى فتح الباب وأقبل "**بريان إيستلاي**". فقالت له:

– أهلاً، لم أتوقع مجيئك.

– هذا ما كان مفروضاً. كيف حالهم جميعاً؟

– أحسن، سيعود "**هارولد**" إلى "**لندن**"غداً.

– ماذا ترين فيما حدث؟ هل تصدقين قصة الزرنيخ؟

– لقد ثبت ذلك بصفة قاطعة.

– ألم تنشر الصحف شيئاً عن هذا الحادث بعد؟

– كلا، أعتقد أن الشرطة رأت عدم إذاعة شيء عن الحادث مؤقتاً لمصلحة التحقيق.

– إن ثمة من يريد شراً بالأسرة. تُرى من عساه أن يكون هذا الشخص؟

– يمكن أن تضعني على رأس قائمة المشبوهين. وتأملها "**بريان**"قبل أن يقول لها:

– ولكنك لست ممن يقدمن على هذا. إني أعني من عساه أن يكون هذا الشخص الذي عبث بالطعام عن عمد؟ الشخص الذي يتوفر لديه الدافع؟

– لقد قمت بإعداد الطعام وحملته بنفسي إلى المائدة التي كان يجلس إليها

خمستهم. هل قدمت لتقيم فترة ما؟

– هذا ما أعتزمه. أرجو ألا أكون مصدر إزعاج.

– كلا ألبتة.

– لا عمل لي في هذه الأيام. ولقد ضقت ذرعًا بوضعي هذا. هل توافقين على إقامتي لفترة ما؟

– لست من يملك الموافقة من عدمها. إنها "**إيما**" من تملك هذا.

– إن "**إيما**" رقيقة الإحساس ترحب بي دائمًا. إنها بطلة. بطلة؛ لأنها تطيق الحياة هنا راضية، وتقوم بواجبها نحو الرجل العجوز بإخلاص وعن طيب خاطر، وإني لأشفق عليها من هذه الحياة ومن بقائها إلى اليوم دون زواج. أظن أنه قد فاتها القطار.

– كلا. لست من رأيك. إنها لم تبلغ بعد هذه المرحلة.

– ربما. قد تتزوج بأحد رجال الدين. إنها ستكون خير زوجة لمثل هذا الرجل.

ونهضت "**لوسي**" تجمع بقايا طعامها. فقال لها "**بريان**":

– سأتولى هذا عنك. وغادر الغرفة إلى المطبخ. وعرض عليها أن يساعدها في عملها قائلاً:

– إنني أحب هذا المطبخ، وأحب هذا البيت، وإن كان من طراز قديم. إنني أحب أراضيه الشاسعة، وقاعاته الفسيحة. وشرع يعاونها في تنظيف الأواني والصحاف. واستطرد في حديثه عن القصر والمزرعة قائلاً:

– إنه سيؤول إلى "**سيدريك**"، و"**سيدريك**" ليس بالرجل الذي يقدر هذا القصر حق قدره. إنه سيقوم ببيعه ثم يغادر البلاد إلى الخارج حيث تحلو له الإقامة، و"**هارولد**" هو الآخر لا يحب هذا القصر، وليس من شك في أنه أكبر من أن تقيم فيه "**إيما**" بمفردها. فإذا ما قدر أن يكون هذا القصر من نصيب "**ألكسندر**"؛ فإننا سنسعد بالإقامة فيه كخير ما يكون أب وابن. وبديهي أن هذا القصر سيحتاج بشدة إلى سيدة تبعث البهجة في أرجائه الموحشة. وتطلع إلى "**لوسي**" مليًّا، ثم

استطرد قائلاً:

– ليس من جدوى في مثل هذا الحديث. إن الأمل في أن يصبح هذا القصر من نصيب "ألكسندر"، يعني تمني الموت لجميع أفراد الأسرة، وهو من الأمور المستبعدة، ثم لا تنسي الرجل العجوز الذي قد يمتد به العمر إلى سن المائة. أظن أنه لم يحزن كما يجب لموت ولده "ألفريد".

– كلا البتة.

– ياله من شيطان عجوز!

- 23 -

بدأت السيدة "كيدر" تثرثر بقولها:

– إن ما يتقول به الناس مفزع شائن. إنني لا أوليهم أذنًا مصغية؛ لأنني لا أصدق ما يقولون. فقالت لها "لوسي":

– هذا هو المفروض.

– يقولون عن هذه الجثة التي وجدت في التابوت، إنها لفتاة كان "إدموند" مغرمًا بها إبان الحرب، وإنها عندما قدمت لزيارة الأسرة تبعها زوجها الغيور وقتلها. إن هذا لم يكن مستبعداً إذا ما وقع في الماضي. أما أن يحدث هذا بعد انقضاء هذه الأعوام...

– إنه من الأمور المستبعدة فعلاً.

– ثمة ما هو أسوأ من ذلك مما يتقولون به. إنهم يلقون القول على عواهنه. إنهم يقولون إن السيد "هارولد" كان متزوجًا بأجنبية في الخارج، وأنها قد زارت هذه البلاد واكتشفت أنه متزوج بأخرى، هي السيدة "أليس"، وإنها كانت ستبلغ أمره للقضاء، وإنه اضطر إلى قتلها وإخفاء جثتها في التابوت.

– يا لبشاعة هذه الشائعات!

– إنني لا أعيرهم أذنًا مصغية، كما قلت لك. وإنني لأتساءل كيف يبيح الناس

لأنفسهم التفكير في مثل هذه الأقاويل، ناهيك عن إذاعتها بين الناس. إن كل ما أرجوه، ألا تبلغ هذه التخرصات سمع الآنسة "**إيما**" . إن من شأن هذه الشائعات أن تسيء إليها إساءة بالغة. إنها سيدة رقيقة، لطيفة المعشر، لا تشوب سمعتها شائبة.

– لعلك قد ساءك كثيراً أن تصغي لهذه الأقاويل؟

– أجل. وهذا ما كان من أمري فعلاً. ولطالما أفضيت إلى زوجي بمشاعري هذه. وسمعتا رنين جرس الباب الخارجي، فقالت السيدة "**كيدر**" :

– إنه الطبيب. هل ستفتحين الباب له، أم أقوم عنك بهذا ؟

– إنني ذاهبة إليه.

ولكن القادم لم يكن الطبيب. وأمام الباب كانت تقف سيدة ممشوقة القد، ترتدي معطفًا من فراء المنك، وكانت تقف أمام شرفة الباب سيارة (رولز) فخمة، يجلس إلى عجلة قيادتها سائق مهيب الطلعة. وبادرت السيدة "**لوسي**" قائلة:

– هل يمكن أن يسمح لي بمقابلة الآنسة "**إيما كراكنثورب**"؟ وكانت لنبرات صوتها رنة جذابة. وكانت للسيدة أيضًا جاذبية أخاذة. وكانت في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها، سوداء الشعر، معنية بزينتها.

– آسفة. إن الآنسة "**كراكنثورب**" مريضة، طريحة الفراش.

– أعرف هذا. غير أنني يجب أن أراها لأمر بالغ الأهمية.

– أخشى...

–أرجح أنك الآنسة "**إيلزبارو**" ، أليس كذلك؟ لقد حدثني ولدي عنك. إنني الليدي "**ستودارت وست**"، و"**ألكسندر**" يقيم معنا الآن.

– آه ! فهمت.

– وكما قلت لك، يجب أن يتم هذا اللقاء لأهمية السبب الداعي إليه. إنني أعرف كل شيء عن مرضها وعن الظروف المحيطة بها. إن زيارتي ليست زيارة

اجتماعية. إنها بسبب ما سمعته من الصبيين. أو على وجه التحديد ما سمعته من ولدي. إن ما أخبرني به من الأهمية بمكان، وأحب أن أتحدث به إلى الآنسة "**كراكنثورب**"... أرجو أن تستفسري منها.

– تفضلي بالدخول... سأصعد لعرض الأمر على الآنسة "**كراكنثورب**".

وتقدمت "**لوسي**" الزائرة إلى غرفة الاستقبال. وارتقت الدرج إلى الطابق العلوي، وطرقت باب غرفة الآنسة "**إيما**"، ثم دخلت قائلة:

– الليدي "**ستودارت وست**" هنا. وهي تلح في الاجتماع بك على انفراد.

– الليدي "**ستودارت وست**"؟! هل حدث شيء لـ "**ألكسندر**"؟

– كلا. كلا... إنه بخير. إنها تقول إن زيارتها المفاجئة بسبب ما سمعته من الصبيين.

– حسنًا. ربما كان من الخير استقبالها. هل أبدو بخير، وعلى ما يرام؟

– كما تبدين دائمًا رائعة ودودًا. واستقامت "**إيما**" جالسة في فراشها، وحول كتفيها وشاح قرمزي اللون، انعكست حمرته على وجنتيها ثم قالت:

– إنني أحسن حالاً بكثير. لقد قال الدكتور "**كيمبر**" إنه سوف يتسنى لي النهوض غداً من الفراش.

– لقد استعدت صحتك ولون بشرتك. هل أذهب لأعود بالليدي "**ستودارت وست**"؟

– أجل. إنني في انتظارها.

وعادت "**لوسي**" بالزائرة، وفتحت الباب لها، ثم أوصدته من ورائها وانسحبت. واقتربت الليدي "**ستودارت وست**" من الفراش مادة يدها:

– الآنسة "**كراكنثورب**"؟ أعتذر لإزعاجك. أعتقد أننا سبق أن التقينا في إحدى الحفلات الرياضية بالمدرسة.

– أجل. أذكر هذا جيداً. تفضلي بالجلوس. وجلست الزائرة فوق المقعد القريب

من الفراش. وبدأت حديثها بصوت خفيض:

– لعلك تتساءلين عما حدا بي إلى زيارتك في هذا الوقت غير المناسب، غير أن لديَّ ما يبرر ذلك. لقد سمعت من الصبيين أشياء مثيرة. لقد تصادف اكتشاف أمر الجثة التي عثر عليها في التابوت في أثناء وجودهما هنا. وأصارحك بأنني استأت لهذه المصادفة التعسة. وكنت أود لو استدعيت "**جيمس**" فوراً. غير أن زوجي سخر مني وقال لي إنه واضح أن ليس للجريمة علاقة بالبيت أو الأسرة، وإنه من القسوة استدعاء الصبيين وحرمانهما مما ينعمان به من تغيير. وهكذا وافقت على ما رآه إلى أن تنتهي الفترة المحددة لإقامتهما هنا.

– هل كنت تتوقعين أن نعيد إليك ولدك؟

– كلا، كلا. إن ما جئت من أجله هو أكثر أهمية. لقد التقطت آذان الصبيين الكثير مما دار هنا. فقد قالا لي إن هذه المرأة– المجني عليها– يُظن بأنها فرنسية، كان شقيقك الأكبر على صلة بها في أثناء وجوده في "**فرنسا**" إبان الحرب. هل هذا صحيح؟

– إنه ليس سوى احتمال، لم نجد أقرب منه ترجيحًا.

– هل يوجد من سبب لترجيح أن الجثة لتلك الفتاة التي تدعى "**مارتين**"؟

– قلت لك إنه يرجح ذلك.

– ولكن ما الذي يدعوهم– أي رجال الشرطة– إلى ترجيح ذلك؟ هل وجدوا معها أوراقًا أو رسائل؟

– كلا. لم يعثروا على شيء من هذا القبيل. ولكن "**مارتين**" هذه، كانت قد بعثت إليّ برسالة.

– هل تلقيت رسالة من "**مارتين**"؟

–أجل. رسالة تقول فيها إنها موجودة في "**إنجلترا**"، وإنها تود لو حضرت لزيارتنا. وقد دعوتها لزيارتنا. غير أنني تلقيت برقية منها تتضمن أنها مضطرة إلى

العودة إلى " **فرنسا** " ، وربما تكون قد عادت إلى " **فرنسا**. " هذا ما ليس لنا علم به، ثم عُثر على خطاب هنا كان معنونًا باسمها. الأمر الذي يدل على أنها قدمت إلى هنا فعلاً. ولكنني في الواقع لست أدري... وتوقفت "**إيما**" فجأة عما كانت بسبيل قوله. وأسرعت الليدي "**ستودارت وست**" تستكمل ما تبينت أن "**إيما**" كانت بسبيل قوله:

– ولكنك لا ترين ماذا يعنيني من هذا كله؟ هذا صحيح. وما كنت لأقول غير هذا لو كنت في مكانك. غير أنني عند سماعي لهذه القصة، رأيت من واجبي أن أسرع بزيارتك؛ لأنها لو...

– نعم؟

– إذن، فيجب أن أحيطك علمًا بما لم أكن أعتزم الإفضاء به إليك... إنني "**مارتين**" ! وحملقت "**إيما**" إلى الضيفة وكأنها لا تعي ما سمعت.

– أنت! أنت "**مارتين**" ؟!

– أجل. إن هذا يثير دهشتك دون أدنى شك، ولكنه الحق الصراح. لقد التقيت بشقيقك "**إدموند**" في الأيام الأولى من الحرب... وكان يقيم بمنزلنا. أحب كل منا الآخر، واعتزمنا أن نعقد زواجنا. ثم كان انسحاب القوات البريطانية إلى "**دنكرك**" . وبعد ذلك قالوا إن "**إدموند**" من المفقودين، ثم علمنا بعد ذلك أنه من بين القتلى. ولن أعيد على سمعك تفصيل هذه الذكريات المؤلمة. لقد انقضى كل شيء ومضى ليغدو تاريخا. غير أنني أحب أن أصارحك القول بأنني كنت أحب شقيقك من كل قلبي. ثم تتالت الأحداث. واحتل الألمان " **فرنسا** " . واشتركت مع بني وطني في أعمال المقاومة، وكنت من بين من عهد إليهم بمساعدة الإنجليز في السفر إلى بلادهم عبر "**فرنسا**" . وهكذا تم اللقاء بيني وبين زوجي الحالي وكان ضابطًا بالقوات الجوية، هبط بالمظلة في "**فرنسا**" لمهمة عهد بها إليه. وبانتهاء الحرب عقدنا زواجنا. وقد دار بخلدي أن أكتب لك، ولكنني عدلت

في نهاية الأمر عن هذا ولم أجد ثمة جدوى بعد اندمال جرحكم. غير أنني شعرت بسرور طاغ حينما علمت بأن لولدي زميلاً بالمدرسة هو ابن شقيقة "**إدموند**". إن "**ألكسندر**" قريب الشبه بـ "**إدموند**"، ولعلك تبينت هذا بنفسك. وكنت سعيدة بصداقتهما التي تتوثق عراها. ومدت يدها تربت بها ذراع "**إيما**" قائلة:

– وحينما سمعت بهذه القصة، وعن احتمال أن تكون المجني عليها هي "**مارتين**"، رأيت لزامًا عليّ أن أسرع بزيارتك وإحاطتك علمًا بكل الحقيقة؛ لكي تتضح الأمور لك. ومن المتعين الآن أن تقوم إحدانا بإبلاغ الشرطة بهذه الواقعة الجديدة، ومن هنا يمكن أن تضيق الشرطة نطاق تحرياتها، بعد أن يتحققوا من أن المجني عليها ليست "**مارتين**" صديقة "**إدموند**".

– إنني أكاد ألا أصدق ما أسمع وإنني لا أصدق الآن أنني أمام "**مارتين**" التي كتب لي عنها "**إدموند**". معذرة... إن المفاجأة تكاد أحيانًا أن تجعل من الحقائق أحلامًا. ثم أسندت رأسها إلى الوسائد، وهي تزفر بحرارة، وبعد قليل قطبت جبينها قائلة:

– إن ثمة ما لم أدركه بعد. تُرى، هل كانت هذه الرسالة التي تلقيتها منك؟

– كلا... كلا... إنني لم أحرر هذه الرسالة أو غيرها، لقد قلت لك إنني قررت عدم محاولة الاتصال بك.

– إذن؟

– إذن فهناك من ادَّعت أنها "**مارتين**" بهدف الحصول على مبلغ من المال، أو استغلال ما توصلت إليه من معلومات، وهذا هو التفسير الوحيد لما كان. تُرى من عساها تكون؟

– لابد من أن يكون هناك من كان يعلم بأمركما؟

– ربما، وإن كنت لا أذكر أنه كانت لي صلة وثيقة بأحد، كما أنني واثقة بأنني لم أتحدث إلى أحد بهذا الأمر منذ قدومي إلى "**إنجلترا**". إنها لمشكلة معقدة!

– مشكلة لا أدرك لها كنهًا. سنرى ما وجهة نظر المفتش "**كرادوك**" في هذه المشكلة بعد اطلاعه على هذه المعلومات الجديدة. إنني سعيدة بهذا اللقاء، والتعرف إليك أخيراً...

– وهذا هو شعوري لطالما حدثني "**إدموند**" عنك. لقد كان يحلك من قلبه مكانًا ممتازاً. صحيح أنني سعيدة بحياتي الجديدة، ولكني لا أنسى هذا الماضي العزيز.

– لقد أزحت عن صدري عبئًا ثقيلاً. لقد كنت أخشى أن تكون المجني عليها هي "**مارتين**"، مما يستتبع أن تكون للأسرة صلة بهذه الجريمة. ولقد كان لك الفضل في إزاحة هذا الكابوس عن صدري ولا أعرف من عساها أن تكون المجني عليها التعسة، لكن ما أعرفه أنه لا صلة لنا بهذه الجريمة!

- 24 -

أقبلت سكرتيرة "**هارولد كراكنثورب**" المواظبة تحمل إليه قدحَ شاي بعد الظهر المعتاد فشكرها وقال لها:

– سأعود اليوم مبكراً إلى المنزل.

– كان من المفروض ألا تحضر اليوم إلى المكتب. إن حالتك الصحية لم تزل على غير ما يرام.

– إنني أحسن بكثير.

وراح يتساءل فيما بينه وبين نفسه كيف قُدِّر لـ"**ألفريد**" أن يقتله السم ولوالده العجوز أن يقاوم وينجو، هذا الرجل البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا على الأقل، والذي قضى أعوامًا عليلاً. لئن كان لابد وأن يقضي الزرنيخ على أحد، فكان من البديهي أن يكون الرجل المريض أول من يتأثر به، أما أن يكون "**ألفريد**" الشاب الصحيح القوي، فأمر يدعو إلى التساؤل والعجب.

واسترخى في مقعده. هذه الفتاة كانت محققة فيما قالت. إنه لم يستعد بعد صحته، ولكنه شعر بالحاجة إلى التواجد في محيط عمله. وراح يتطلع إلى أثاث مكتبه الفاخر الذي يدل في ظاهره على ما يلقاه صاحبه في عمله من ازدهار ونجاح. وحمد الله أن الناس لم يرتابوا لحظة في استقرار حالته المالية، وما زالوا يثقون بمتانة مركزه المالي تلك الثقة التي إذا ما توفرت مهدت السبيل لكل ذي شأن لكي يجتاز ما تعرض له من أزمة في هدوء وثبات، ولقد كان قاب قوسين أو أدنى من حل مشكلاته المالية، لو كان قدر لوالده أن يحل محل **"ألفريد"** في انتقاله إلى العالم الآخر. لقد كان في وفاة والده ما يقضي على كل متاعبه. لقد تخلص **"ألفريد"** من متاعبه بالموت. لقد كانت حياته حياة مضطربة غير مستقرة، وكثيراً ما كان يلجأ في سبيل العيش إلى صفقات مريبة كانت تقترب به من حافة الهاوية، ولكنه كان ينجو من التردي فيها بفضل ذكائه وحرصه. لقد استراح **"ألفريد"** وأراح . استراح من حياته الفاشلة غير الموفقة وأراح أشقاءه بما سيرتفع به نصيبهم من تركة جدهم بعد وفاة والدهم.

ونهض **"هارولد"** راضي النفس. والتقط قبعته ومعطفه وغادر مكتبه، معتزماً الا يرهق نفسه بالعمل ليوم أو اثنين ريثما يستعيد صحته. واستقل سيارته وسرعان ما كان في منزله. وفتح له الباب خادمه **"داروين"** قائلاً:

- لقد وصلت سيدتي توًّا. فحملق إليه **"هارولد"** دهشًا:

- **"أليس"** ! رباه!

هل كان من المفروض أن تعود اليوم، لقد أنسته الأحداث كل ما عداها. أحسن **"داروين"** صنعًا بإحاطته علمًا بوصولها، فلم يكن من اللائق أن يبدي دهشته لوصولها وأنه قد فوجئ بذلك... إنها مسألة مجاملات لا أكثر ولا أقل، أما من الناحية العاطفية فلا يوجد بينه وبين **"أليس"** حب متبادل على الأقل من جانبه. ربما كانت **"أليس"** مغرمة به؛ أما هو فلا! بل إنه لضائق بها صدره. لقد كان زواجه

منها زواج الرجل الذي استهدف الارتباط بأسرة من ذوات الألقاب تدعيمًا لمركز أبنائه، وها هو لم يرزق بذرية وتقدم بهما العمر وأصبح يشعر بالملل. لقد رحب برغبتها في قضاء فترة بـ" **الريفييرا**" إبان فصل الشتاء، ووجد أن الفرصة مناسبة له مادامت مناسبة لها. وارتقى الدرج إلى حيث حياها قائلاً:

– آسف لعدم ذهابي لاستقبالك لكثرة مشاغلي بالعاصمة، ولقد حرصت على العودة مبكرًا بقدر ما أستطيع، لعلك سعدت برحلتك .

وراحت تسرد على مسمعه بعض ما سعدت به. وكانت الليدي "**أليس**" سيدة نحيفة القوام، شقراء، ذات أنف أقنى، وعينين عسليتين، وكانت تتحدث في صوت ممل متعال رتيب النبرات، وحكت له ما عانته في عودتها في أثناء عبورها بحر "**المانش**" وما ضايقها به رجال الجمارك في "**دوفر**"، فعقب "**هارولد**" قائلا:

– لماذا لم تعودي بطريق الجو؟

– لست أحب السفر جواً. إنني أضيق بالطائرات؛ لأنها تجعلني عصبية المزاج.

– ولكنها توفر كثيرًا من الوقت.

وآثرت الليدي "**أليس كراكنثورب**" ألا تعقب بشيء. إن مشكلتها هي كيف تشغل وقتها وليس كيف توفره. إن الفراغ هو مشكلة حياتها. واستفسرت من زوجها عن صحته ثم قالت:

– لقد أزعجتني برقية "**إيما**" وإصابتكم جميعًا!

– أجل. أجل.

– لقد قرأت في الصحف منذ يومين عن أربعين شخصًا أصيبوا بالتسمم إثر تناول إحدى الوجبات في أحد الفنادق. إن بعض الناس يُخَيَّل إليهم أن الثلاجات الكهربائية تحفظ الأطعمة إلى الأبد ومن هنا تنقلب منافعها أحيانًا إلى مضار.

– ربما.

ترى هل يخبرها بموضوع الزرنيخ أم يمسك عن الكلام في هذا الموضوع؟ غير أنه

آثر أن يلوذ بالصمت على الأقل في هذه اللحظة بالذات. إن عالم "**أليس**" لا يعرف القتل بالزرنيخ. إنها جريمة يقرؤون عنها في الصحف فقط. إنها من الجرائم التي لا تقع في محيطهم العائلي.

وتوجه إلى غرفة نومه حيث اضطجع لساعة أو اثنتين قبل أن يرتدي ثياب العشاء، وجرى الحديث بينه وبين زوجته حول رحلتها وأيام إقامتها بـ "**الريفييرا**" ومن التقت بهم من شخصيات في "**سان رافابيل**". وقالت له "**أليس**":

– ثمة لفافة تنتظرك فوق خوان البهو.

– إنني لم أرها.

– لقد سمعت من أحدهم عن العثور على جثة امرأة مقتولة في مخزن أو شيء من هذا القبيل. وقيل إنها وجدت بـ "**روز فورد هول**". أعتقد أنها "**روز فورد هول**" أخرى.

– كلا... ليس ثمة "**روز فورد هول**" أخرى. لقد وجدت في المخزن الملحق بقصرنا.

– حقًّا... امرأة مقتولة في مخزن بـ "**روز فورد هول**"، ولم تحدثني بشيء عنها؟

– لم يكن ثمة متسع من الوقت، ولم يكن الموضوع باللائق أن نبدأ به لقاءنا بعد عودتك مباشرة، ثم إن هذه الجريمة لا علاقة لنا بها بكل تأكيد.

– حادث مؤسف، هل اكتشفوا الفاعل؟

– كلا، ليس بعد.

– أي طراز من النساء كانت؟

– يرجحون بأنها فرنسية ولم يعرف عنها شيء أكثر من هذا.

– فرنسية؟ مهما يكن من أمر فقد كان هذا الحادث مصدر إزعاج لكم جميعًا.

وفرغا من تناول العشاء، وتوجها إلى غرفة المكتب حيث أمضيا فترة قصيرة

نهض بعدها "**هارولد**" إلى البهو ليلتقط اللفافة التي حدثته بأمرها زوجته. وكانت لفافة صغيرة محكمة، وعاد بها إلى مقعده بجوار المدفأة ثم شرع يفضها. ووجد بداخلها علبة أقراص صغيرة دُون عليها: «قرصان كل مساء»، ومع العلبة وجد قصاصة من الورق كتب عليها تحت اسم الصيدلي في "**براكها مبتون**": «مرسلة بناء على طلب الدكتور "**كيمبر**"».

وعقد "**هارولد كراكنشورب**" ما بين حاجبيه. وفتح الصندوق وتأمل الأقراص. ووجد أنها تشبه ما كان يتعاطاه منها. غير أن "**كيمبر**" قال إنه لم تعد به حاجة بعد لتعاطيها. وانبرت "**أليس**" تسأله:

– ماذا بك يا عزيزي؟ إنك تبدو قلقًا.

– إنها بعض أقراص كنت أتعاطى منها ليلاً.

– لعلك أسأت فهم ما يعنيه الطبيب.

– ربما! لست أدري!

– غير أنني أذكر أن الطبيب أمر بعدم الاستمرار في تعاطيها.

وتطلع إليها ووجد أنها تتأمل حركاته، وتساءل فيما بينه وبين نفسه عما يجول في خاطرها. إن نظراتها المتأملة لا تحكي له شيئًا. إن عينيها كانتا دائمًا أشبه بنافذتين في بيت خالٍ. تُرى ماذا تظن به "**أليس**"؟ وما شعورها نحوه؟ ترى هل كانت تحبه في يوم ما؟ ورجحت لديه كفة هذا الخاطر الأخير. أم تراها قد تزوجت به بناء على اعتقادها بأنه رجل أعمال ناجح من رجال "**لندن**"؟ ومهما يكن من دوافع زواجها به فقد كانت كفتها هي الراجحة. إن لديها سيارة وأصبح لها منزل في "**لندن**"، وإنها لتستطيع السفر إلى الخارج حيثما شاءت ومتى أرادت، وأن تقتني من الثياب ما يحلو لها. فماذا كانت تبغي أكثر من ذلك؟

وطاف مع خياله يستعرض حياته الزوجية وما لابسها من ظروف إلى أن انتهى به المطاف إلى عدم إنجابه لذرية ما، وتبادر إلى ذهنه أن أحداً من الأسرة لم ينجب

بخلاف شقيقته التي لم تستمع لنصيحته وأسرعت بزواجها بـ "**بريان**" . لقد قال لها فيما قال: "إنك ترين فيه الربان المقدام الشجاع، ولكن هذا لن تريه منه في زمن السلم. إنهم يبدون كذلك فقط في أيام الحرب. إنه لن يستطيع أن يعولك" .

لكن شقيقته لم تعره أذنا مصغية، وأعرضت عن نصيحته؛ إذ إن هذا كله لا يعنيها في كثير أو قليل. إنها تحب "**بريان**" و"**بريان**" يحبها، وحسبها من الحياة هذا الحب المتبادل. أما المستقبل فلا يعنيها منه شيئًا. إن الحاضر لها وهي تريد أن تسعد به، ومن يدري؟ فربما قدر لـ "**بريان**"أن يلقى مصرعه في الحرب وحينئذ فحسبها من الحياة ما سعدت به من لحظات، فإذا ما قدر له النجاة فمستقبلهما– على أسوإ الفروض– مضمون بما سترثه عن جدها.

وتحرك "**هارولد**" حركة نمت عما تختلج به نفسه من قلق، هذه الوصية التي قيدتهم جميعًا، تلك الوصية التي لم تُرض أحداً. إنها وصية معقدة من طراز خاص. وشعر "**هارولد**" بالإرهاق والضيق بعد أن تجمعت عليه هذه الخواطر التي تؤرق باله.

وكانت "**أليس**" لا تحول عنه عينيها، وضاعف من قلقه ما تبينه من عينيها المتسائلتين فقال لها:

– سآوي إلى فراشي، هذا هو اليوم الأول لي بعد مغادرتي الفراش.

– هذا أفضل... وأعتقد أن الطبيب قد أشار عليك بالتزام الراحة ولا تنس الأقراص. والتقطت العلبة وناولته إياها.

وبعد أن ألقى إليها بتحية المساء ارتقى الدرج إلى غرفة نومه. إنه يحتاج بشدة إلى هذه الأقراص، وابتلع قرصين قبل أن يأوي إلى فراشه.

*****

- 25 -

– ما أظن أحداً كان ليفسد الأمور بأسوإ مما أفسدتُها به.

قال "**درموت كرادوك**" هذا وهو متجهم الوجه، ضائق الصدر بينما كان جالسًا في مقعده بمسكن "**فلورنس**" المزدحم بأثاثه، وكان مجهداً منهاراً. وراحت الآنسة "**ماربل**" تهدئ من ثائرته، وتسري عنه بقولها في بهجة رقيقة:

– كلا، كلا... لقد بذلت أقصى ما في وسعك، ولقد أحسنت صنعًا ولم تفسد شيئًا.

– هكذا... لقد قمت بعملي خير قيام أليس كذلك؟ وهكذا تركت أسرة بجميع أفرادها تتعرض لحالة تسمم، ثم يقضي "**ألفريد**" نحبه ومن بعده "**هارولد**" أمام عيني، وأنا القائم على تحقيق القضية ومن عهد إليه بحمايتهم، تُرى ماذا يجري هناك؟ هذا ما أود أن أعرفه. كيف فاتني اكتشافي أمره؟ فلو لم أعجز عن ذلك لما تتالت تلك الجرائم، وها هو لم يزل حرًا طليقًا. من يدري؟ وقالت الآنسة "**ماربل**" وهي شاردة الفكر:

– أقراص من السم؟!

– أجل... يا للشيطان الماكر! كانت تبدو شبيهة بتلك التي كان يتعاطاها ومرفق بها قصاصة ورق طُبع عليها: "بناء على تعليمات الدكتور "**كيمبر**". واتضح أن "**كيمبر**" لم يأمر أو يوصي بها. واستعمل القاتل العلامة المميزة للصيدلي الذي لم يعرف شيئًا عن هذه الأقراص هو الآخر. إن هذه العلبة مصدرها "**روز فورد هول**".

– هل ثبت لديك هذا؟

– أجل، لقد قمنا بالتحري وتقصي الحقيقة، ولقد اتضح أن العلبة هي بذاتها التي كانت تحوي الأقراص المهدئة التي كانت تتعاطاها "**إيما**".

– أجل، وقد وجدنا بصمات أصابعها على العلبة، كما وجدنا بصمات أصابع

الممرضة والصيدلي ولم نتبين بصمات أخرى. إن من بعث بالأقراص المميتة كان حريصًا فطنًا.

– وهل أفرغت العلبة من الأقراص المهدئة لتحل محلها الأخرى؟

– هذا ممكن. وماذا كان نوعها؟

– أقراص "**الأكونايت**" السامة، وهي مما يودع في صوان العقاقير السامة وتذاب للاستعمال من الظاهر.

– وهكذا كانت القاضية على "**هارولد**".

– أرجو أن تغفري لي ما نفثت به عن نفسي، وأفضيت به إليك. لقد كنت أشعر بأنني محتاج بشدة إلى أن أبثك شجوني وما يضيق به صدري.

– لقد أحسنت صنعًا، وإني لمقدرة لك ثقتك بي. إن شعوري نحوك يتفق مع شعورك الذي دفعك إلى الالتجاء إليّ.

– ولكنني كنت الشرطي العاقل. لقد اتصل رئيس الشرطة المحلي بـ"**اسكتلانديارد**" يفزع إليّ، وهأنذا أخيب ظن الناس في "**اسكتلانديارد**".

– كلا، كلا، لا تقل هذا. إنك متحامل على نفسك.

– كيف؟ كيف ولم أوفق في الاهتداء إلى من بعث بالأقراص إلى "**هارولد**"؟ ومن قبل لم أوفق في الكشف عن شخصية قتيلة التابوت. لقد كنا نعلق آمالاً كبيرة على احتمال أن تكون المجني عليها هي "**مارتين**"، ثم يتضح أن "**مارتين**" على قيد الحياة وتقيم في "**إنجلترا**" زوجة للسيد "**روبرت ستودارت وست**" إذن فمن عساها أن تكون الفتاة القتيلة؟ الله وحده يعلم ولا تنسي ما سبق من اعتقاد بأنها جثة "**ستيرافنسكا**" ثم ما اتضح من أنها هي الأخرى على قيد الحياة تنعم برحلتها البحرية! وأسكته سعال الآنسة "**ماربل**" الذي كان له دلالته:

– هل هذا صحيح؟ وحملق "**كرادوك**" إلى وجهها قائلاً:

– تلك البطاقة من "**جامايكا**"؟

– أجل. وهل هي بالدليل القاطع؟ أعني أن كل إنسان في وسعه أن يحصل على بطاقة من أي بلد. أذكر أنه كانت لي صديقة تدعى السيدة "**برايرلي**" وكانت قد أصيبت بانهيار عصبي، وأشير عليها في أثره إلى أن تعالج في إحدى المستشفيات العقلية. وكانت قلقة جداً من أجل أبنائها، مشفقة أن يعلموا بذلك الأمر الذي حدا بها إلى تحرير حوالي أربع عشرة بطاقة دبرت أمر إرسالها من عدة بلاد في الخارج. وقالت لأبنائها إنها ستقوم برحلة إلى الخارج، لعلك أدركت ما أعنيه.

– أجل بكل تأكيد. لقد كان من المفروض أن نتحرى حقيقة هذه البطاقة لو لم نكن مقتنعين بموضوع "**مارتين**".

– وكان هذا في صالح القاتل.

– لقد كان ارتباط الأحداث محكماً ومنطقياً، فهذه الرسالة التي تلقتها الآنسة "**إيما**" على أنها من "**مارتين كراكنثورب**" لم تبعثها الليدي "**ستودارت وست**"، غير أن شخصاً ما قد بعث بها، وهذا المرسل كان يدعي بأنه "**مارتين**". فمن يا ترى كان المستفيد من هذا الادعاء؟ هذا ما رجح لدينا موضوع "**حنة**" بادىء ذي بدء.

– أجل أدرك ما تعني.

– ثم هذا الظرف المرسل إلى "**مارتين**" في "**لندن**" بخط "**إيما**" والذي عُثر عليه في "**روز فورد هول**"، مما يستتبع ترجيح زيارتها لـ "**روز فورد هول**".

– ولكن الفتاة القتيلة لم تقم بزيارة "**روز فورد هول**"، فكل ما كان هو أنه قد عُثر على جثتها هناك. أي أن جثتها نقلت إلى هناك بعد إلقائها من القطار الذي قتلت به.

– أجل. أجل.

– إن هذا الظرف لا يدل إلاّ على أمر واحد ألا وهو أن القاتل كان في "**روز فورد هول**"، ورأى أن يجردها من هذا الظرف مع ما جردها منه من أوراق وأشياء أخرى،

ثم كان أن سقط منه خطأ أو لعله أسقطه عمداً، ولعلك تذكر أن رجالك ورجال المفتش "**بيكون**" قد قاموا بتفتيش المكان تفتيشًا دقيقًا، ولكنهم لم يعثروا عليه. وبعد ذلك عُثر عليه في غرفة الغلايات.

– هذه واقعة مفهومة يمكن تعليلها، فقد كان من دأب البستاني أن يجمع ما يعثر عليه من أوراق مهملة ويحتفظ بها كوقود.

– حيث وجدها الصبيان بسهولة.

– هل تعنين أن الظرف وضع بحيث يسهل العثور عليه؟

– إنني أحب أن أبحث كل احتمال من جميع جوانبه. لقد كان من المعروف أن الصبيين يقومان بالبحث كل يوم في جهة معينة، ثم ينتقلان إلى غيرها وهكذا. ولا تنسَ أن عثورهما على هذا الظرف قد يحملك على الإقلاع عن التفكير في علاقة "**حنة سترافنسكا**" بالحادث أليس كذلك؟

– يعني هذا أنك ترين أن الجثة لها؟

– إن ما أراه أن شخصًا ما قد أفزعه ما تقوم به من تحريات عنها، وأنه لا يريد مواصلة هذه التحريات.

– إذن فلنعد إلى التسليم بأن شخصًا كان يريد أن ينتحل شخصية "**مارتين**"، ثم عاد وأحجم عن ذلك لسبب ما، فما السبب؟

–إنه لسؤال بالغ الأهمية.

– وأن شخصًا ما بعث ببرقية تتضمن أن "**مارتين**" ستقفل راجعة إلى "**فرنسا**"، ثم دبر أمر سفره معها في القطار حيث قتلها. هل تقرين هذا التسلسل المنطقي؟

– كلا. لا أعتقد هذا. إن الأمر لا يبدو بالبساطة التي أردتها له.

– إنك تزيدين الأمر تعقيداً بقولك هذا! فاعتذرت الآنسة "**ماربل**" بانها لم تتعمد ذلك. فقال "**كرادوك**":

– هيا صارحيني، هل تعرفين من عساها أن تكون المجني عليها؟

– إنه سؤال تتعذر الإجابة عنه فوراً. وأصدقك القول إنني لا أعرف على وجه التحديد من عساها أن تكون المجني عليها، غير أنني –في الوقت نفسه– أشعر بأنني واثقة بمن عساها أن تكون إذا ما أدركت ما أعني.

– أدرك ما تعنينه؟ ليست لديَّ أية فكرة عما تعنينه. ونهض يطل من النافذة ثم استدار قائلاً:

– ها هي "**لوسي إيلزبارو**" مقبلة لزيارتك. حسنًا... إني منصرف الآن. إن حالتي المعنوية لا تساعدني على الاجتماع بمثل هذه الفتاة التي تفيض حيوية، وتشع عيناها ذكاءً، وتتفجر نشاطًا.

- 26 -

بعد أن تبادلت "**لوسي**" والآنسة "**ماربل**" تحيات اللقاء، بادرت "**لوسي**" الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– لقد بحثت عن كلمة "**تونتين**" في القاموس.

وراحت تذرع الغرفة طولاً وعرضًا. وكانت بادية القلق والعصبية وسمعت الآنسة "**ماربل**" تقول لها:

– لقد اعتقدت أنك ستفعلين هذا. وبدأت "**لوسي**" تتحدث على مهل، وكأنها تعيد تلاوة هذه الكلمة من الذاكرة:

– "**لورنزوتونتين**"، مصرفي إيطالي، مؤسس صورة من نظام الراتب السنوي، في عام 1653، يقضي بإضافة أنصبة المشتركين المتوفين إلى ربع أنصبة الأحياء منهم. هذا ما ورد في القاموس أليس كذلك؟ إنه يطابق ما كان يدور في خلدك من قبل ما استجد من جرائم. وجلست الآنسة "**ماربل**" تتأملها في هدوء. ورأت "**لوسي إيلزبارو**" فتاة أخرى غير "**لوسي إيلزبارو**" التي عهدتها من قبل. واستطردت "**لوسي**" قائلة:

– إن الشرح ينطبق على ما نحن بصدده. إن وصية هذا نصها من شأنها أن تورث الباقين على قيد الحياة التركة بأسرها، مع أن الأنصبة الموزعة كانت ثروة في حد ذاتها. أليس كذلك؟

– إن موطن الضعف في الجنس البشري هو الجشع على الأقل في بعض الناس. هكذا بدأت جرائم الحياة، وهكذا واصلت طريقها. إن الإنسان لا يقدم على القتل حبًّا في القتل. إنه يرتكب جريمته لدافع قوي في نفسه. هذا الدافع هو الجشع، والرغبة في تملك كل شيء. ولقد أتيح لي في حياتي الطويلة أن أشترك في إماطة اللثام عن أسرارها، فكانت كلها – باستثناء القليل منها – بدافع من الجشع والحقد، والقاتل يندفع في ارتكاب جرائمه لا يلوي على شيء، ولا تأخذه بضحاياه رحمة ولا شفقة.

– وهكذا شاهدنا بين أيدينا ثلاث جرائم متوالية حتى الآن. ومن يدري... لم يبق سوى ...

– أتعنين أنه لم يبق سوى "**سيدريك**" و"**إيما**"؟

– ليست "**إيما**". إن "**إيما**" ليست رجلاً طويل القامة، أسود الشعر. كلا، بل أعني "**سيدريك**" و"**بريان إيستلاي**"؛ وذلك لأنه شاب رقيق الحاشية، أسمر الشعر. ثم كان هذا اليوم...

– أخبريني بما فوجئت به... لا تتحرجي من الإفضاء إليّ بما يجول في خاطرك وانطباعات نفسك.

– كان ذلك حينما كنت أودع الليدي "**ستودارت وست**"، فبعد أن حيتني منصرفة، استدارت إليّ وهي بسبيل أن تستقل سيارتها قائلة: "من هو هذا الرجل المديد القامة الأسمر الذي كان واقفًا بالشرفة حين قدومي؟"، ولم يتبادر إلى ذهني من كانت تعنيه بقولها هذا؛ لأن "**سيدريك**" كان مازال طريح الفراش. فقلت لها وأنا في حيرة من أمري: «هل تعنين "**بريان إيستلاي**"؟». فقالت: «بكل تأكيد.

إنه هو قائد السرب "**إيستلاي**"... لقد لاذ بمنزلنا هربًا إبان المقاومة. إنني أعرفه من قامته وكتفيه. بودي لو التقيت به ثانية، غير أنني بحثت عنه حينذاك ولم أجده".

ولم تعقب الآنسة "**ماربل**" بشيء. بل رأت أن تلوذ بالصمت انتظاراً لما تستكمل به "**لوسي**" حديثها.

– ثم كان أن رحت أتأمله مليًا... وكان واقفًا موليًا ظهره إليّ وتبينت ما لم أتبينه من قبل. ألا وهو أنه على الرغم مما يبدو به الرجل الأشقر حينما يواجهك، فإن شعره يبدو كالأسود إذا ما كان صاحبه قد اعتنى بتصفيفه. وفي الواقع، إن شعر "**بريان**" أميل إلى اللون الكستنائي، فإذا ما صُفف بدا لامعًا كالشعر الأسود. وهكذا ترين أن "**بريان**" ربما كان رجلنا الذي شاهدته صديقتك في القطار.وقد يكون..

– أجل. لقد خطر هذا ببالي.

– إنك تفكرين في كل شيء!

– هذا ما يجب على كل من يفكر مليًا في أمر من الأمور.

– ولكني لا أتبين ماذا سيعود على "**بريان**" من نفع. إن المال سيكون لـ "**ألكسندر**" وليس له. صحيح أنه من شأن هذا أن ييسر لهما سبيل حياة مترفة ناعمة، ولكنه لن يستطيع أن يطلق يده في رأس المال.

– لقد نسيت أنه في حالة وفاة "**ألكسندر**" قبل بلوغه سن الحادية والعشرين، فإن "**بريان**" يرث أمواله بحكم أنه والده ووارثه الوحيد. فتطلعت "**لوسي**" إليها فزعة وقد شعت عيناها رعبًا:

– ما من أب يفعل ذلك بابنه!

– ثمة من الناس من يفعل هذا. إنه لأمر رهيب مؤسف حقًا، ولكنهم لا يتورعون عن ارتكاب أبشع الجرائم في سبيل المال. ولقد عرفت امرأة دست السم لثلاثة من أبنائها في سبيل مبلغ زهيد كانت تبغي الحصول عليه من

شركة التأمين، ومن هذا القبيل قُدِّرَ لي أن ألم بالكثير من أمثال هذه الجرائم. ألم تقرئي في الصحف عن بعض هذه الجرائم؟ ولست أرى أن هؤلاء الناس من البشر... كلا... إنهم من طراز خاص لا يجب أن يتخذ قياسا. ويقابل هذا الطراز من الناس طراز كله خير وتضحية وبذل. هل وعيت؟

– وعيتُ ماذا؟ إن عقلي لا يحتمل أي استعراض لهذه النزعات الشريرة.

– هوني عليك. "إن غداً لناظره قريب". إنني في انتظار عودة "**إليزابيث ماك جيليكودي**" من يوم لآخر.

– لست أرى علاقةِ بين عودتها وبين ما نحن فيه.

– أما أنا، فاعلق أهمية كبيرة على عودتها.

– إن هذه الأحداث تقض مضجعي؛ لأنني أشعر بأنه قد أصبح لهذه الأسرة مكان ممتاز في نفسي.

– إنني لمدركة ما تشعرين به؛ وذلك لأنني أعرف ما لكل منهما من منزلة لديك، كل بحسب وضعه.

– ماذا تعنين؟

– كنت أتحدث عن الابن وعن زوج الابنة. لقد رحل عن هذه الدنيا الولدان غير المرغوب فيهما، وبقي العضوان الأكثر جاذبية ودماثة خلق، فـ"**سيدريك**" له جاذبيته الخاصة ،وهو في أعماقه أفضل مما يبدو به، ثم هاك السيد "**إيستلاي**" الذي يستدر عطفك لما يبدو عليه من شقاء وتعاسة.

– غير أن أحدهما قاتل سفاح. وقد يكون الاثنان معًا. فها هو "**سيدريك**" الذي لم تتحرك منه شعرة لقتل أخويه، "**ألفريد**" و"**هارولد**". وهو يجلس الساعات يعد الخطط عن المستقبل، بعد أن يؤول إليه "**روز فورد هول**" وما يتطلبه من نفقات وأموال ليغدو بالصورة اللائقة. وإليك "**بريان**"، الذي يمني نفسه بالإقامة في هذا القصر لشدة ولعه به. ولقد صارحني بأنه يتوق إلى هذا اليوم الذي

يضمه فيه هذا القصر مع ولده "**ألكسندر**"، فيسعدان معًا فيه وينعمان به.

– إن لجميع الناس أمانيهم وأقوالهم.

– ولهذه الأماني دلالتها الخاصة فيما نحن بصدده.

– قد تكون قصوراً فوق الرمال؟

– أجل. إنها مشروعات في الهواء. إن "**بريان**" ما زال محلقًا بطائرته فوق السحاب، ويأبى أن يعود إلى الأرض.

– وماذا لديك غير هذا من خواطر؟

– ثمة وقائع، وليست خواطر... شيء لم أتبينه من قبل، وتحققت منه منذ يومين، لقد كان "**بريان**" يستقل هذا القطار.

– قطار الساعة 4:33 من "**بادنجتون**"؟

– أجل... فحينما أدلت "**إيما**" بأقوالها عن تحركاتها في يوم 20 كانون الأول (ديسمبر)– وكانت تحتفظ بمفكرة مدون بها ما فعلته في هذا اليوم– وبعد أن تحدثت عما فعلته في هذا الصباح وفي وقت الظهيرة، وانتقلت إلى تحركاتها فيما بعد الظهر، قالت إنها توجهت لاستقبال "**بريان**" بالمحطة بعد تناولها الشاي في "**جرين شمروك**". واستعرضت ما يستغرقه هذا، فرجحت أن يكون القطار هو قطار الساعة 4:33 من "**بادنجتون**". وبناء على ذلك قمت بسؤال "**بريان**" بأسلوب غير متعمد، فعلمت منه بأنه كان مستقلاً هذا القطار فعلاً... ولم تبد منه بادرة مريبة، غير أنه كان يستقل القطار فعلاً...

– إذن فقد كان يستقل هذا القطار.

– إن هذا في حد ذاته لا ينهض دليلاً ضده. إن هي إلا شكوك لم ترق بعد إلى مستوى الحقيقة، ولعلنا سنظل نتخبط في هذا الظلام!

– كلا. إننا بالغون ما نبغي من إماطة اللثام عما يكتنفنا من غموض. وسيعيننا على ذلك أن القاتل إذا ما بدأ في مقارفة الجريمة فلن يتوقف. إن رجال الشرطة

يبذلون أقصى ما في وسعهم، ولا يتركون كبيرة أو صغيرة دون قتلها بحثًا، ثم لا تنسي ان "**إليزابيث ماك جيليكودي**" ستعود قريبًا ،كما قلت لك!

- 27 -

–"**إليزابيث** " ، لعلك قد أدركت بجلاء ما أريد منك القيام به؟ فقالت السيدة "**ماك جيليكودي**" لصديقتها الآنسة "**ماربل**" :

– أجل. ما أحسب ثمة مزيداً من الإيضاح، غير أن الأمر يبدو لي شاذًّا غير مألوف.

– ليس فيه شيء من هذا القبيل.

– هذا هو رأيي، وهو أن أتوجه إلى القصر، وأن أسألهم الإذن بالصعود إلى الطابق العلوي. . .

– إن الطقس شديد البرودة. . . ويمكن أن تبرري هذا بانك تناولت من الطعام ما لم تسترح له معدتك. . . وهذه مفاجآت يتعرض الناس لها من حين إلى آخر.

– لماذا لا تصارحينني بما تهدفين إليه؟

– هذا ما لا أريد أن أفعله في الوقت الحاضر.

– إنك تثيرين أعصابي. أولاً، تتعجلين عودتي إلى "**إنجلترا**" ، ثم. . .

– إنني جد آسفة لإزعاجك، غير أنه لم يكن ثمة سبيل سوى هذا. إن الجرائم تتوالى، وقد نجد أنفسنا أمام جريمة أخرى. حقيقة، إن الشرطة لا تدخر وسعًا في القيام بواجبها، غير أن هذا لا يحول دون وقوع الجريمة التالية. بناء على ما لمسناه من حذق القاتل وإحكامه تخطيط ما يرمي إليه، ومن هنا كان من المتعين عليك كمواطنة صالحة أن تسرعي بالعودة إرضاء لضميرك، ألم يكن هذا دأبنا؟

– بلى. لقد كنا كذلك دائمًا.

– إذن. فقد اتفقنا. وها هي السيارة الأجرة في انتظارك. وكانت الآنسة "**ماربل**" قد سمعت صوت بوق السيارة التي وقفت أمام باب المنزل.

وارتدت السيدة "**ماك جيليكودي**" معطفها الثقيل، والتحفت الآنسة "**ماربل**" بأكثر من وشاح. ثم استقلت السيدتان السيارة إلى "**روز فورد هول**". تساءلت "**إيما**" وهي تطل من النافذة، عندما سمعت صوت محرك السيارة الأجرة التي توقفت أمام الباب:

– تُرى من عساه أن يكون القادم؟ أعتقد أنها خالة "**لوسي**". فقال "**سيدريك**" معقبًا:

– يا للمضايقة! وكان مستلقيًا فوق مقعد مستطيل، وبين يديه إحدى المجلات. واستطرد قائلاً:

– اعتذري بأنك غير موجودة.

– ومن الذي سيتولى هذا؟ أنا أم "**لوسي**" التي تسألها ألا تسمح لخالتها بالدخول...؟

– لم يطرأ هذا على بالي... لقد نسيت أن القصر خال من الخدم. ألا توجد إحدى العاملات بالساعة؟

وحينئذ فتح الباب وأقبلت السيدة "**هارت**" التي تحضر بعد الظهر. وتبعتها الآنسة "**ماربل**" مهرولة، وفي أعقابها سيدة طويلة القامة، مهيبة الطلعة. وقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تصافح "**إيما**":

– أرجو ألا نكون قد تسببنا في إزعاجكم، ولكنني عائدة إلى منزلي بعد باكر، وقد رأيت من واجبي أن أقوم بزيارتكم لشكركم على حسن معاملتكم لـ"**لوسي**". لقد نسيت أن أقدم إليك صديقتي السيدة "**ماك جيليكودي**" التي تقيم معي.

وحيَّت السيدة "**جيليكودي**" "**إيما**"، ثم التفتت إلى "**سيدريك**" الذي كان يهم بالنهوض واقفًا ملقية إليه بالتحية، وفي هذه اللحظة دخلت "**لوسي**" الغرفة قائلة:

– خالتي "**جين**"! لم يدر بخلدي...

– رأيت أنه من واجبي أن أحضر لوداع السيدة "**كراكنثورب**" التي كانت

تضفي عليك من عطفها الكثير. فانبرت "**إيما**" تقول:

– إن "**لوسي**" جديرة بكل تقدير. وضاعفت الظروف من أعبائها. لقد كانت الطاهية، والممرضة التي تقوم على خدمة الجميع والعناية بهم. فقاطعتها الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– لقد ساءني أن أسمع عن مرضكم. أرجو أن تكونوا بخير الآن. فأجابتها "**إيما**":

– لقد استعدنا صحتنا فعلاً.

– لقد علمت من "**لوسي**" بمرضكم جميعًا إثر تناولكم حساء الفطر (عيش الغراب).. فيما قالت لي:

– إن السبب فيما نزل بنا لا يزال غامضًا. فقال "**سيدريك**":

– ألا زلت عند رأيك؟ أعتقد أنك قد سمعت بعض ما أذيع من شائعات. فأسرعت الآنسة "**ماربل**" قائلة... ولكن قاطعها "**سيدريك**" قائلا:

– كنت أقول إنك لابد وقد سمعت بما يقال عن موضوع سم الزرنيخ؟ فنهرته "**إيما**":

– "**سيدريك**"، كان بودي لو لم تفعل هذا. إنك تعرف أن المفتش "**كرادوك**" قال... ولكنه قاطعها قائلاً:

– إن الجميع يعرفون. ألم تسمعا بشيء من هذا القبيل؟ قال هذا وهو يستدير ناحية الآنسة "**ماربل**"، والسيدة "**ماك جيليكودي**" التي قالت له:

– أما عني فإنني عائدة لتوي من الخارج.

– آه! لقد فاتك الكثير. هذا الزرنيخ الذي دسه بعضهم في (الكاري). إن الآنسة "**ماربل**" تعرف كل شيء عن هذه الفضيحة المحلية. فغمغمت الآنسة "**ماربل**":

– إن كل ما سمعته لم يكن سوى النذر اليسير. فقالت "**إيما**":

– لاتلقي بالاً إلى شقيقي. إن هذا هو رأيه. وفتح الباب. وأقبل السيد

"**كراكنشورب**" يدق الأرض بعصاه قائلاً:

– أين الشاي؟ لماذا لم تعدّوا الشاي؟ أنت أيتها الفتاة! لماذا لم تأتيني بالشاي؟ فقالت "**لوسي**":

– الشاي مُعَد فعلاً، وسآتي به فوراً. وغادرت "**لوسي**" الغرفة، وقدمت "**إيما**" والدها إلى كل من الآنسة "**ماربل**" والسيدة "**ماك جيليكودي**". فقال لهما:

– إنني أحب أن تقدم الوجبات في مواعيدها. إن المواظبة والاقتصاد من طباعي. فقالت له الآنسة "**ماربل**":

– هذا ما يجب أن يتحلى المرء به وبخاصة في أيامنا هذه. وعادت "**لوسي**" تحمل صينية الشاي، يتبعها "**بريان إيستلاي**" حاملا صينية عليها صحاف بها الشطائر والزبد والخبز والكعك. وراح السيد "**كراكنشورب**" يتفرس في الصينية قائلاً:

– ما هذا؟ ما هذا؟ كعك وغيره؟ ترى هل لدينا اليوم مأدبة؟ إن أحداً لم يحطني بها خبرا. فأجابته "**إيما**" وقد تخضبت وجنتاها بحُمرة الخجل:

– إن الدكتور "**كيمبر**" قادم لتناول الشاي معنا، اليوم يوافق عيد ميلاده...

– عيد ميلاده؟! ما لنا ولعيد ميلاده؟! إن أعياد الميلاد لا تكون إلا للأطفال. إنني لا أذكر شيئاً عن عيد ميلادي، منذ زمن بعيد. فقال له "**سيدريك**":

– تنفيذاً لبند الاقتصاد في المصروفات. إن فيما تفعله توفيراً لثمن ما يوضع فوق الفطيرة من شمعات.

– هلا أطبقت فمك؟ كفاني منك تندراً. وقالت الآنسة "**ماربل**" لـ "**بريان إيستلاي**":

– لقد سمعت عنك من "**لوسي**". إنك تذكرني برجل في "**سانت ماري ميد**". إنها القرية التي أقيم بها منذ سنوات عديدة. إنه يدعى "**روني ويلز**"، ابن المحامي المعروف، وقد رغب عن العمل مع والده وسافر إلى شرق "**إفريقيا**" ليبدأ العمل في النقل البحري عبر البحيرات ولم يوفق في عمله، وعاد بخفي حنين

أليست لك به قرابة؟ إن الشبه بينكما كبير.

– كلا، لا يوجد من أقاربي من يدعى "**ويلز**".

– لقد كان بسبيل الزواج بفتاة جميلة، حاولت أن تثنيه عن عزمه، ولكنه لم يستجب لرجائها. لقد ركب رأسه كما يقولون. غالبًا ما تكون النساء أبعد نظرًا في مثل هذه الأمور... يا له من منظر جميل تطل عليه هذه النافذة! ومشت عبر الغرفة إلى النافذة، وتبعتها "**إيما**".

– يالها من أرض فضاء شاسعة! إن المنظر جميل حقًا... تلك الأشجار الباسقة، وهذه الماشية ترعى الكلأ بينها هناك، وهذه الأرض الممتدة من المراعي الخضراء.

– لقد جمعنا في حياتنا هنا بين الريف والحضر.

– أجل. وإنكم لتنعمون بالهدوء والبعد عن كل ضوضاء. إننا لا ننعم بمثل هذا الهدوء في "**سانت ماري**" إذ يوجد على مقربة منا مطار. إن تلك الطائرات النفاثة تسبب لنا كثيراً من الإزعاج. ولقد تسببت في تحطيم لوحين من الزجاج منذ بضعة أيام. إنهم يقولون إن هذا نتيجة لاختراقها حاجز الصوت. هذا ما يقولونه تبريراً لما تسببه من أضرار.

فتدخل "**بريان**" متطوعًا لإيضاح ما استغلق عليهما فهمه. وسقطت حقيبة يد الآنسة "**ماربل**" من يدها، وأسرع "**بريان**" يلتقطها ويناولها إياها. وفي هذه اللحظة اقتربت السيدة "**ماك جيليكودي**" من "**إيما**" وتمتمت ببضع كلمات:

– هل يمكن أن تأذني لي بالصعود إلى الطابق الأعلى؟

– بكل تأكيد. وانبرت "**لوسي**" قائلة:

– سأصحبك إلى الطابق الأعلى. وغادرت كل من "**لوسي**" والسيدة "**ماك جيليكودي**" الغرفة معًا، ووقفت الآنسة "**ماربل**" تصغي لما يقوله "**بريان**" عن حاجز الصوت واختراقه. ثم إذا به يتوقف فجأة...

– هذا هو "**كيمبر**". وكان "**كيمبر**" قد توقف أمام باب المنزل بسيارته، وبعد لحظات أقبل عليهما يرتعد من برودة الطقس قائلاً:

– إن السماء ستمطر برداً. مرحبًا "**إيما**"، كيف حالك؟ ماذا أرى؟ أهي وليمة؟

– هذا كله احتفال بعيد ميلادك. أو نسيت أنك حدثتني عنه؟

– ولكنني لم أكن أتوقع كل هذا الاهتمام! وقد انقضت أعوام وأعوام دون أن يحتفل أحد بعيد ميلادي. وقدمته "**إيما**" إلى الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– هل تعرف الآنسة "**ماربل**"؟ ولكن الآنسة "**ماربل**" هي التي انبرت تقول:

– أجل. لقد التقيت بالدكتور "**كيمبر**" من قبل، حينما قدم ليعودني إثر إصابتي بنزلة برد قاسية. ولقد كان رحيماً بي.

– أرجو أن تكوني قد استعدت صحتك.

– إنني بخير الآن. وبادره السيد "**كراكنثورب**" قائلاً:

– "**كيمبر**"... إنك لم تعدني في الأيام الأخيرة.

– لأنك بخير وليست بك حاجة إليّ.

– ماذا تنتظرون؟ هلمّ بنا نتناول الشاي ونطعم من هذه الفطائر. وأردفت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– لا تنتظروا صديقتي. إن هذا سيسوؤها كثيراً. وجلسوا إلى مائدة الشاي، وشرعوا في تناوله. وقدمت "**إيما**" للآنسة "**ماربل**" قطعة من الخبز بالزبد، ثم أخرى من الشطائر فأمسكت بالشطيرة قائلة:

– أهي من...؟ فأسرع "**بريان**" في الإجابة:

– من السمك، لقد عاونت "**لوسي**" في إعدادها. فاستلقى السيد "**كراكنثورب**" على ظهره ضاحكًا:

– سمك مسمم. لا يأكله إلا من يريد لنفسه الهلاك...

– أبتاه! أرجوك!

– عليك أن تتوخي الحذر فيما تتناولينه من طعام في هذا المنزل. لقد قتل اثنان من أبنائي كما يقتل البعوض. من الذي يقترف ذلك؟ هذا ما أريد أن أعرفه.

وتقدم "**سيدريك**" من الآنسة "**ماربل**" يعرض عليها الشطيرة ثانية وهو يقول:

- لا تراعي... لا تصغي إليه. يقولون : "إن قليلاً من الزرنيخ يصلح المعدة".

القليل فقط. فقال له والده:

- لماذا لا تلتقط شطيرة منها؟ عليك بواحدة.

- هل تريد أن تجعل مني المتذوق الرسمي؟ هذه واحدة. والتقط شطيرة وألقى بها في فمه. وضحكت الآنسة "**ماربل**" ضحكة رقيقة، ثم تناولت شطيرة تذوقتها قائلة:

- إنني أقدر لك شجاعتك هذه على الرغم من أنك اتخذت من الموضوع مادة للضحك والسخرية. ثم شعرت بغصة في حلقها، وبدأت تتنفس في صعوبة وهي تقول:

- عظمة سمك في حلقي.

ونهض "**كيمبر**" مسرعًا. وخف إليها ونقلها إلى جوار النافذة، وأمرها بأن تفتح فمها. وأخرج من جيبه علبة انتقى منها كُلاَّبًا دقيقًا، وراح يتفرس في حلق السيدة بمهارة الطبيب المجرب. وفي هذه اللحظة فتح باب الغرفة ودخلت منه السيدة "**ماك جيليكودي**" تتبعها "**لوسي**". وما إن وقع نظر السيدة "**ماك جيليكودي**" على المشهد الذي أمامها حتى شهقت ورفعت يدها إلى فمها تحبس أنفاسها، وقد استقرت عيناها على اللوحة التي أمامها:

الآنسة "**ماربل**" مستندة إلى ظهر المقعد والطبيب يقبض على عنقها ويميل رأسها إلى الخلف. وصاحت السيدة "**ماك جيليكودي**" قائلة:

- إنه رجل القطار... وسرعان ما تخلصت الآنسة "**ماربل**" من قبضة الطبيب وخفت إلى صديقتها قائلة:

- لقد كنت واثقة بتعرفك إياه. كلا. ولا كلمة. ثم استدارت إلى الدكتور "**كيمبر**" قائلة في نشوة الفوز بما سعت إليه:

- إنك لم تكن تعرف - عندما كنت تقوم بقتل هذه المرأة في القطار خنقًا- أن ثمة من شاهدتك وأنت ترتكب جريمتك. إنها صديقتي هذه هي التي شاهدت

فعلتك. السيدة "**جيليكودي**" لقد رأتك بعينيها ، وهي تدرك ما أقول، رأتك بينما كانت تستقل قطاراً آخر بمحاذاة القطار الذي اتخذت منه مسرحًا لجريمتك.

وأسرع الدكتور يخطو نحو السيدة "**ماك جيليكودي**" ، ولكن الآنسة "**ماربل**" كانت أسرع منه، لتقف بينه وبين صديقتها عندما سمعته يقول:

– ماذا أسمع؟

– أجل لقد رأتك، وتعرّفتك، وستقسم على ذلك أمام المحكمة. من النادر أن نجد لجرائم القتل شهود رؤية. إن من يقتل مع سبق الإصرار يحرص على الا يراه أحد وهو يقترف جريمته. غير أنه بصدد جريمة غير عادية بظروفها وملابساتها. إننا أمام جريمة يوجد فيها شاهد عيان أو على الأصح شاهد رؤية. وقال الدكتور "**كيمبر**" وهو يقفز صوب الآنسة "**ماربل**" :

– لقد كنت أنفر منك دائمًا، وكنت لا أطمئن إليك. وأسرع "**بريان**" إلى جانب "**سيدريك**" يعاونه، وأقبل كل من المفتش "**كرادوك**" والمفتش "**بيكون**" من باب الغرفة البعيد. وبدأ "**بيكون**" يردد الصيغة التقليدية:

– دكتور "**كيمبر**" ، من واجبي أن أحذرك من أن...

– إلى الجحيم بتحذيرك. هل تعتقد أن أحداً سيصدق ما تقوله امرأتان قد بلغتا من السن عتيا؟ من الذي سمع عن هذه المهاترة أو تلك القصة المضطربة عما وقع بالقطار؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– لقد قامت "**إليزابيث ماك جيليكودي**" بإبلاغ الشرطة بما شاهدته في يوم 20 كانون الأول (ديسمبر)، وزودتهم بأوصاف الرجل.

– وما الدافع لي إلى قتل امرأة غريبة؟ فانبرى المفتش "**كرادوك**" قائلاً:

– إنها لم تكن بالغريبة. لقد كانت زوجتك!

❋❋❋❋❋

- 28 -

قالت الآنسة "**ماربل**" :

– وهكذا ترين أن الأمر كان في غاية البساطة، كما كنت أرى لأول وهلة، ولم تكن الجريمة معقدة كما بدا لنا. إنها جريمة قتل زوج لزوجته. شأنها في ذلك شأن غيرها من جرائم كثيرة. فتطلعت السيدة "**إليزابيث ماك جيليكودي**" إلى كل من الآنسة "**ماربل**" والمفتش "**كرادوك**" قائلة:

– أكون ممتنة لو تفضلتما بإيضاح بعض النقاط لي، وإطلاعي تفصيلاً على ما كان من تطورات. فتطوعت الآنسة "**ماربل**" بهذا الإيضاح قائلة:

– لقد وجد أمامه فرصة سانحة للزواج بفتاة ثرية، هي "**إيما كراكنثورب**" ولم يكن ليستطيع ذلك وله زوجة على قيد الحياة. حقيقة أنهما كانا منفصلين منذ عدة أعوام، ولكنها كانت ترفض الموافقة على الطلاق منه، وقد كان هذا مطابقًا لما أخبرني به المفتش "**كرادوك**" عن هذه الفتاة التي تسمت باسم "**حنة سترافنسكا**".

وكانت هذه الفتاة قد قالت لإحدى صديقاتها إن لها زوجًا إنجليزيًّا، كما قيل عنها إنها كاثوليكية متزمتة، ولم يكن الدكتور "**كيمبر**" ليجازف بارتكاب جريمة الزواج باثنتين، مما كان من شأنه أن يحمله على اتخاذ قرار بالتخلص من زوجته الأولى، وهو قرار يتسق مع ما أشربت نفسه من قسوة وقوة أعصاب. وكانت خطته بارعة محكمة. وقد رمى بها إلى إقحام أسرة "**كراكنثورب**" في هذه الجريمة. وأعد ذلك بتحرير رسالة لـ "**إيما**" على أنها "**مارتين**" التي سبق لـ "**إدموند**" أن تحدث عن زواجه بها. وكانت "**إيما**" قد حكت للدكتور "**كيمبر**" عن قصة شقيقها. فلما حانت الفرصة، وآن الأوان، حثها على التوجه إلى الشرطة بهذه القصة وبما كان من أمر هذه الرسالة. فقد كان يريد أن يتم تعرُّفُ المجني عليها باعتبار أنها "**مارتين**". وأعتقد أنه يكون قد علم بأمر التحريات التي تقوم الشرطة بها في "**باريس**" عن

"**حنة ستراقنسكا**"، مما حدا به إلى تدبير أمر البطاقة المرسلة من "**جامايكا**" باسم "**حنة ستراقنسكا**".

وكان من اليسير عليه أن يدبر أمر لقائه بزوجته في "**لندن**"، فيخبرها بأنه يرجو تسوية الخلاف بينهما ويدعوها إلى زيارة أسرته، أما عما كان بعد ذلك فأمره معروف ولا أحب أن أخوض فيه. وليس من شك فيما كان يتملك هذا الرجل من جشع، وعلى أساس هذا بدأ في تنفيذ الجزء الثاني من خطته، فراح يذيع الشائعات عن محاولة بعضهم دس السم للسيد "**كراكنثورب**" العجوز، تمهيداً لما كان قد عقد العزم عليه من دس السم لسائر أفراد الأسرة. وكان حريصًا على أن يكون ذلك بكميات قليلة حفاظًا على صحة "**كراكنثورب**" العجوز الذي كان يريد أن يظل على قيد الحياة. وانبرى المفتش "**كرادوك**" يسألها:

– ولكنني أتساءل كيف تسنى له دس الزرنيخ في (الكاري) في أثناء إعداده؟

– لم يكن ثمة سم في (الكاري) حينذاك. لقد دسه في (الكاري) بعد ذلك، عندما حمله معه للتحليل، لقد تمكن من دس السم في الشراب حينما حمل الصينية عن "**لوسي**" إلى حيث كانوا مجتمعين يتناقشون، ثم كان من اليسير بوصفه طبيبًا أن يقتل كلاً من "**ألفريد**" و"**هارولد**" بوسيلة أو بأخرى. وهذا ما اتضح لك من مقتل الرجلين. إن كل ما كان يقوم به كان متسمًا بالقسوة والجرأة والجشع. وإنني لسعيدة بأنهم لم يلغوا بعد عقوبة الإعدام؛ لأنه لو كان هناك من يجب أن يعدم شنقًا، فهو هذا الدكتور "**كيمبر**" السفاح.

– والآن إن ما تردد في ذهنك من خواطر أدت إلى هذه النتيجة الموفقة جعلك خير عون لرجال الأمن.

– لقد خطر لي أنك إن رأيت إنسانًا يوليك ظهره، فإن هذا لا يحول دون أن تتعرفي إليه. ورأيت أنه إذا ما أتيح لـ"**إليزابيث**" أن تشاهد الدكتور "**كيمبر**" في وضعه حينما كان في القطار، أي موليًا ظهره وفي وضع مائل إلى الأمام، فإنها

ستتعرفه دون أدنى شك. تنفيذًا لهذا أعددت الخطة بالاتفاق مع "**لوسي**" ومعاونتها. وهنا قالت السيدة "**جيليكودي**":

– في الواقع، إنني فوجئت بما وُجهت به، ووجدتُني أصيح دون وعي مني، هذا هو الرجل، مع أنني لم أكن قد رأيت وجهه...

– وهذا ما كنت أخشى أن تجاهري به.

– وهذا ما كنت سأقوله فعلاً.

– لئن كنت قلته، لكنت أفسدت الأمر علينا، إنه لم يكن يعرف أنك لم تشاهدي وجهه.

– إذن فقد كان من الخير أن أمسكت عن الاسترسال في الكلام.

– ولذلك كنت أحاول ألا أدع لك فرصة الكلام. وضحك "**كرادوك**" قائلاً:

– يا لكما من سيدتين رائعتين. آنسة "**ماربل**" حدثينا عن النهاية السعيدة، ماذا سيكون من أمر "**إيما كراكنثورب**" التعسة؟

– إنها ستجتاز أزمتها العاطفية بكل تأكيد. وأعتقد أنه في حالة وفاة والدها– وهو أمر لابد منه إن آجلا أو عاجلاً– فإنها ستذهب في رحلة حول العالم، أو ربما أقامت في الخارج حيث تلقى حظًا أسعد.

– وماذا عن "**لوسي إيلزبارو**"؟ هل ثمة مشروع زواج؟

– ربما، لن أفاجأ بشيء من هذا القبيل.

– من الذي سيقع عليه اختيارها؟

– ألم تعرف بعد؟

– كلا. وهل تعرفين شيئًا؟

– أعتقد أن لديَّ فكرة ناضجة. قالت الآنسة "**ماربل**" ذلك للمفتش "**درموت كرادوك**"، ثم أومضت له بعينيها.

تمّت بعون الله